بسم الله الرحمن الرحيم

قال الفقيه القاضي الإمام الحافظ أبو الفضل
عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رحمه الله عليه
الحمد لله المنفرد باسمه الأسمى المختص بالملك
الأعز الأحمى الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه
مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما الباطن تقدسا
لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما وأسبغ
على أوليائه نعما عما [illegible] رسولا من [illegible]
أنفسهم عربا وعجما [illegible]
وأرجحهم عقلا [illegible]
وأقواهم يقينا وعزما [illegible] ورحمى

وحاشاه

وحاشاه عيبا ووصما وآتاه حكمة وحكما وفتح به
أعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما فآمن به وعزره
ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما
وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقا
حتما ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى
صلى الله تعالى عليه صلاة تنمو وتنمى وعلى آله
وسلم تسليما أما بعد أشرق الله قلبي وقلبك
بأنوار اليقين ولطف بي ولك بما لطف بأوليائه
المتقين الذين شرفهم بنزل قدسه وأوحشهم
من الخليقة بأنسه وخصهم من معرفته ومشاهدة
عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة
ووله عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همهم
به واحدا ولم يروا في الدارين غيره مشاهدا فهم
بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون وبين
آثار قدرته [illegible] عظمته يترددون وبالانقطاع
[illegible] لهجين بصادق قوله
[illegible] يلعبون فإنك كررت
على [illegible] التعريف بقدر المصطفى
صلى الله [illegible] وما يجب له من توقير وإكرام

وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر أو قصر
في حق منصبه الجليل قلامة ظفر. وأنا أجمع لك ما
لأسلافنا وأئمتنا في ذلك من مقال. وأبينه بتنزيل صور
وأمثال. فاعلم أكرمك الله أنك حملتني من ذلك أمرا
إمرا. وأرهقتني فيما ندبتني إليه عسرا. وأرقيتني
بما كلفتني من ذلك مرتقى صعبا. ملأ قلبي رهبا ورعبا
فإن الكلام في ذلك يستدعي تقرير أصول وتحرير فصول
والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم. ويضاف إليه أو
يمتنع أو يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة
والنبوة والمحبة والخلة وخصائص هذه الدرجة
العلية. وههنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر
بها الخطا. ومجاهل تضل فيها الأحلام إن لم تهتد
بعلم علم ونظر سديد. ومداحض تزل بها الأقدام
إن لم تعتمد على توفيق من الله وتأييد. لكني لما رجوته
لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب
بتعريف قدره الجسيم [illegible] العظيم [illegible]
التي لم تجتمع قبل في مخلوق [illegible]
من حقه الذي هو أرفع [illegible] عن الذين

اوتوا الكتاب

أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولما أخذ الله
على الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
ولما حدثنا به أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه
رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد
حدثنا أبو عمر النمري حدثنا أبو محمد
ابن عبد المؤمن حدثنا أبو بكر محمد بن بكر حدثنا
سليمن بن الأشعث حدثنا موسى بن إسمعيل حدثنا
حماد حدثنا علي بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم. من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام
من نار يوم القيمة. فبادرت إلى نكت مسفرة
عن وجه الغرض مؤديا من ذلك الحق المفترض
اختلستها على استعجال لما المرء بصدده
من شغل البدن والبال بما طوقه من مقاليد المحنة
التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل
وترد بعد حسن التقويم إلى أسفل سفل ولو أراد الله
بالإنسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد
غدا في محله فليس ثم سوى نضرة النعيم
أو عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته

واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع
يفيده أو يستفيده. جبر الله صدع قلوبنا وغفر
عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا
وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا إلى الله زلفى
ويحظينا بمنه ورحمته. ولما نويت تقريبه ودرجت
تبويبه ومهدت تأصيله وخلصت تفصيله وانتحيت
حصره وتحصيله. ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى
صلى الله عليه وسلم. وحصرت الكلام فيه
في أقسام أربعة. القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى
لقدر هذا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قولا
وفعلا. وتوجه الكلام فيه في أربعة أبواب
الباب الأول في ثنائه تعالى عليه وإظهاره
عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول. الباب الثاني
في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه
جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه
سبعة وعشرون فصلا. الباب الثالث فيما ورد من صحيح الأخبار
ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه
به في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا.
الباب الرابع فيما أظهره الله تعالى على يديه

من الآيات

من الآيات والمعجزات وشرفه به من الخصائص
والكرامات وفيه ثلاثون فصلا. القسم الثاني فيما
يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام ويترتب
القول فيه في أربعة أبواب. الباب الأول في فرض الإيمان
به ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول.
الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه
ستة فصول. الباب الثالث في تعظيم أمره ولزوم توقيره
وبره وفيه سبعة فصول. الباب الرابع في حكم الصلاة
عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه
عشرة فصول. القسم الثالث فيما يستحيل في حقه
وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح أن يضاف إليه
من الأمور البشرية. وهذا القسم أكرمك الله هو
سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الأبواب وما قبله
له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده
فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز
من غرض هذا التأليف وعده وعند التقصي لموعدته
والتفصي عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين
ويشرق قلب المؤمن باليقين. وتملأ أنواره
جوانح صدره ويقدر العاقل النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين

الباب الأول فيما يختص بالأمور الدينية ويتشبث

به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا الباب الثاني

في أحواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه من الأعراض

البشرية وفيه تسعة فصول القسم الرابع في تصرف

وجوه الأحكام على من تنقصه أو سبه عليه السلام

وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الأول في بيان ما هو

في حقه سب ونقص من تعريض أو نص وفيه عشرة فصول

الباب الثاني في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه

وعقوبته وذكر استتابته والصلاة عليه

ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث

جعلناه تكملة لهذه المسألة ووصلة للبابين اللذين

قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته

وكتبه وآل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصحبه

واختصر الكلام فيه في خمسة فصول • وبتمامها

ينتجز الكتاب وتتم الأقسام والأبواب • ويلمع

في غرة الإيمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة

خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس

وتشفي صدور قوم مؤمنين • وتصدع بالحق وتعرض

عن الجاهلين • وبالله تعالى لا إله إلا هو أعتصم

وبه أستعين القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى

لقدر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم قولا

وفعلا • قال الفقيه القاضي أبو الفضل رحمه الله

لا خفاء على من مارس شيئا من العلم أو خص بأدنى لمحة

من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا صلى الله تعالى

عليه وسلم وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن

ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره

بما تكل عنه الألسنة والأقلام • فمنها ما صرح به الله

تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه وأثنى به عليه

من أخلاقه وآدابه وحض العباد على التزامه

وتقلد إيجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى

ثم طهر وزكى • ثم مدح بذلك وأثنى • ثم أثاب عليه

الجزاء الأوفى • فله الفضل بدءا وعودا • والحمد

أولى وأخرى • ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه

على أتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن

الجميلة والأخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة

والفضائل العديدة وتأييده بالمعجزات الباهرة

والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها

من عاصره ورآها من أدركه وعلمها علم يقين من جاء
بعده حتى انتهى علم ذلك حقيقة إلينا وفاضت
أنواره علينا صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا •
حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الحسين بن محمد
الحافظ قراءة مني عليه قال حدثنا أبو الحسين
ابن المبارك بن عبد الجبار وأبو الفضل أحمد بن خيرون
قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي قال حدثنا أبو علي
السنجي قال حدثنا محمد بن محبوب قال حدثنا أبو عيسى
ابن سورة الحافظ قال حدثنا إسحق بن منصور حدثنا
عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة عن أنس أن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به
ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل يا براق
أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه
قال فارفض عرقا

الباب الأول في ثناء الله تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه

اعلم أن في كتاب الله
العزيز آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى صلى الله
عليه وسلم وعد محاسنه وتعظيم أمره وتنويه قدره
اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا
ذلك في عشرة فصول

الفصل الأول فيما جاء من ذلك

مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى
لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية قال السمرقندي
وقرأ بعضهم من أنفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور
بالضم • قال الفقيه القاضي الإمام أبو الفضل
وفقه الله تعالى أعلم الله المؤمنين أو العرب أو
أهل مكة أو جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه
بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم
يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وأمانته
فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه
منهم وأنه لم يكن من العرب قبيلة إلا ولها
على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولادة أو
قرابة وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى
إلا المودة في القربى وكونه من أشرفهم وأرفعهم
وأفضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم
وصفه بعد بأوصاف حميدة وأثنى عليه بمحامد
كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم وإسلامهم
وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم وأخراهم وعزته
عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم • قال بعضهم أعطاه
اسمين من أسمائه رؤف رحيم • ومثله في الآية الأخرى

قوله تعالى لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم
رسولا من انفسهم الآية وفي الآية الأخرى هو الذي
بعث في الأميين رسولا منهم الآية وقوله تعالى
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الآية . وروى عن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي عليه السلام
في قوله تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا
ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح قال ابن الكلبي
كتبت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمسمائة أم
فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية
وعن ابن عباس في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين
قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا . وقال جعفر بن محمد
علم الله ضعف خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا
انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينهم وبينه
مخلوقا من جنسهم في الصورة والبسه من نعته الرأفة
واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته
وموافقته موافقته فقال تعالى من يطع الرسول فقد
اطاع الله وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين . وقال ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا صلى الله
عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله

وصفاته

وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته
فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما
الى كل محبوب الا ترى ان الله يقول وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة
كما قال عليه السلام حياتي خير لكم ومماتي خير لكم
وكما قال اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها
قبلها فجعله لها سلفا وفرطا وقال السمرقندي
رحمة للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق
للمؤمنين رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان
من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب . قال ابن عباس
هو رحمة للمؤمنين وللكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم
من الأمم المكذبة . ويروى ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة
شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله
تعالى علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع
ثم امين وروى عن جعفر بن محمد الصادق في قوله
تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما وقعت
سلامتهم من اجل كرامة محمد عليه السلام وقال الله
تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره الآية

قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله مثل نوره اي
مثل نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال سهل
ابن عبد الله المعنى الله هادي اهل السموات والارض
ثم قال مثل نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا
واراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره اي كأنه
كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة يوقد من شجرة
مباركة اي من نور ابرهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة
وقوله يكاد زيتها يضيء اي تكاد نبوة محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل
في هذه الاية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى
في القرآن في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا
فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله
تعالى الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة شرح اي
وسع والمراد بالصدر ههنا القلب قال ابن عباس
شرحه بالاسلام وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن

ملأ حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى
لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي
انقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة
وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل اراد ما اثقل ظهره
من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي
وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك
حكاه السمرقندي ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن ادم
بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي في قول
لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل في الاذان
قال الفقيه القاضي ابو الفضل وفقه الله هذا تقرير
من الله جل اسمه لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم
على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته
عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه
لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية
وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين
كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه
للناس ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته
ورفعة ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله
ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد

ولا صاحب صلاة إلا يقول أشهد أن لا إله إلا الله
وأن محمداً رسول الله وروى أبو سعيد الخدري رضي الله
عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتاني
جبريل فقال إن ربي وربك يقول أتدري كيف رفعت
ذكرك فقلت الله ورسوله أعلم قال إذا ذكرت ذكرت معي
قال ابن عطاء جعلت تمام الإيمان بذكري معك وقال
أيضاً جعلتك ذكراً من ذكري فمن ذكرك فقد ذكرني
قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك أحد بالرسالة
إلا ذكرني بالربوبية • وأشار بعضهم في ذلك إلى الشفاعة
ومن ذكره معه تعالى أن قرن طاعته بطاعته واسمه
باسمه تعالى فقال وأطيعوا الله والرسول وآمنوا بالله
ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز
جمع هذا الكلام في غير حقه عليه السلام أنبأنا
الشيخ أبو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما
أجازنيه وقرأته على الثقة عنه قال حدثنا أبو عمرو
النمري قال حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن • حدثنا
أبو بكر بن داسه حدثنا أبو داود السجزي حدثنا أبو الوليد
الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار
عن حذيفة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال

لا يقولن

لا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن
ما شاء الله ثم شاء فلان قال الخطابي أرشدهم
صلى الله عليه وسلم إلى الأدب في تقديم مشيئة الله
تعالى على مشيئة من سواه واختارها بثم التي هي
للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك
ومثله الحديث الآخر أن خطيباً خطب عند النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بئس خطيب القوم أنت قم أو قال اذهب
قال أبو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية
لما فيه من التسوية وذهب غيره إلى أنه إنما كره له الوقوف
على يعصهما وقول أبي سليمان أصح لما روي في الحديث الصحيح
أنه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف
على يعصهما وقد اختلف المفسرون وأصحاب المعاني في قوله
تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي هل يصلون راجعة
على الله والملائكة أم لا فأجازه بعضهم ومنعه آخرون
لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية
إن الله يصلي وملائكته يصلون وقد روي عن عمر رضي الله
عنه أنه قال من فضيلتك عند الله أن جعل طاعتك

طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد
قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
الايتين وروى انه لما نزلت هذه الاية قالوا ان محمدا
يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فقال الله
جل وعز قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته
بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله
تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم •
صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن
البصرى الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه حكاه
عنهما ابو الحسن الماوردى وحكى مكى عنهما نحوه
وقال هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وصاحباه ابو بكر وعمر رضى الله عنهما وحكى ابو الليث
السمرقندى مثله عن ابي العالية في قوله عز وجل
صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال
صدق والله ونصح وحكى الماوردى ذلك في تفسير صراط
الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى
ابو عبد الرحمن السلمى عن بعضهم في تفسير قوله تعالى
فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد عليه السلام

وقيل

وقيل شهادة التوحيد • وقال سهل في قوله تعالى
وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله
تعالى عليه وسلم وقال تعالى والذى جاء بالصدق
وصدق به اولئك هم المتقون الايتين اكثر المفسرين
على ان الذى جاء بالصدق هو محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم وقال بعضهم وهو الذى صدق به وقرئ
صدق به بالتخفيف وقال غيرهم الذى صدق به المؤمنون
وقيل ابو بكر رضى الله عنه وقيل على رضى الله عنه
وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله تعالى
الا بذكر الله تطمئن القلوب • قال بمحمد صلى الله
تعالى عليه وسلم واصحابه الفصل الثاني في وصفه
تعالى له بالشهادة وما تعلق بها من الثناء والمدح
والكرامة قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية جمع الله له في هذه الاية
ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة
فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة
وهى من خصائصه عليه السلام ومبشرا لاهل طاعته
ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته
وسراجا منيرا يهتدى به للحق اخبرنا الشيخ ابو محمد

ابن عتاب قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا
ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا
ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا
محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء
ابن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص
فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فقال اجل والله انه لموصوف في التورية
ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي
ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ
ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به
الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به
اعينا عميا وقلوبا غلفا واذانا صما . وذكر مثله
عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه
عن ابن اسحق ولا صخب في الاسواق ولا متزين
بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل اهب
له كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر
شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق

والوفاء

والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل
سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام
ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به
بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة
واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به
بعد الفرقة واؤلف به بين قلوب مختلفة واهواء
متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت
للناس وفي حديث اخر اخبرنا رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم عن صفته في التورية عبدي احمد المختار
مولده بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته
الحمادون لله تعالى على كل حال وقال الله تعالى
فبما رحمة من الله لنت لهم الاية وقال الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الايتين قال السمرقندي
ذكرهم الله تعالى منته انه جعل رسوله رحيما
بالمؤمنين رؤوفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا
في القول لتفرقوا من حوله ولكن جعله الله تعالى
سمحا سهلا طلقا برا لطيفا صلى الله تعالى عليه
وسلم هكذا قاله الضحاك وقال الله تعالى وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس

ويكون الرسول عليكم شهيدا. قال ابو الحسن
القابسي ابان الله تعالى فضل نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية وفي قوله تعالى
في الاية الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم
وتكونوا شهداء على الناس وكذلك قوله تعالى فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد الاية وقوله تعالى وسطا
اى عدلا خيارا ومعنى هذه الاية وكما هديناكم فكذلك
خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة خيارا عدولا
لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم بالصدق قيل ان الله
جل جلاله اذا سئل الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم
فتقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد
امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم للانبياء عليهم
السلام ويزكيهم النبي عليه السلام وقيل معنى الاية
انكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم
حكاه السمرقندي وقال الله تبارك وتعالى
وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم
قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن

ايضا

ايضا هي مصيبتهم بنبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم
وعن ابي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد
صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم
وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة
اودعها في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم.
وقال محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين
والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم حكاه عنه السلمي

الفصل الثالث فيما ورد في خطابه اياه مورد الملاطفة
والمبرة من ذلك قوله تعالى **عفا الله عنك لم اذنت لهم**
قال ابو محمد المكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة
اصلحك الله واعزك الله وقال عون بن عبد الله اخبره
بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكى السمرقندي
عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب
لم اذنت لهم قال ولو بدأ النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله لم اذنت لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة
هذا الكلام لكن الله برحمته اخبره بالعفو حتى
سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى
يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا

من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب
ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته
نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم معاتب بهذه الآية
وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله
انه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج
عليه في الاذن لهم. قال الفقيه القاضي ابو الفضل
يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة
خلقه ان يتأدب بآداب القرآن في قوله وفعله
ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية
وروضة الآداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة
العجيبة في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل
المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد
وكيف ابتدأ بالاكرام قبل العتب وآنس بالعفو
قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا
ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال
بعض المتكلمين عاتب الله الانبياء بعد الزلات
وعاتب نبينا عليه السلام قبل وقوعه ليكون
اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة. وهذه

غاية العناية

غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بثنائه وسلامته
قبل ذكر ما عاتبه عليه وخيف ان يركن اليه
ففي اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تامينه
وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك
الذي يقولون فانهم لا يكذبونك الآية قال علي رضي الله
عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا
لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله
تعالى فانهم لا يكذبونك الآية وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبرائيل
فقال له ما يحزنك فقال كذبني قومي فقال انهم يعلمون
انك صادق فانزل الله الآية ففي هذه الآية منزع
لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه السلام
والطاف في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم
وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا
وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع
بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل
الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن
الظالمين بآيات الله يجحدون. فحاشاه من الوصم
وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم

اذا الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله
تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
ثم عزاه وانسه بما ذكره عمن قبله ووعده النصر
بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا الآية
فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا
وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل
لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد
فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون
كذبك ومما ذكر من خصائصه وبر الله تعالى به ان الله
تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم فقال يا آدم
يا نوح يا ابرهيم يا موسى يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى
ولم يخاطب هو الا بيا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها
المزمل يا ايها المدثر

الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره

قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم
يعمهون . اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله
جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال
ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك
وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف

قال ابن عباس

قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا اكرم
عليه من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما سمعت الله
اقسم بحيوة احد غيره صلى الله عليه وسلم قال
ابو الجوزاء ما اقسم الله بحياة احد غير محمد صلى الله
عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده وقال تعالى يس
والقرآن الحكيم الآيات اختلف المفسرون في معنى
يس على اقوال فحكى ابو محمد المكي انه روى عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة اسماء
ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن
السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة
لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابن عباس
رضي الله عنه يس يا انسان اراد محمدا عليه السلام
وقال هو قسم وهو من اسماء الله تعالى عز وجل
وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل
يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب
يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السماء والارض
بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال والقرآن
الحكيم انك لمن المرسلين . فان قدر انه من اسمائه
صلى الله تعالى عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان

فيه من التعظيم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر
عليه وإن كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر
بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته
أقسم الله تعالى باسمه وكتابه إنه لمن المرسلين
بوحيه إلى عباده وعلى صراط مستقيم من إيمانه
أي على طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق
قال النقاش لم يقسم الله تبارك وتعالى لأحد من أنبيائه
بالرسالة في كتابه إلا له وفيه من تعظيمه وتمجيده
على تأويل من قال إنه يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام
أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقال الله تعالى لا أقسم
بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد قيل لا أقسم به
إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل
لا زائدة أي أقسم به وأنت يا محمد به حلال أو حل
لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد
عند هؤلاء مكة وقال الواسطي أي نحلف لك
بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وبتركاتك
ميتا يعني المدينة والأول أصح لأن السورة مكية
وما بعده يصححه قوله تعالى حل بهذا البلد ونحوه
قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الأمين

قال أمنها الله بمقامه فيها وكونه بها فإن كونه أمان
حيث كان ثم قال ووالد وما ولد من قال أراد آدم
فهو عام ومن قال هو إبراهيم عليه السلام وما ولده
فهي إن شاء الله إشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم
فتضمن السورة القسم به في الموضعين وقال تعالى
الم ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف أقسام
أقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال
سهل بن عبد الله التستري الألف هو الله تعالى
واللام جبرائيل والميم محمد عليهما السلام وحكى
هذا القول السمرقندي ولم ينسبه إلى سهل وجعل
معناه الله أنزل جبرائيل على محمد هذا القرآن
لا ريب فيه وعلى الوجه الأول يحتمل القسم أن
هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلته قران اسمه
باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء في قوله ق والقرآن
المجيد أقسم بقوة قلب حبيبه صلى الله تعالى عليه
وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك
فيه لعلو حاله وقيل هو اسم للقرآن وقيل هو اسم
لله وقيل جبل محيط بالأرض وقيل غير هذا وقال
جعفر بن محمد في تفسير والنجم إذا هوى أنه

محمد عليه السلام وقال النجم قلب محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم هوى انشرح من الانوار وقال
انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء في قوله والفجر
وليال عشر الفجر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
لان منه تفجر الايمان الفصل الخامس في قسمه تعالى
جده له لتحقق مكانته عنده قال جل اسمه والضحى
والليل اذا سجى السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة
فقيل كان ترك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام
وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت
السورة قال القاضي ابو الفضل تضمنت هذه السورة
من كرامة الله له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه
الاول القسم له عما اخبره به من حاله بقوله والضحى
والليل اذا سجى اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة
الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله
ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك وما ابغضك
وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث قوله
وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحق اي ما لك
في مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا

وقال سهل اي ما ادخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود
خير لك مما اعطيتك في الدنيا الرابع قوله ولسوف
يعطيك ربك فترضى وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة
وانواع السعادة وشتات الانعام في الدارين
والزيادة وقال ابن اسحق يرضيه بالفلج في الدنيا
والثواب في الآخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة
وروي عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ليس آية في القرآن ارجى منها ولا يرضى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان يدخل احد من امته
النار الخامس ما عدده تعالى عليه من نعمه وقرره
من الآلاء قبله في بقية السورة من هدايته الى ما
هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير
ولا مال له فاغناه بما آتاه او بما جعله في قلبه
من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه وآواه
اليه وقيل المعنى آواه الله وقيل يتيما لا مثال لك
فآواك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا
فاغنى بك عائلا وآوى بك يتيما ذكره بهذه المنن
وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره
وعيلته ويتمه وقيل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه

فكيف بعد اختصاصه واصطفائه السادس أمره
باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره
واشادة ذكره بقوله وأما بنعمة ربك فحدث. فان
من شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص له عام لامته
وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى
من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون في قوله والنجم
بأقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن
وعن جعفر بن محمد انه محمد عليه السلام وقال سهل
هو قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قيل
في قوله والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق
النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت هذه الآيات
من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد واقسم
جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى
وصدقه فيما تلا وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله
جبرائيل وهو الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته
بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى
وتصديق بصره فيما رأى وانه رأى من آيات ربه الكبرى
وقد نبه على مثل هذا تعالى في اول سورة الاسراء

ولما كان ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت
وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات
ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى
بالايماء والكناية الدالة على التعظيم فقال فأوحى
الى عبده ما أوحى وهذا النوع من الكلام يسميه
اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم
ابلغ ابواب الايجاز وقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى
انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام
في تعيين تلك الآيات الكبرى قال الفقيه القاضي
ابو الفضل واشتملت هذه الآيات على اعلام الله تعالى
بتزكية جملته عليه السلام وعصمته من الآفات
في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه فزكى
قلبه بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى. ولسانه
بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله تعالى
ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى فلا اقسم بالخنس
الجوار الكنس الى قوله وما هو على الغيب بضنين
وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم اي اقسم انه
لقول رسول كريم اي كريم عند مرسله ذي قوة
على تبليغ ما حمله من الوحي مكين اي متمكن المنزلة

من ربه عز وجل رفيع المحل عنده مطاع ثم أمين
أي في السماء أمين على الوحي قال علي بن عيسى وغيره
الرسول الكريم هنا محمد عليه السلام فجميع الاوصاف
بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل فترجع الاوصاف
اليه ولقد رآه يعني محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم
قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل في صورته وما هو على الغيب
بضنين أي بمتهم ومن قرأه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل
بالدعاء له والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد
صلى الله تعالى عليه وسلم باتفاق وقال تعالى ن
والقلم الاية اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه
على تنزيه المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم مما
غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وآنسه وبسط امله
بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون
وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى درجات الاداب
في المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب
غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه فقال
وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من هباته
وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التأكيد
فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل الاسلام

وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله قال
الواسطي اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه
من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله على ذلك
الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد
الذي يسر الخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله
وجازاه عليه سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله
ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم
وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث ايات
ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه
وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه
صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر بضع عشرة خصلة
من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين الى قوله
اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق
بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم
فكانت نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده
تعالى على عدوه ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده
الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى في جهته
عليه السلام مورد الشفقة والاكرام قال الله تعالى
طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى . قيل طه اسم

من أسمائه عليه السلام وقيل هو اسم لله تعالى وقيل
معناه يا رجل وقيل يا إنسان وقيل هي حروف مقطعة
لمعان قال الواسطي أراد يا طاهر يا هادي وقيل هو
أمر من الوطء والهاء كناية عن الأرض أي اعتمد على الأرض
بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة
وهو قوله تعالى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الآية
فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر
والتعب وقيام الليل أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد
ابن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي أبي الوليد الباجي
إجازة ومن أصله نقلت قال حدثنا أبو ذر الحافظ
حدثنا أبو محمد الحموي حدثنا إبراهيم بن خزيم الشاشي
قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا هاشم بن القاسم
عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال كان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى
فأنزل الله تعالى طه يعني طإ الأرض يا محمد ما أنزلنا
عليك القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من الإكرام
وحسن المعاملة وإن جعلنا طه من أسمائه عليه السلام
كما قيل أو جعلت قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا
من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع

نفسك

نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا •
أي قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا أو جزعا ومثله
قوله أيضا لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين •
ثم قال إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت
أعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله تعالى
فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إلى قوله ولقد
نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون إلى آخر السورة
وقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية
قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكره وهون عليه
ما يلقى من المشركين وأعلمه أن من تمادى على ذلك
يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى
وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا
قوله تعالى كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول
إلا قالوا ساحر أو مجنون • عزاه الله تعالى بما أخبره
به عن الأمم السالفة ومقالها لأنبيائهم قبله
ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله
من كفار مكة وأنه ليس أول من لقي ذلك ثم طيب نفسه
وأبان عذره بقوله فتول عنهم أي أعرض عنهم
فما أنت بملوم • أي في أداء ما بلغت وإبلاغ ما حملت

ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا
اى اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله
بهذه فى اى كثيرة من هذا المعنى **الفصل السابع** فيما
اخبر الله به فى كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته
على الانبياء عليهم السلام وحظوة رتبته قوله تعالى
واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة
الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن القابسى استخص الله
محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بفضل لم يؤتِه غيره
ابانه به وهو ما ذكره فى هذه الاية. قال المفسرون
اخذ الله الميثاق بالوحى فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا
صلى الله تعالى عليه وسلم ونعته واخذ عليه ميثاقه
ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه ويأخذ
ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب
لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله تعالى عليه
وسلم. قال على بن ابى طالب رضى الله عنه لم يبعث الله
نبيا من ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد فى محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم لئن بعث وهو حى ليؤمنن
به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه
عن السدى وقتادة فى اى تضمنت فضله من غير وجه واحد

قال الله تعالى

قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح الاية وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح الى قوله شهيدا وروى عن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه انه قال فى كلام بكى به النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم. فقال بابى وامى انت يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك اخر الانبياء
وذكرك فى اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح الاية بابى وامى انت يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا
اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا
اطعنا الله واطعنا الرسولا قال قتادة ان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنت اول الانبياء
فى الخلق واخرهم فى البعث فلذلك وقع ذكره مقدما
هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندى فى هذا تفضيل نبينا
عليه السلام لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم
المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر ادم
كالذر وقال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض الاية قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع
بعضهم درجات محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم

لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت له الغنائم
وظهرت على يده المعجزات وليس احد من الانبياء
اعطى فضيلة او كرامة الا وقد اعطي محمدا صلى الله
تعالى عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله
تعالى خاطب الانبياء عليهم السلام باسمائهم
وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا ايها النبي
ويا ايها الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله
تعالى وان من شيعته لابرهيم ان الهاء عائدة
على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اي من شيعة محمد
لابرهيم اي على دينه ومنهاجه واختاره الفراء وحكاه
عنه مكي وقيل المراد نوح عليه السلام الفصل الثامن
في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له
ودفعه العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم ما كنت بمكة فلما خرج النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة وبقي فيها من بقي
من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
وهذا مثل قوله تعالى لو تزيلوا الاية وقوله تعالى
ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الاية فلما هاجر
المؤمنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون

عن المسجد الحرام

عن المسجد الحرام وهذا من ابين ما يظهر مكانته
صلى الله تعالى عليه وسلم ودرأته العذاب عن اهل مكة
بسبب كونه ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم فلما
خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم
وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم واورثهم
ارضهم وديارهم واموالهم وفي الاية ايضا تاويل اخر
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله بقراءتي
عليه قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين
الصيرفي قالا حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة حدثنا
ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب المروزي حدثنا
ابو عيسى الحافظ حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن نمير
عن اسمعيل بن ابرهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف
عن ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم انزل الله علي امانين لامتي
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار
ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
قال عليه السلام انا امان لاصحابي قيل من البدع
وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول

صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش
وما دامت سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته
فانتظر البلاء والفتن وقال تعالى ان الله وملئكته
يصلون على النبي الاية ابان الله فضل نبيه
صلى الله تعالى عليه وسلم بصلاته عليه ثم
بصلاة ملئكته وامر عباده بالصلوة والتسليم
عليه وقد حكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء تأول
قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة
على هذا اي في صلاة الله علي وملئكته وامره الامة
بذلك الى يوم القيمة فالصلاة من الملئكة ومنا له
دعاء ومن الله عز وجل رحمة وقيل يصلون يباركون
وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة
عليه بين لفظ الصلاة والبركة وسنذكر حكم الصلاة
عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص
ان الكاف من كاف اي كفاية الله تعالى لنبيه صلى الله
تعالى عليه وسلم قال الله تعالى اليس الله بكاف
عبده والهاء هداية له قوله تعالى ويهديك صراطا
مستقيما والياء تأييده تعالى قال وايدك بنصره
والعين عصمته له قال تعالى والله يعصمك من الناس

والصاد

والصاد صلوته عليه قال تعالى ان الله وملئكته
يصلون على النبي وقال الله وان تظاهرا عليه
فان الله هو موليه وجبريل الاية اي وليه
وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملئكة وقيل
ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وقيل علي رضي الله عنه
وقيل المؤمنون على ظاهره الفصل التاسع فيما تضمنته
سورة الفتح من كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم
قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله
فوق ايديهم فمن نكت تضمنت هذه الايات من فضله
والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته
لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتدأ جل جلاله
باعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره
وعليه على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور
له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد تعالى
غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك وقال
مكي جعل الله المنة سببا للمغفرة وكل من عنده
لا اله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال
ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر لك وقيل
بفتح مكة والطائف وقيل برفع ذكرك في الدنيا

وينصرك ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته عليه
بخضوع متكبري عدوه له وفتح أهم البلاد عليه
وأجهاله ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم
المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز
ومنته على أمته المؤمنين بالسكينة والطمانينة
التي جعلها في قلوبهم وبشاراتهم بما لهم عند ربهم
بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم
وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة ولعنهم وبعدهم
من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال تبارك وتعالى
إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية
فعدّ محاسنه وخصائصه من شهادته على أمته لنفسه
بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد
ومبشرا لأمته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا
عدوه بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات لتؤمن
بالله ثم بر من سبقت له من الله الحسنى وتعزروه أي
يجلونه وقيل ينصرونه وقيل يبالغون في تعظيمه
ويوقروه أي يعظموه وقرأ بعضهم يعززوه بزائين
من العز والأكثر والأظهر أن هذا في حق محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم ثم قال ويسبحوه فهنا راجع إلى الله

تبارك وتعالى قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة
من الفتح المبين وهو من أعلام الإجابة والمغفرة
وهي من أعلام المحبة وتمام النعمة وهي من أعلام الاختصاص
والهداية وهي من أعلام الولاية والمغفرة تبرئة
من العيوب وتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة
والهداية وهي الدعوة إلى المشاهدة وقال جعفر
ابن محمد من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبه
وأقسم بحياته ونسخ به شرايع غيره وعرج به
إلى المحل الأعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ
البصر وما طغى وبعثه إلى الأحمر والأسود وأحل له
ولأمته الغنائم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم
وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله أحد ركني التوحيد
ثم قال إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يعني
بيعة الرضوان أي إنما يبايعون الله ببيعهم إياك يد الله
فوق أيديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل
ثواب الله وقيل منته وقيل عقده وهذه استعارة
وتجنيس في الكلام وتأكيد لعقد بيعتهم إياه
وعظم شأن المبايع صلى الله تعالى عليه وسلم

وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله
قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وإن كان الأول
في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لأن القاتل والرامي
بالحقيقة هو الله وهو خالق فعله ورميه وقدرته
عليه ومسببه ولأنه ليس في قدرة البشر
توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم
من لم تملأ عينيه وكذا قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل
في هذه الآية الأخرى إنها على المجاز العربي في
مقابلة اللفظ ومناسبته أي ما قتلتموهم وما رميتهم
أنت إذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله
رمى قلوبهم بالجزع أي إن منفعة الرمي كانت من فعل الله
فهو القاتل والرامي بالمعنى وأنت بالاسم **الفصل العاشر**
فيما أظهره الله في كتابه العزيز من كرامته عليه
ومكانته عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم
فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه الله تبارك وتعالى
من قصة الإسراء وفي سورة سبحان الذي والنجم
وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه
ومشاهدته ما شاهد من العجائب ومن ذلك عصمته
من الناس بقوله والله يعصمك من الناس وقوله

وإذ يمكر

وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية وقوله إلا تنصروه
فقد نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه القصة
من أذيتهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم نجيا في أمره
والأخذ على أبصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم
عن طلبه في الغار وما ظهر لهم في ذلك من الآيات
ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك
حسب ما ذكره أهل الحديث والسير في قصة الغار
وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى إنا أعطيناك
الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر
أعلمه الله بما أعطاه . والكوثر حوضه . وقيل نهر
في الجنة . وقيل الخير الكثير . وقيل الشفاعة . وقيل
المعجزات الكثيرة . وقيل النبوة . وقيل المعرفة .
ثم أجاب عنه عدوه ورد عليه بقوله فقال تعالى
إن شانئك هو الأبتر . أي عدوك ومبغضك
والأبتر الحقير الذليل والمفرد الوحيد والذي
لا خير فيه وقال تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني
والقرآن العظيم . قيل السبع المثاني السور الطوال
الأول والقرآن العظيم أم القرآن وقيل السبع المثاني
أم القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل السبع المثاني

ما في القرآن من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل
واعداد نعم وآتيناك نبأ القرآن العظيم • وقيل
سميت ام القرآن مثانى لانها تثنى في كل ركعة
وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله تعالى عليه
وسلم وذخرها له دون سائر الانبياء وسمى القرآن
مثانى لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثانى
اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة
والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة وقال عز
وجل وانزلنا اليك الذكر الآية وقال تعالى وما ارسلناك
الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال تعالى قل يا ايها الناس
انى رسول الله اليكم جميعا الآية قال القاضي فهذه
من خصائصه وقال تعالى وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا
صلى الله تعالى عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال
صلى الله تعالى عليه وسلم • بعثت الى الاحمر
والاسود • وقال تعالى النبى اولى بالمؤمنين
من انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير
اولى بالمؤمنين من انفسهم اى ما انفذه فيهم من امر
فهو ماض عليهم كما يمضى حكم السيد على عبده

وقيل

وقيل اتباع امره اولى من اتباع رأى نفسه وازواجه
امهاتهم اى هن في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن
عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن ازواج
له في الآخرة وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرأ به الآن
لمخالفته المصحف وقد قال تعالى وانزل الله عليك
الكتاب والحكمة الآية قيل فضله العظيم بالنبوة
وقيل بما سبق له في الازل واشار الواسطى الى انها
اشارة الى احتمال الرؤية التى لم يحتملها موسى
صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما

الباب الثاني

في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه
جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا اعلم
ايها المحب لهذا النبي الكريم صلى الله تعالى عليه
وسلم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان
خصال الجمال والكمال في البشر نوعان ضرورى
دنيوى اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا
ومكتسب دينى وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله
زلفى ثم هى على فنين ايضا منها ما يتخلص لاحد
الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضرورة
المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب

مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته
وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه
وقوة حواسه وأعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه
وعزة قومه وكرم أرضه ويلحق به ما تدعوه
ضرورة حياته إليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه
ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الآخرة
بالأخروية إذا قصد بها التقوى ومعونة البدن
على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة
وقوانين الشريعة وأما المكتسبة الأخروية
فسائر الأخلاق العلية والآداب الشرعية من الدين
والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد
والتواضع والعفو والعفة والجود والشفاعة
والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار
والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها
وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه
الأخلاق ما هو في الغريزة وأصل الجبلة لبعض الناس
وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد أن يكون
فيه من أصولها في أصل الجبلة شعبة كما سنبينه
إن شاء الله تعالى وتكون هذه الأخلاق دنيوية

إذ لم يردبها

إذ لم يرد بها وجه الله والدار الآخرة ولكنها
كلها محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول
السليمة وإن اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها
فصل قال القاضي إذا كانت خصال الجلال والكمال
ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها
أو اثنتين إن اتفقت له في كل عصر وآن إما
من نسب أو جمال أو قوة أو علم أو حلم أو شجاعة أو
سماحة حتى يعظم قدره ويضرب باسمه الأمثال
ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب أثرة وعظمة
وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدره
من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عد
ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة
إلا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة
والخلة والمحبة والاصطفاء والإسراء والرؤية
والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة
والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود
والبراق والمعراج والبعث إلى الأحمر والأسود
والصلاة بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء
والأمم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة

والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم
والامانة والهداية ورحمة للعالمين واعطاء الرضاء
والسؤل والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو
عما تقدم وتأخر وشرح الصدر ووضع الوزر
ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتأييد
بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني
والقرآن العظيم وتزكية الامة والدعاء الى الله
وصلوة الله والملائكة والحكم بين الناس بما اراه الله
ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه
واجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم
واحياء الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه
وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس
وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب
وظل الغمام وتسبيح الحصا وابراء الالام والعصمة
من الناس الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه
الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما اعد له
في الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس
ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف
دونها العقول ويحار دون ادانيها الوهم

فصل

ان قلت

ان قلت اكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة
انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعلى الناس قدرا
واعظمهم محلا واكملهم محاسنا وفضلا وقد ذهبت
في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف
عليها من اوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم تفصيلا
فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي
الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال
التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته
حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف
بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع
اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائها في حسنها
فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك
من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة والبراء بن عازب
وعائشة ام المؤمنين وابن ابي هالة وابي جحيفة
وجابر بن سمرة وام معبد وابن عباس ومعرض
ابن معيقيب وابي الطفيل والعداء بن خالد وخريم
ابن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم من انه صلى الله
تعالى عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل
اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج

مدور الوجه. واسع الجبين. كث اللحية تملأ صدره
سواء البطن والصدر. واسع الصدر عظيم المنكبين
ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل
رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف
انور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل
البائن ولا بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه
احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله تعالى عليه
وسلم. رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق
وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رئي كالنور يخرج
من ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا بمكلثم
متماسك البدن ضرب اللحم. قال البراء ما رأيت
من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله
صلى الله عليه وسلم. وقال ابو هريرة ما رأيت شيئا
احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلألأ
في الجدر. وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان
وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم مثل السيف
فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا
وقالت ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل الناس

من بعيد

من بعيد واحلاه واحسنه من قريب. وفي حديث
ابن ابي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر
وقال علي رضي الله عنه في اخر وصفه له من رآه بديهة
هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار
قبله ولا بعده مثله صلى الله تعالى عليه وسلم
والاحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول
بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها
وجملة بما فيه الكفاية في القصد الى المطلوب
وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف
عليه هناك ان شاء الله تعالى **فصل** واما
نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار
وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك
بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع
وخصال الفطرة العشر. وقال صلى الله تعالى عليه
وسلم. بني الدين على النظافة. حدثنا سفيان بن العاص
وغير واحد قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا ابو العباس
الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان
حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمن
عن ثابت عن انس رضي الله عنه قال ما شممت عنبرا قط

ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله
تعالى عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا
وريحا كانه اخرجها من جونة عطار قال غيره مسها
بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد
ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان
بريحها ونام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
في دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها
عرقه فسألها صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك
فقالت نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر
البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه
سلكه من طيبه ذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت رايحته
بلا طيب صلى الله تعالى عليه وسلم وروى المزني
عن جابر اردفني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خلفه
فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم على مسكا
وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله صلى الله
تعالى عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت
الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رايحة

طيبة صلى الله عليه وسلم واسند محمد بن سعد
كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عايشة رضي الله عنها
قالت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انك تاتي
الخلاء فلا نرى منك شيئا من الاذى فقال يا عايشة
او ما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء
فلا يرى منه شيء وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا
فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين منه
صلى الله تعالى عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي
حكاه الامام ابو نصر بن الصباغ في شامله وقد حكى
القولين عن العلماء في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي
في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع
لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد
هذا انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره
ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذهبت انظر
ما يكون من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا
قال وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط
ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته ومنه

شرب مالك بن سنان دمه يوم أحد ومصه إياه • وتسويغه صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله دم حجامته فقال له عليه السلام ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكره عليه • وقد روي نحو من هذا عنه في امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك أبدا ولم يأمر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح ألزم الدارقطني مسلما والبخاري إخراجه في الصحيح واسم هذه المرأة بركة واختلف في نسبها وقيل هي أم أيمن وكانت تخدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قالت كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسأل بركة عنه فقالت قمت وأنا عطشانة فشربته وأنا لا أعلم روى حديثها ابن جريج وغيره • وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع السرة وروي عن أمه آمنة أنها قالت ولدته نظيفا ما به قذر • وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط

وعن علي

30

وعن علي رضي الله عنه أوصاني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يغسله غيري فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضأ قال عكرمة لأنه كان صلى الله عليه وسلم محفوظا

فصل وأما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية أنه كان صلى الله تعالى عليه وسلم أعقل الناس وأذكاهم ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهة وهذا مما لا يحتاج إلى تقريره لتحقيقه وقد قال وهب بن منبه قرأت في أحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا وفي رواية أخرى فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس

من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله
صلى الله تعالى عليه وسلم إلا كحبة رمل من بين
رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم إذا قام إلى الصلوة يرى من خلفه كما يرى
من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين
وفي الموطأ عنه عليه الصلوة والسلام إني لأراكم
من وراء ظهري ونحوه عن أنس في الصحيحين وعن عائشة
رضي الله عنها مثله قالت زيادة زاده الله إياها
في حجته وفي بعض الروايات إني لأنظر من ورائي كما
أنظر إلى ما بين يدي وفي أخرى إني لأبصر من قفائي
كما أبصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن عائشة
كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الظلمة كما يرى
في الضوء والأخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله تعالى
عليه وسلم للملائكة والشياطين ورفع النجاشي له
صلى الله عليه وسلم حتى صلى عليه وبيت المقدس
حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده وقد
حكي عنه أنه كان يرى في الثريا أحد عشر نجما وهذه
كلها محمولة على رؤية العين وهو قول أحمد بن حنبل وغيره
وذهب بعضهم إلى ردها إلى العلم والظواهر تخالفه

ولا إحالة

ولا إحالة في ذلك وهي من خواص الأنبياء عليهم السلام
وخصالهم كما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل
من كتابه حدثنا أبو الحسن المقرئ الفرغاني حدثنا
أم القاسم بنت أبي بكر عن أبيها قال حدثنا الشريف
أبو الحسن علي بن محمد الحسني حدثنا محمد بن محمد
ابن سعيد حدثنا محمد بن أحمد بن سليمن حدثنا محمد
ابن محمد بن مرزوق حدثنا همام حدثنا الحسن عن قتادة
عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان
يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة
فراسخ ولا يبعد على هذا أن تختص نبينا بما ذكرناه
من هذا الباب بعد الإسراء والحظوة من آيات ربه الكبرى
وقد جاءت الأخبار بأنه صرع ركانة أشد أهل وقته
وقد كان دعاه إلى الإسلام وصارع أبا ركانة
في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلث مرات كل ذلك
يصرعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال
أبو هريرة ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم في مشيه كأنما الأرض تطوى له
إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث وفي صفته

ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى
مشى تقلعا كانما ينحط من صبب **فصل** واما
فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله
تعالى عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع
الذي لا يجهل مع سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز
مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان
وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم
وعلم السنة العرب يخاطب كل امة منها بلسانها
ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها
حتى كان كثير من اصحابه يسألونه في غير موطن
عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره
علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار
واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المعشار الهمداني
وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث
ابن قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت
وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها
ووهاطها وعزازها تأكلون علافها وترعون عفاءها
لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة
ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض

والداجن

والداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ
والقارح وقوله لنهد اللهم بارك لهم في محضها
ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر لهم
الثمد وبارك لهم في المال والولد من اقام الصلوة
كان مسلما ومن اتى الزكوة كان محسنا ومن شهد
ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك
ووضائع الملك لا تلطط في الزكوة ولا تلحد
في الحيوة ولا تتثاقل عن الصلوة وكتب لهم في الوظيفة
الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب
والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم
ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتأكلوا الرباق
من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه
الربوة ومن كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة
والارواع المشابيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة الالياط
ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى
مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى
مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين
ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر
يترفل على الاقيال اين هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور

لمّا كان كلام هؤلاء على هذا الحدّ وبلاغتهم هذا النمط
وأكثر استعمالهم هذه الألفاظ استعملها معهم
ليبيّن للناس ما نزّل إليهم وليحدّث الناس بما يعلمون
وكقوله في حديث عطيّة السعديّ فإنّ اليد العليا
هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلّمنا رسول الله
صلّى الله تعالى عليه وسلّم بلغتنا وقوله في حديث العامريّ
حين سأله فقال له النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم
سل عنك أي سل عمّ شئت وهي لغة بني عامر وأمّا كلامه
المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه
المأثورة فقد ألّف الناس فيها الدواوين وجمعت
في ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة
ولا يبارى بلاغة كقوله عليه السلام المسلمون
تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمّتهم أدناهم وهم يد على من
سواهم وقوله الناس كأسنان المشط والمرء مع من أحبّ
ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن
وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو
بالخيار ما لم يتكلّم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم
أو سكت فسلم وقوله أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك
مرّتين وإنّ أحبّكم إليّ وأقربكم منّي مجالس يوم القيمة

أحاسنكم

أحاسنكم أخلاقا الموطّؤن أكنافا الذين يألفون ويؤلفون
وقوله لعلّه كان يتكلّم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه
وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه
عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ومنع
وهات وعقوق الأمّهات ووأد البنات وقوله اتّق الله
حيث كنت وأتبع السيّئة الحسنة تمحها وخالق الناس
بخلق حسن وخير الأمور أوسطها وقوله عليه السلام
أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما
وقوله الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله في بعض دعائه
اللهمّ إنّي أسألك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري
وتلمّ بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي
وتزكّي بها عملي وتلهمني بها رشدي وتردّ بها ألفتي
وتعصمني بها من كلّ سوء • اللهمّ إنّي أسألك الفوز
في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر
على الأعداء إلى ما روته الكافّة عن الكافّة من مقاماته
ومحاضراته وخطبه وأدعيته ومخاطباته وعهوده
ممّا لا خلاف أنّه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره
وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته
التي لم يسبق إليها ولا قدر أحد أن يفرغ في قالبه عليها

كقوله حمي الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن
من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها
مما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر
في اداني حكمها وقد قال له اصحابه ما راينا الذي هو
افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل القران
بلساني لسان عربي مبين وقال مرة اخرى بيد اني
من قريش ونشات في بني سعد فجمع له في ذلك صلى الله
تعالى عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها
ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التاييد
الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري
وقالت ام معبد في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر
ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت
حسن النغمة صلى الله عليه وسلم **فصل** واما
شرف نسبه وكرم بلده ومنشائه فما لا يحتاج
الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه
نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها افضل العرب
واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة
من اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده **حدثنا** قاضي القضاة
حسين بن محمد الصدفي رحمه الله حدثنا القاضي

ابو الوليد

ابو الوليد سليمن بن خلف حدثنا ابو ذر عبد بن احمد
حدثنا ابو محمد السرخسي وابو اسحق وابو الهيثم
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا
قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو
وعن سعيد المقبري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني ادم
قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس
قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله خلق
الخلق فجعلني من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل
فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني
من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة
ابن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى
من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا
واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من هاشم
قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر
رواه الطبري انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال
ان الله عز وجل اختار خلقه فاختار منهم بني ادم
ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب

فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم
بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختار فلم ازل خيارا
من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب
فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس ان قريشا كانت نورا
بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق آدم بالفي عام يسبح
ذلك النور وتسبح الملائكة لتسبيحه فلما خلق الله آدم
القى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب آدم
وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب ابرهيم ثم
لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة
والارحام الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا
على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس
في مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المشهور

فصل واما ما تدعوا ضرورة الحيوة اليه مما فصلناه
فعلى ثلثة ضروب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل
في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه فاما ما التمدح
والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة
كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح
بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب

دليل

دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة
مسبب لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء الجسد
وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل
على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة
وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم
دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة
مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع
وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا
ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا
من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين
واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث وآثار من سلف
وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا
واقتصارا على اشتهار العلم به وكان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين
بالاقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به
وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما بالآخر **حدثنا**
ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه حدثنا ابو الفضل
الاصفهاني حدثنا ابو نعيم الحافظ حدثنا سليمان
ابن احمد حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن صالح

حدثنا معاوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثنا
عن المقدام بن معدي كرب ان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قال ما ملأ ابن ادم وعاء شرا
من بطنه حسب ابن ادم اكلات يقمن صلبه فان كان
لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه
ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب قال
سفيان الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل
وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا
فترقدوا كثيرا وقد روي عنه صلى الله تعالى عليه
وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي
كثرة الايدي وعن عايشة رضي الله عنها لم يمتلئ
جوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا قط
وانه كان في اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه
ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب
ولا يعترض على هذا بحديث بريرة وقوله ارى البرمة
فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله تعالى عليه
وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سببه اذ رأهم
لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستاثرون عليه به
فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله

هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان يا بني
اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة
وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح
العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم اما انا فلا اكل متكأ والاتكاء
هو التمكن للاكل والتقعد في الجلوس له كالمتربع
وشبهه من تمكن الجلسات التي تعتمد فيها الجالس
على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل
ويستكثر منه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول
انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس
العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق
عند المحققين وكذلك نومه صلى الله تعالى عليه وسلم
كان قليلا شهدت بذلك الاثار الصحيحة ومع ذلك
فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه
على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه
على الجانب الايسر اهنا لهدو القلب وما يتعلق به
من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر
فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام النائم

على الجانبين لا يمن تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة
ولم يغمره الاستغراق فضل والضرب الثاني ما يتفق
التمدح بكثرته والفخر بوجوده كالنكاح والجاه
اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال
وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة
والتمادح به سيرة ماضية . واما في الشرع فسنة
مأثورة وقد قال ابن عباس افضل هذه الامة اكثرها
نساء مشيرا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم - وقد قال
عليه السلام تناكحوا فاني مباه بكم الامم - ونهى
عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر
اللذين نبه عليهما صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله
من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن
للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال
سهل بن عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين فكيف
يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة
كثير الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي
في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء
وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون
النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا

قد اثنى الله

قد اثنى الله عليه انه كان حصورا فكيف يثني الله عليه
بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام
تبتل من النساء ولو كان كما قررته لنكح فاعلم ان
ثناء الله تعالى على يحيى عليه السلام بانه حصور
ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر
هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة
وعيب ولا يليق بالانبياء وانما معناه انه معصوم
من الذنوب اي لا ياتيها كانه حصر عنها وقيل مانعا
نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء
فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص
وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة
كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله كيحيى عليه السلام
فضيلة زائدة لكونها شاغلة في كثير من الاوقات
حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها
وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا
وهي درجة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده
ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه
لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه

هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حبب الي من دنياكم
فدل على ان حبه لما ذكر من النساء والطيب الذين
من امور دنيا غيره واستعماله ذلك ليس لدنياه
بل للاخرة للفوائد التي ذكرناها في التزويج ولقاء الملئكة
في الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه
ويحرك اسبابه وكان حبه لهما بين الخصلتين لاجل غيره
وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته
في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز
بين الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت
قرة عيني في الصلوة فقد ساوى يحيى وعيسى
في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان
صلى الله تعالى عليه وسلم ممن اقدر على القوة في هذا
واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحرائر
ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس انه صلى الله
تعالى عليه وسلم كان يدور على نسائه في ساعة من الليل
والنهار وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث
انه اعطي قوة ثلثين رجلا خرجه النسائي وروى
نحوه عن ابي رافع وعن طاوس اعطي عليه السلام
قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم

وقالت

وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة
قبل ان ياتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب •
وقد قال سليمن عليه السلام لاطوفن الليلة
على مائة امرأة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك
قال ابن عباس رضي الله عنهما كان في ظهر سليمن
ماء مائة رجل او تسع وتسعين وكان له ثلث مائة امرأة
وثلث مائة سرية وحكى النقاش سبع مائة امرأة
وثلث مائة سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده
واكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزوج اورياء
مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى
ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث انس عنه
عليه السلام فضلت على الناس باربع بالسخاء
والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه
فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه
في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام
وجيها في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة فهو مضر
لبعض الناس لعقبى الاخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح
ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو

في الأرض وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد رزق
من الحشمة والمكانة في القلوب في العظمة قبل النبوة
عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون
أصحابه ويقصدون أذاه في نفسه خفية حتى إذا واجههم
عظموا أمره وقضوا حاجته وأخباره في ذلك معروفة
سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره
كما روي عن قيلة أنها لما رأته أرعدت من الفرق فقال
يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث أبي مسعود أن
رجلا قام بين يديه فأرعد فقال هون عليك فإني
لست بملك الحديث فأما عظيم قدره بالنبوة
وتشريف منزلته بالرسالة وإنافة رتبته بالاصطفاء
والكرامة في الدنيا فأمر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة
سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم
بأسره **فصل** وأما الضرب الثالث فهو ما تختلف
الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل
لأجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم
عند العامة لاعتقادها توصله به إلى حاجاته
وتمكن أغراضه بسببه وإلا فليس فضيلة في نفسه
فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له

في مهماته

في مهماته ومهمات من اعتراه وأمله وتصريفه
في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن
والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه
عند أهل الدنيا وإذا صرفه في وجوه البر وأنفقه
في سبيل الخير وقصد بذلك الله والدار الآخرة
كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه
ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه
عاد كثرته كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف
به على جدد السلامة بل أوقعه في هوة رذيلة البخل
ومذمة النذالة فإذا التمدح بالمال وفضيلته
عند مفضله ليست لنفسه وإنما هو للتوصل به
إلى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه إذا لم يضعه
مواضعه ولا وجهه وجوهه غير مليء بالحقيقة
ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند أحد من العقلاء
بل هو فقير أبدا غير واصل إلى غرض من أغراضه
إذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فأشبه
خازن مال غيره ولا مال له فكأنه ليس في يده منه شيء
والمنفق غني مليء بتحصيله فوائد المال وإن لم يبق
في يده شيء من المال فانظر سيرة نبينا صلى الله تعالى

عليه وسلم وخلقه في المال بجده قد أوتي خزائن الأرض
ومفاتيح البلاد وأحلت له الغنائم ولم تحل لنبي
قبله وفتح عليه في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم
بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك
من الشام والعراق وجلب إليه من أخماسها وجزيتها
وصدقاتها ما لا يجبى للملوك إلا بعضه وهادته جماعة
من ملوك الأقاليم فما استأثر بشيء منه ولا أمسك
منه درهما بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره وقوى به
المسلمين وقال ما يسرني أن لي أحدا ذهبا يبيت عندي منه
دينار إلا دينارا أرصده لديني وأتته دنانير مرة
فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه
فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت
ومات صلى الله تعالى عليه وسلم ودرعه مرهونة
في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه
على ما تدعوه ضرورته إليه وزهد فيما سواه فكان يلبس
ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن
والبردة الغليظ ويقسم على من حضره أقبية الديباج
المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره إذ المباهاة
في الملابس والتزين بها ليس من خصال الشرف

والجلالة

والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها
نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله
غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي إلى الشهرة
في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه
في العادة عند الناس إنما تعود إلى الفخر بكثرة الموجود
ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل
وتكثير الآلات وخدمه ومركوباته ومن ملك الأرض
وجبي إليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو
حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة
إن كانت فضيلة زائدا عليها في الفخر ومعرق في المدح
بإضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها
فصل وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة
والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء
على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد
منها فضلا عما فوقه وأثنى الشرع على جميعها وأمر
بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق ووصف
بعضها بأنه من أجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق
وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط
فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها فجميعها قد كانت

عليه وسلم وخلقه في المال بجده فقد اوتي خزائن الارض
ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي
قبله وفتح عليه في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم
بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك
من الشام والعراق وجلب اليه من اخماسها وجزيتها
وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة
من ملوك الاقاليم فما استأثر بشيء منه ولا امسك
منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به
المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه
دينار الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير مرة
فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه
فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت
ومات صلى الله تعالى عليه وسلم ودرعه مرهونة
في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه
على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس
ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن
والبردة الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج
المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره اذ المباهاة
في الملابس والتزين بها ليس من خصال الشرف

والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها
نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله
غير مسقط لمروة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة
في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه
في العادة عند الناس انما تعود الى الفخر بكثرة الموجود
ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل
وتكثير الاته وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض
وجبي اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو
حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة
ان كانت فضيلة زائد عليها في الفخر ومعرق في المدح
باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها

فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة
والاداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء
على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد
منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر
بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق ووصف
بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق
وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط
فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت

بالذبح وهو ابن سبع سنين واذا استدلال ابراهيم
بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر
شهرا • وقيل اوحى الى يوسف وهو صبي عندما هم
اخوته بالقائه في الجب بقوله تعالى وأوحينا
اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الى غير ذلك من اخبارهم
وقد حكى اهل السير ان امنة بنت وهب اخبرت ان
نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ولد حين ولد
باسطا يديه الى الارض رافعا رأسه الى السماء •
وقال في حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نشأت
بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر ولم اهم بشيء
مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله
منهما ثم لم اعد ثم لم يتمكن الامر لهم وتترادف
نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم
حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى
لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية
دون ممارسة ولا رياضة • قال الله تعالى ولما بلغ
اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم
يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد
عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله

تعالى

تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان
على حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان
او السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب
يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب
معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين
الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له
ولهذا ما قد اختلف السلف فيها هل هذا الخلق جبلة
او مكتسب وحكى الطبري عن بعض السلف ان الخلق
الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله
ابن مسعود والحسن بن قال هو الصواب ما اصلناه
وقد روى سعد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة
والكذب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه •
في حديثه والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث
يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الشريفة
كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها
ونحقق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها
ان شاء الله تعالى **فصل** اما اصل فروعها
وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي

منه تنبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي
وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر
للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة
وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل
وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه عليه السلام
وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر
سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه
متحقق عند من تتبع مجاري احواله واطراد سيره
وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدايع سيره
وحكم حديثه وعلمه بما في التورية والانجيل
والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية
وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام
وتقرير الشرايع وتاصيل الاداب النفيسة
والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها
كلامه عليه السلام فيها قدوة واشاراته حجة
كالعبارة والطب والحساب والفرايض والنسب
وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته ان شاء الله تعالى
دون تعليم ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس
الى علمائهم بل نبي امي لم يعرف بشيء من ذلك حتى

شرح الله

شرح الله صدره وابان امره وعلمه واقرأه
يعلم ذلك بالمطالعة والبحث من حاله ضرورة
وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول
بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا اذ مجموعها
ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع
وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله تعالى عليه
وسلم الى سائر ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما
يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته
قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله
عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله
عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك
او ينتهي اليه **فصل** واما الحلم والاحتمال والعفو
مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب
فرق فان الحلم حالة توقير وثبات عند الاسباب
المحركات والاحتمال حبس النفس عند الالام
والموذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة •
واما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما
ادب الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم •
فقال تعالى خذ العفو وامر بالعرف الاية

روي أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت
عليه هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها فقال له
حتى أسأل العالم ثم ذهب فأتاه فقال يا محمد إن الله
يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو
عن من ظلمك وقال له واصبر على ما أصابك الآية
وقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال
وليعفوا وليصفحوا وقال ولمن صبر وغفر إن ذلك
لمن عزم الأمور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله
وإن كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة
وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزيد
مع كثرة الأذى إلا صبرا وعلى إسراف الجاهل
إلا حلما حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن علي
التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب أخبرنا
أبو بكر بن واقد القاضي وغيره حدثنا أبو عيسى
حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا
مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت
ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في أمرين
قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما
كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله

تعالى

تعالى عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله
فينتقم الله بها وروي أن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد
شق ذلك على أصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم
فقال إني لم أبعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة
اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون وروي عن عمر
رضي الله عنه أنه قال في بعض كلامه بأبي أنت وأمي
يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر
على الأرض الآية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا
من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك
وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت
اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون قال القاضي
أبو الفضل انظر ما في هذا القول من جماع الفضل
ودرجات الإحسان وحسن الخلق وكرم النفس
وغاية الصبر والحلم إذ لم يقتصر صلى الله تعالى
عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفى ثم
أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال
اللهم اغفر أو اهد ثم أظهر سبب الشفقة
والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم

فقال فانهم لا يعلمون وَلما قال له الرجل اعدل
فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله تعالى لم يزده
في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها
بما قال له فقال ويحك فمن يعدل اذ لم اعدل خبت
وخسرت ان لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله
ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به
ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتبذ
تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة
فلم ينتبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك
مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال
كن خير آخذ فتركه وعفى عنه فجاء الى قومه فقال
جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو
عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها
على الصحيح من الرواية وانه لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم
اذ سحره وقد اعلم به واوحي اليه بشرح امره
ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ
عبد الله بن ابي واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل

عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال صلى الله تعالى
عليه وسلم لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان
محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم يقتل اصحابه
وعن انس كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وعليه بردة غليظ الحاشية فجبذه اعرابي
بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد
في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري
هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحمل لي
من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال
ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال
لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير
شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة ما رايت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها
قط ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده
شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما
ولا امرأة وجيء اليه برجل فقيل له هذا اراد ان يقتلك
فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لن تراع

لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد
ابن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ
ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم
قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر رضي الله
عنه وشدد له في القول والنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج
يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي
ثم قال لقد بقي من اجله ثلاث وامر عمر يقضيه ماله
ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه
وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء
الا وقد عرفتها في محمد الا اثنتين لم اخبرهما يسبق
حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل الا حلما فاختبره
بهذا فوجده كما وصف والحديث عن حلمه صلى الله
تعالى عليه وسلم وصبره وعفوه عند المقدرة
اكثر من ان نأتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح
والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين
من صبره على مقاسات قريش واذى الجاهلية
ومصابرة الشدائد الصعبة معهم الى ان اظفره الله

عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استيصال شأفتهم
وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا وصفح وقال
ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم
فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم
يغفر الله لكم الآية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال
انس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح
ليقتلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فاخذوا فاعتقهم صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله
وهو الذي كف ايديهم عنكم الآية وقال لابي سفيان
وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب وقتل
عمه واصحابه ومثل بهم فعفى عنه ولاطفه في القول
ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله
فقال بابي انت وامي ما احلمك واوصلك واكرمك
وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى صلى الله تعالى
عليه وسلم فصل واما الجود والكرم والسخاء
والسماحة فمعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم
بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس
فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية

وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه
المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة
والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد
وهو الجود وهو ضد التقتير فكان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم لا يوازى في هذه الاخلاق الكريمة
ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي الصدفي حدثنا القاضي ابو الوليد
الباجي حدثنا ابو ذر الهروي حدثنا ابو الهيثم
الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحق البلخي
حدثنا ابو عبد الله الفربري حدثنا البخاري
حدثنا محمد بن كثير حدثنا سفيان عن ابن المنكدر
سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم عن شيء فقال لا وعن انس وسهل بن سعد
مثله. وقال ابن عباس كان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان
في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام
اجود بالخير من الريح المرسلة. وعن انس ان رجلا
سأله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده
وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة

وأعطى

وأعطى غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان
مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله
تعالى عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له
ورقة بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم
ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة الاف
واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل
اليه صلى الله تعالى عليه وسلم تسعون الف درهم
فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا
حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي
شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه
فقال له عمر رضي الله عنه ما كلفك الله ما
لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله
انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعرف
البشر في وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي
وذكر عن معوذ بن عفراء اتيت النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب
يريد قثاء فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا قال انس

كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يدخر شيئا
لغد والخبر بجوده وكرمه صلى الله تعالى عليه وسلم
كثير وعن ابي هريرة اتى رجل النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه
فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل
والخبر بجوده وكرمه صلى الله تعالى عليه وسلم كثير
وقد قال ابو علي الدقاق من شيوخ المتصوفة المشاهير
وعلمائهم النحارير وتكلم في الفتوة على رأيهم
واصطلاحهم في الفاظهم وهو غاية الكرم والايثار
ان هذا الخلق لا يكون بكماله الا لمحمد صلى الله تعالى
عليه وسلم فان كل واحد في القيمة يقول نفسي نفسي
وهو يقول امتي امتي فصل واما الشجاعة والنجدة
فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل
والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت
حيث يحمد فعلها دون خوف فكان صلى الله تعالى
عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر
المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه
غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر

ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له فرة
وحفظت عنه جولة سواه حدثنا القاضي ابو علي
الجياني فيما كتب لي حدثنا القاضي سراج حدثنا
ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد الفقيه حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا ابن بشار
حدثنا غندر حدثنا شعبة عن ابي اسحق سمع البراء
رضي الله عنه وسأله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال البراء لكن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته
على بغلته البيضاء وابو سفيان اخذ بلجامها والنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب
وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قيل فما رؤي يومئذ احد
كان اشد منه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال غيره
نزل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن بغلته وذكر
مسلم عن العباس رضي الله عنه قال فلما التقى
المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركض بغلته
نحو الكفار وانا اخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع
وابو سفيان اخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث

وقيل كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء
وقال ابن عمر رضي الله عنهما ما رأيت اشجع
ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه انا كنا
اذا حمي البأس ويروى اشتد البأس اتقينا برسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فما يكون احد اقرب
الى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ
بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اقربنا
الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأسا وقيل
كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله تعالى
عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس
رضي الله عنه كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
احسن الناس واجود الناس واشجع الناس لقد فزع
اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت
فتلقاهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر
على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه
وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقي

رسول الله

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتيبة
الا كان اول من يضرب ولما رآه ابي بن خلف يوم احد
وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين افتدى يوم بدر
عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك
عليها فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انا اقتلك ان شاء الله فلما رآه يوم احد شد ابي
على فرسه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول
الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة
تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير
اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فطعنه طعنة في عنقه تدأدأ منها
عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه
فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون
لا بأس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم
اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني
فمات بسرف في قفولهم الى مكة **فصل** واما الحياء

والاغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الانسان
عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا
من فعله والاغضاء التغافل عما يكره الانسان
بطبيعته وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء
قال الله سبحانه وتعالى ان ذلكم كان يؤذي النبي
فيستحيي منكم الآية حدثنا ابو محمد بن عتاب
رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد
حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا
عبدان اخبرنا عبد الله اخبرنا شعبة عن قتادة
سمعت عبد الله مولى انس عن ابي سعيد الخدري كان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشد حياء
من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه
في وجهه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لطيف البشرة
رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس
وعن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل
ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام

يصنعون

يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله
وروى انس انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل
له شيئا وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج
قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها . قالت
عائشة في الصحيح لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق
ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح
وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية
عبد الله بن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص وروي
عنه انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد
وانه كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره
وعن عائشة ما رايت فرج رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قط فصل واما حسن عشرته وادبه
وبسط خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم
مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار
الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه صلى الله
تعالى عليه وسلم كان اوسع الناس صدرا
واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم
عشرة حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي

فيما اجازنيه وقرأته على غيره قال حدثنا ابو اسحق
الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الاعرابي
حدثنا ابو داود حدثنا هشام ابو مروان ومحمد
ابن المثنى قالا حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي
سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن
ابن اسعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر قصة في اخرها
فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه
بقطيفة فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم . قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب
واما ان تنصرف فانصرفت وفي رواية اخرى اركب
امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها وكان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم
ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس
ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره
ولا خلقه يتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه
لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه

او قاربه بحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه
ومن ساله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول
قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا
عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن ابي هالة قال
وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ
ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح
يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال الله تعالى
فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب
لانفضوا من حولك وقال ادفع بالتي هي احسن السيئة الاية
وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يجيب من دعاه
ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها .
قال انس خدمت رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال لشيء
صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته .
وعن عايشة رضي الله عنها ما كان احد احسن خلقا
من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما دعاه احد
من اصحابه ولا اهل بيته الا قال له لبيك . وقال
جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم منذ اسلمت ولا راني الا تبسم وكان

صلوات الله تعالى عليه وسلامه يمازح أصحابه
ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم
في حجره ويجيب دعوة العبد والحر والأمة والمسكين
ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر
قال أنس ما التقم أحد أذن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي
ينحي رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها
الآخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له
وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه
بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى
يضيق بهما على أحد يكرم من يدخل عليه وربما
بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم
عليه في الجلوس عليها إن أبى ويكني أصحابه ويدعوهم
بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه
حتى يتجوز فيقطعه بنهي أو قيام ويروى بانتهاء
أو قيام صلى الله تعالى عليه وسلم وروي أنه كان
لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله
عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته وكان أكثر الناس
تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ

أو يخطب قال عبد الله بن الحارث ما رأيت أحدا
أكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وعن أنس كان خدم المدينة يأتون رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم إذا صلى الغداة بآنيتهم
فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها وربما كان
ذلك في الغداة الباردة يريدون بها التبرك فصل
وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد
قال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم
بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال وما أرسلناك إلا رحمة
للعالمين قال بعضهم من فضله عليه السلام
أن الله أعطاه اسمين من أسمائه فقال بالمؤمنين
رؤوف رحيم وحكى نحوه الإمام أبو بكر بن فورك
حدثنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي
عليه حدثنا إمام الحرمين أبو علي الطبري حدثنا
عبد الغافر الفارسي حدثنا إبراهيم بن سفيان حدثنا
أبو أحمد الجلودي حدثنا محمد بن مسلم بن الحجاج حدثنا
أبو الطاهر أخبرنا ابن وهب أخبرنا يونس عن ابن شهاب
قال غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غزوة
وذكر حنينا قال فأعطى رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم صفوان بن امية مائة من النعم ثم مائة ثم
مائة قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان
صفوان قال والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه
لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي
وروي ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه
ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب
المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام
ودخل منزله وارسل اليه وزاده شيئا ثم قال احسنت
اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال
له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انك قلت ما قلت
وفي انفس اصحابي من ذلك شيء فان احببت فقل بين ايديهم
ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال
نعم فلما كان الغدا والعشي جاء فقال النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه
فزعم انه رضي اكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل
وعشيرة خيرا . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه
فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم
صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم

واعلم

واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض
فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها
واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل
ما قال فقتلتموه دخل النار وروي عنه صلى الله
تعالى عليه وسلم انه قال لا يبلغني احد منكم عن احد
من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر
ومن شفقته على امته صلى الله تعالى عليه وسلم
تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة
ان تفرض عليهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء
وخبر صلاة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته
دخول الكعبة لهم لئلا يتعب امته ورغبته لربه تعالى
ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان يسمع
بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى الله
تعالى عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل
سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكوة ورحمة وصلاة
وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة ولما
كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلام فقال له ان الله
قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر

ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال
وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت ان اطبق
عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من
يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وروى
ابن المنكدر ان جبريل عليه السلام قال للنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله امر السماء
والارض والجبال ان تطيعك فقال اؤخر عن امتي
لعل الله ان يتوب عليهم قالت عايشة رضي الله عنها
ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين امرين
الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتخولنا
بالموعظة مخافة السامة علينا وعن عايشة رضي الله
عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليك
بالرفق **فصل** واما خلقه صلى الله تعالى عليه
وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم
حدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراءتي عليه
قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد حدثنا ابو اسحق الحبال

حدثنا

حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الاعرابي
حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد
ابن سنان حدثنا ابرهيم بن طهمان عن بديل
عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله
ابن ابي الحمساء بايعت النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته
ان اتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث
فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي
انا ههنا منذ ثلاث انتظرك وعن انس كان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا
بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها
كانت تحب خديجة وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت
ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه
يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلائلها
واستأذنت عليه اختها فارتاح اليها ودخلت
عليه امرأة فهش لها واحسن السؤال عنها فلما
خرجت قال انها كانت تأتينا ايام خديجة وان
حسن العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال كان
يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم إن آل أبي فلان ليسوا
لي بأولياء غير أن لهم رحما سأبلها ببلالها وقد صلى
عليه السلام بأمامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه
فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها وعن أبي قتادة قال
وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يخدمهم فقال له أصحابه نكفيك فقال إنهم كانوا
لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافئهم ولما جيء
بأخته من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت
له بسط لها رداءه وقال لها إن أحببت أقمت عندي مكرمة
محببة أو متعتك ورجعت إلى قومك فاختارت قومها
فمتعها وقال أبو الطفيل رأيت النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وأنا غلام إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه
فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا
أمه التي أرضعته وعن عمرو بن السائب أن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا يوما فأقبل
أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه
ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر
فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فأجلسه بين يديه وكان

يبعث

يبعث إلى ثويبة مولاة أبي لهب مرضعته بصلة وكسوة
فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل لا أحد •
وفي حديث خديجة رضي الله عنها أنها قالت له
صلى الله تعالى عليه وسلم أبشر فوالله لا يخزيك الله
أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف
وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق **فصل** وأما
تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم على علو منصبه
ورفعة رتبته وكان أشد الناس تواضعا وأقلهم
كبرا وحسبك أنه خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا
عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا فقال له إسرافيل
عند ذلك فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك
سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق الأرض عنه
وأول شافع **حدثنا** الفقيه أبو الوليد بن العواد
رحمه الله تعالى بقراءتي عليه في منزله بقرطبة
في سنة سبع وخمسمائة حدثنا أبو علي الحافظ
حدثنا أبو عمر حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا
ابن داسة حدثنا أبو داود حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة
حدثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن أبي العنبس
عن أبي العدبس عن أبي مرزوق عن أبي غالب عن أبي أمامة

قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
متوكئا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم
الاعاجم يعظم بعضها بعضا وقال انما انا عبد آكل
كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان صلى الله
تعالى عليه وسلم يركب الحمار ويردف خلفه ويعود
المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد
ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس
جلس وفي حديث عمر رضي الله عنه عنه صلى الله
تعالى عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم
انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس ان امرأة
كان في عقلها شيء جاءته فقالت ان لي اليك حاجة
قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس
اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس
كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركب الحمار
ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على حمار
مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى
الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب قال وحج
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على رحل رث

وعليه

وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم فقال
اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا
وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك
مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها
بجيوش المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس
قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله
تعالى عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى
ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني على موسى
ونحن احق بالشك من ابرهيم ولو لبثت ما لبث
يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال للذي قال له
يا خير البرية ذلك ابرهيم وسياتي الكلام على هذه
الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى وعن عائشة
والحسن وابي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم
يزيد على بعض كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته
ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم
البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل
مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق
وعن انس ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتأخذ

بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنطلق
به حيث شاءت حتى تقضي حاجتها ودخل عليه
رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك
فاني لست بملك انما انا ابن امرأة من قريش تاكل
القديد • وعن ابي هريرة دخلت السوق مع النبي
صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان زن
وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم
بملوكها ولست بملك وانما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل
فذهبت لاحمله فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله

فصل واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته
وصدق لهجته فكان النبي صلى الله عليه وسلم امن الناس
واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف
له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحق
كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة
وقال الله تعالى **مطاع ثم امين** اكثر المفسرين
على انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولما اختلف
قريش وتحاربت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر
حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله تعالى

عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد
هذا الامين قد رضينا به • وعن ابن الربيع بن خثيم
كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
في الجاهلية قبل الاسلام وقال صلى الله تعالى
عليه وسلم والله اني لامين في السماء امين في الارض
حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه
حدثنا ابو الفضل بن خيرون حدثنا ابو يعلى
ابن زوج الحرة حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد
ابن محبوب المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا
ابو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان
عن ابي اسحق عن ناجية بن كعب عن علي ان ابا جهل
قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نكذبك
ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم
لا يكذبونك الاية وروى غيره لا نكذبك وما انت
فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقي ابا جهل
يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك
يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق ام كاذب
فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد
قط وسأل هرقل عنه ابا سفيان فقال هل كنتم

تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قال لا
وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان فيكم محمد غلاما
حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم
أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم
بما جاءكم به قلتم إنه ساحر لا والله ما هو بساحر
وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك
رقها وفي حديث علي في وصفه عليه السلام
أصدق الناس لهجة. قال في الصحيح ويحك فمن يعدل
إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل قالت عائشة
رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم في أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يك
إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وقال أبو العباس
المبرد قسم كسرى أيامه فقال يصلح يوم الريح للنوم
ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو
ويوم الشمس للحوائج وقال ابن خالويه ما كان
أعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون. لكن
نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم جزأ نهاره
ثلثة أجزاء جزء لله وجزء لأهله وجزء لنفسه

ثم جزء

ثم جزء جزءه بينه وبين الناس فكان يستعين
بالخاصة على العامة ويقول أبلغوا حاجة من
لا يستطيع إبلاغي فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع
إبلاغها آمنه الله يوم الفزع الأكبر. وعن الحسن
كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يأخذ
أحدا بقرف أحد ولا يصدق أحدا على أحد وذكر
أبو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه عنه عليه
الصلوة والسلام ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية
يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما
أريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله
برسالته قلت لغلام كان يرعى معي لو أبصرت لي
غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب
فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة سمعت عزفا
بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست أنظر
فضرب على أذني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس
فرجعت ولم أقض شيئا ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك
ثم لم أهم بعد ذلك بسوء **فصل** وأما وقاره
صلى الله تعالى عليه وسلم وصمته وتؤدته
ومروته وحسن هديه فحدثنا أبو علي الجياني

الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال حدثنا ابو العباس
الدلائي اخبرنا ابو ذر الهروي اخبرنا ابو عبد الله
الوراق حدثنا اللؤلؤي حدثنا ابو داود حدثنا
عبد الرحمن بن سلام قال حدثنا حجاج بن محمد
عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عمر بن عبد العزيز
عن وهب سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه
لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري
كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جلس
في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه
صلى الله تعالى عليه وسلم محتبيا • وعن جابر بن سمرة
انه تربع وربما جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة
وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض
عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه
فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه
عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه
مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات
ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما
على رؤسهم الطير • وفي صفته صلى الله تعالى عليه

وسلم

وسلم يخطوا تكفؤا ويمشي هونا كانما ينحط
من صبب • وفي الحديث الآخر اذا مشى مشى مجتمعا
يعرف في مشيته انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر
ولا كسلان • وقال عبد الله بن مسعود ان احسن الهدي
هدي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم • وعن جابر
ابن عبد الله كان في كلام رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ترتيل او ترسيل قال ابن ابي هالة كان
سكوته عليه السلام على اربع على الحلم والحذر
والتقدير والتفكر قالت عائشة رضي الله عنها
كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يحدث حديثا
لو عده العاد احصاه وكان صلى الله تعالى عليه
وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملها
كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب الي من دنياكم
النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة
ومن مروته صلى الله تعالى عليه وسلم نهيه
عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل
مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب
واستعمال خصال الفطرة. فصل واما زهده
في الدنيا فقد تقدم من الاخبار في اثناء هذه السيرة

ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها
وقد سبقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها
ان توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو
يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا حدثنا سفيان
ابن العاص والحسين بن محمد الحافظ والقاضي
ابو عبد الله التيمي قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا
ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي
حدثنا ابن سفيان حدثنا ابو الحسين مسلم بن الحجاج
حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا ابو معاوية
عن الاعمش عن ابرهيم عن الاسود عن عايشة قالت
ما شبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ثلثة ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية
اخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء
لاعطاه الله ما لم يخطر ببال وفي رواية اخرى
ما شبع آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من خبز
بر حتى لقي الله عز وجل وقالت عايشة رضي الله عنها
ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دينارا
ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحارث

ما ترك

ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة
قالت عايشة رضي الله عنها ولقد مات وما في بيتي
شيء ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال لي
اني عرض علي ان تجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا
يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع
فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع
فيه فاحمدك واثني عليك وفي حديث اخر ان جبرائيل
عليه السلام نزل عليه فقال له ان الله يقرئك
السلام ويقول لك اتحب ان اجعل لك هذه الجبال
ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال
يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له
قد يجمعها من لا عقل له • فقال له جبريل ثبتك الله
يا محمد بالقول الثابت • وعن عايشة رضي الله عنها
قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو
الا التمر والماء • وعن عبد الرحمن بن عوف هلك
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يشبع هو
واهل بيته من خبز الشعير • وعن عايشة وابي امامة
وابن عباس نحوه قال ابن عباس كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي

المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وعن انس قال
ما اكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا شاة
سميطا قط وعن عايشة رضي الله عنها انما كان
فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه ليف وعن حفصة
كان فراش رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
في بيتي مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له
ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتمولي الليلة
فذكرنا ذلك له فقال ردوه لحاله فان وطاته
منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير
مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن عايشة رضي الله
عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد
وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل
جايعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه
صيام يومه ولو شاء سال ربه جميع كنوز الارض
ورغد عيشها وثمارها ولقد كنت ابكي له رحمة
مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع
واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك

فيقول

فيقول يا عايشة ما لي وللدنيا اخواني من اولي العزم
من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا
على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مابهم واجزل
ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي
ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب الي
من اللحوق باخواني واخلائي قالت عايشة رضي الله
عنها فما اقام بعد الا شهرا حتى توفي رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فصل واما خوفه ربه
وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه
ولذلك قال فيما حدثناه ابو محمد بن عتاب قراءة
مني عليه قال حدثنا ابو القاسم الطرابلسي حدثنا
ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا
ابو عبد الله الفربري حدثنا محمد بن اسمعيل
حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب
عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة كان يقول قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا. زاد في روايتنا عن ابي عيسى
الترمذي رفعه الى ابي ذر اني ارى ما لا ترون واسمع
ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها

موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا
لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم
الى الصعدات تجأرون الى الله لوددت انى شجرة
تعضد روى هذا الكلام وددت انى شجرة تعضد
من قول ابى ذر نفسه وهو اصح وفى حديث المغيرة
صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انتفخت قدماه •
وفى رواية انه كان يصلى حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف
هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال
افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ام سلمة وابى هريرة
وقالت عائشة رضى الله عنها كان عمل رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق
وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول
لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس رضى الله
عنهم وقالت كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا
الا رايته مصليا ولا نائما الا رايته نائما وقال عوف
ابن مالك كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ليلة فاستاك ثم توضا ثم قام يصلى فقمت معه
فبدا فاستفتح البقرة فلا يمر باية رحمة الا وقف

فسأل

فسأل ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع
فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذى الجبروت
والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد وقال
مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل
مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا
من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال حتى
قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة •
وعن عائشة رضى الله عنها قام رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم باية من القرآن ليلة وعن عبد الله
ابن الشخير اتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم وهو يصلى ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال
ابن ابى هالة كان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له
راحة وقال عليه السلام انى لاستغفر الله
فى اليوم مائة مرة وروى سبعين مرة • وعن على
رضى الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم • عن سنته فقال المعرفة
راس مالى • والعقل اصل دينى • والحب اساسى •
والشوق مركبى • وذكر الله انيسى • والثقة كنزى •

والحزن رفيقي. والعلم سلاحي. والصبر ردائي.
والرضاء غنيمتي. والعجز فخري. والزهد حرفتي.
واليقين قوتي. والصدق شفيعي. والطاعة حسبي.
والجهاد خلقي. وقرة عيني في الصلوة.
وفي حديث آخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي
لاجل امتي. وشوقي الى ربي فصل اعلم وفقنا الله
واياك ان صفات جميع الانبياء والرسل صلوات الله
تعالى عليهم اجمعين من كمال الخلق وحسن الصورة
وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن في هذه الصفة
لانها من صفات الكمال والكمال والتمام البشري
والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبتهم
اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله
بعضهم على بعض قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين
وقد قال عليه السلام ان اول زمرة يدخلون الجنة
على صورة القمر ليلة البدر ثم قال آخر الحديث
على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم عليه السلام
طوله ستون ذراعا في السماء. وفي حديث ابي هريرة
رايت موسى فاذا هو رجل ضرب رجل اقنى كانه

من رجال

من رجال شنوءة ورايت عيسى فاذا هو رجل ربعة
كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج من ديماس.
وفي حديث آخر مبطن مثل السيف قال وانا اشبه
ولد ابرهيم به وقال في حديث آخر في صفة موسى صلى الله
تعالى عليه وسلم كاحسن ما انت راء من ادم الرجال
وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
ما بعث الله من بعد لوط نبيا الا في ذروة من قومه
ويروى ثروة اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي
عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس
ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت
وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا.
وفي حديث هرقل وسألتك عن نسبه فذكرت انه
فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها
وقال تعالى في ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد
انه اواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله
ويوم يبعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى
الى الصالحين. وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا
وآل ابرهيم وآل عمران الآيتين. وقال في نوح انه
كان عبدا شكورا. وقال ان الله يبشرك بكلمة

منه اسمه المسيح عيسى بن مريم الى الصالحين
وقال اني عبد الله آتاني الكتاب الى ما دمت حيا .
وقال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا
موسى فبرأه الله مما قالوا الاية . قال النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى
من جسده شيء استحياء الحديث وقال تعالى عنه
فوهب لي ربي حكما الاية وقال في وصف جماعة منهم
اني لكم رسول امين وقال ان خير من استأجرت القوي
الامين . وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله
فبهداهم اقتده . فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح
والهدى والاجتباء والحكم والنبوة فقال فبشرناه
بغلام عليم وحليم . وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
وجاءهم رسول كريم الى امين . وقال ستجدني
ان شاء الله من الصابرين وقال في اسمعيل انه كان
صادق الوعد الايتين وفي موسى انه كان مخلصا
وفي سليمن نعم العبد انه اواب وقال واذكر عبادنا
ابرهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار .
الى الاخيار . وفي داود انه اواب ثم قال وشددنا

ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب . وقال
عن يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم
وفي موسى ستجدني ان شاء الله صابرا وقال عن شعيب
ستجدني ان شاء الله من الصالحين . وقال وما اريد
ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما
وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات الاية قال
سفيان هو الحزن الدائم في اي كثيرة ذكر فيها
من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم
وجاء من ذلك في الاحاديث كثير كقوله انما الكريم
ابن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق
ابن ابرهيم نبي بن نبي بن نبي بن نبي وفي حديث انس وكذلك
الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان
سليمن كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء
تخشعا وتواضعا لله وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة
ويأكل خبز الشعير واوحى الله تعالى اليه يا رأس العابدين
وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو
على الريح في جنوده فيأمر الريح فيقف فينظر
في حاجتها ويمضي . وقيل ليوسف مالك تجوع وانت

على خزائن الأرض قال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع
وروى أبو هريرة عنه عليه السلام خفف على داود
القرآن وكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن
قبل أن تسرج ولا يأكل إلا من عمل يده قال الله تعالى
وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد
وكان سأل ربه أن يرزقه عملاً بيده يغنيه عن بيت
مال الله وقال عليه السلام أحب الصلاة إلى الله
صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود كان
ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم
يوماً ويفطر يوماً وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر
ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه
بالدموع ولم ير ضاحكاً بعد الخطيئة ولا شاخصاً
ببصره إلى السماء حياءً من ربه ولم يزل باكياً حياته كلها
وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت
الدموع في خده أخدوداً وقيل كان يخرج متنكراً
يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعاً
وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حماراً قال أنا أكرم
على الله من أن يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر ويأكل
الشجر ولم يكن له بيت يأوي إليه أينما أدركه النوم

نام وكان أحب الأسامي إليه أن يقال له مسكين
وقيل أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين
كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال • وقال
عليه السلام لقد كان الأنبياء قبلي يبتلى أحدهم
بالفقر والقمل وكان ذلك أحب إليهم من العطاء
إليكم وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب
بسلام فقيل له في ذلك فقال أكره أن أعود لساني
المنطق بسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب
وكان يبكي من خشية الله عز وجل حتى اتخذت الدمع
مجرى في خده وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط
الناس • وحكى الطبري عن وهب أن موسى عليه السلام
كان يستظل بعريش ويأكل في نقرة من حجر ويكرع
فيها إذا أراد أن يشرب كما تكرع الدابة تواضعاً لله
بما أكرمه به من كلامه وأخبارهم في هذا كله مسطورة
وصفاتهم في الكمال وجميل الأخلاق وحسن الصورة
والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا نلتفت
إلى ما تجده في كتب بعض جهلة المؤرخين أو المفسرين
مما يخالف هذا **فصل** قد أتيناك أكرمك الله
من ذكر الأخلاق الحميدة والفضائل المجيدة

وخصال الكمال العديدة • وأريناك صحتها له
صلى الله تعالى عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه
مقنع والأمر أوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله
تعالى عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده الأدلاء
وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا
أتينا فيه بالمعروف مما أكثره في الصحيح والمشهور
من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض
من فيض ورأينا أن نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن
عن ابن أبي هالة لجمعه من شمائله وأوصافه كثيرا
وإدماجه جملة كافية من سيره وفضائله ونصله بتنبيه
لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي أبو علي الحسين
ابن محمد الحافظ بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة
قال حدثنا الإمام أبو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي
قرأت عليه أخبركم الفقيه الأديب أبو بكر محمد
ابن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المحمدي والقاضي
أبو علي الحسن بن علي بن جعفر الوحشي قالوا حدثنا
أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قال
أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي أخبرنا أبو عيسى

محمد بن عيسى

محمد بن عيسى بن سورة الحافظ حدثنا سفيان
ابن وكيع حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن
العجلي إملاء من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم
من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله
عنها يكنى أبا عبد الله عن ابن لأبي هالة عن الحسن
ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال سألت خالي
هند بن أبي هالة قال القاضي أبو علي رحمه الله وقرأت
على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن خداداد
الكرجي الباقلاني قال وأجازنا الشيخ الأجل
أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون قالا حدثنا أبو علي
الحسن بن أحمد بن إبرهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان
ابن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فأقر به قال
حدثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر
ابن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
المعروف بابن أخي طاهر العلوي قال حدثنا إسمعيل
ابن محمد بن إسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
ابن علي بن أبي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن محمد
ابن علي بن الحسين عن أخيه موسى بن جعفر عن جعفر
ابن محمد عن أبيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال

قال الحسن بن علي واللفظ لهذا السند سألت خالي
هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وكان وصافا وأنا أرجو أن يصف لي منها
شيئا أتعلق به قال كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر
ليلة البدر ۔ أطول من المربوع وأقصر من المشذب
عظيم الهامة رجل الشعر إن انفرقت عقيقته فرق
وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه ۔ إذا هو وفره ۔
أزهر اللون ۔ واسع الجبين ۔ أزج الحواجب ۔ سوابغ
من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين
له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمله ۔ أشم كث اللحية
أدعج سهل الخدين ۔ ضليع الفم ۔ أشب مفلج الأسنان
دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة
معتدل الخلق ۔ بادنا متماسكا ۔ سواء البطن والصدر ۔
مسيح الصدر ۔ بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس
أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر
يجري كالخط عاري الثديين ۔ ما سوى ذلك
أشعر الذراعين والمنكبين ۔ وأعالي الصدر ۔
طويل الزندين ۔ رحب الراحة ۔ شثن الكفين

والقدمين ۔ سائل الأطراف أو قال سائن الأطراف
سبط العصب ۔ خمصان الأخمصين مسيح القدمين
ينبو عنهما الماء إذا زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا
ويمشي هونا ۔ ذريع المشية ۔ إذا مشى كأنما ينحط
من صبب ۔ وإذا التفت التفت جميعا ۔ خافض الطرف
نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ۔ جل نظره
الملاحظة ۔ يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام ۔
قلت صف لي منطقه ۔ قال كان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم متواصل الأحزان ۔ دائم الفكرة ۔
ليست له راحة ۔ ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت
يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ۔ ويتكلم بجوامع الكلم
فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي
ولا المهين ۔ يعظم النعمة ۔ وإن دقت لا يذم شيئا ۔
لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه إذا تعرض
للحق بشيء حتى ينتصر له ۔ ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر
لها إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها
وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته
اليسرى ۔ وإذا غضب أعرض وأشاح ۔ وإذا فرح غض
طرفه ۔ جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام

قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته
عن هذا فوجدته قد سبقني اليه فسأل اباه عن مدخل
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومخرجه ومجلسه
وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين سألت ابي
عن دخول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك فكان
اذا اوى الى منزله جزأ دخوله ثلثة اجزاء جزأ لله تعالى
وجزأ لنفسه وجزأ لاهله ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس
فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا
فكان من سيرته في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه
وقسمه على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة
ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل
بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من مسئلته عنهم
واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد
منكم الغائب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي
حاجته فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع
ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر عنده
الا ذلك ولا يقبل من احد غيره قال في حديث سفيان بن وكيع
يدخلون روادا ولا يفترقون الا عن ذواق ويخرجون

ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان
يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم
ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس
ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه
ويتفقد اصحابه ويسأل الناس عما في الناس ويحسن
الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر
غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يميلوا لكل حال
عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين
يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة
واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة ومؤازرة
فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا
على ذكر الله ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها
واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر
بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه
ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاومه لحاجة
صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة
لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس

بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق
سواء متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي رواية
الاخرى صاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم
وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن
فيه الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين
يتعاطفون بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير
ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب
فسألته عن سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم في جلسائه
فقال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ
ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل
عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث
من الرياء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس
من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب
عورته ولا يتكلم الا فيما يرجوا ثوابه اذا تكلم اطرق
جلساؤه كانما على رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا
لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا
له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون
منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة

في المنطق

في المنطق ويقول اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها
فارفدوه ولا يطلب الثناء الا من مكافئ ولا يقطع
على احد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام
هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الاخر قلت
كيف كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان
سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر
فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس
واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله
تعالى عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شئ يستفزه
وجمع له في الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به
وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الرأي بما اصلح
امته والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة
انتهى الوصف بحمد الله وعونه فصل في تفسير غريب
هذا الحديث ومشكله قوله المشذب اي البائن الطول
في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الاخر ليس بالطويل
الممغط والشعر الرجل الذي كانه مشط فتكسر قليلا
ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس اراد
ان انفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة
ويروى عقيصته وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن

ومنه زهرة الحيوة الدنيا اى زينتها وهذا كما قال
في الحديث الآخر ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم
والأمهق هو الناصع البياض والآدم الأسمر اللون
ومثله في الحديث الآخر أبيض مشرب اى فيه حمرة
والحاجب الأزج المقوس الطويل الوافر الشعر والأقنى
السائل الأنف المرتفع وسطه والأشم الطويل قصبة الأنف
والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع
في حديث أم معبد وصفه بالقرن والأدعج الشديد
سواد الحدقة وفي الحديث الآخر أشكل العين
وأسجر العين وهو الذي في بياضها حمرة والضليع
الواسع والشنب رونق الأسنان وماؤها وقيل
رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في أسنان الشباب والفلج
فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذي
بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق
يمسك بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الآخر لم يكن
بالمطهم ولا بالمكلثم اى ليس بمسترخي اللحم والمكلثم
القصير الذقن وسواء البطن والصدر اى مستويهما
ومشيح الصدر إن صحت هذه اللفظة فتكون من الإقبال
وهو أحد معاني أشاح اى أنه كان بادي الصدر ولم يكن

في صدره

في صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يصح قوله قبل
سواء البطن والصدر اى ليس بمتقاعس الصدر
ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم
بمعنى عريض كما وقع في الرواية الأخرى وحكاه
ابن دريد والكراديس رؤوس العظام وهو مثل قوله
في الحديث الآخر جليل المشاش والكتد والمشاش
رؤوس المناكب والكتد مجمع الكتفين وشثن الكفين
والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين
وسائل الأطراف اى طويل الأصابع وذكر ابن الأنباري
أنه روى سائل الأطراف أو قال سائن بالنون قال وهما
بمعنى واحد تبدل اللام بالنون إن صحت الرواية بها
وأما على الرواية الأخرى سائر الأطراف فإشارة
إلى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث
ورحب الراحة اى واسعها وقيل كنى به عن سعة العطاء
والجود وخمصان الأخمصين اى متجافي أخمص القدم
وهو الموضع الذي لا تناله الأرض من وسط القدم
ومسيح القدمين اى أملسهما ولهذا قال ينبو عنهما
الماء وفي حديث أبي هريرة خلاف هذا قال فيه
إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص وهذا

يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح
عيسى بن مريم أي لم يكن له أخمص وقيل مسيح لا لحم
عليهما وهذا أيضاً يخالف قوله شثن القدمين
والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل إلى
سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع
الواسع الخطو أي أن مشيه كان يرفع فيه رجليه
بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد
سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال
فكأنما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه
بأشداقه أي بسعة فمه والعرب تمادح بهذا وتذم
بصغر الفم وأشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد
وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة أي جعل
من جزء نفسه ما يوصل الخاصة إليه فتوصل عنه
العامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها
في جزء آخر بالعامة ويدخلون رواداً أي محتاجين
إليه وطالبين لما عنده ولا ينصرفون إلا عن ذواق
قيل عن علم يتعلمونه ويشبه أن يكون على ظاهره أي
في الغالب والأكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر
المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الأماكن

أي

أي لا يتخذ لمصلاه موضعاً معلوماً وقد ورد نهيه
عن هذا مفسراً في غير هذا الحديث وصابره أي حبس
نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم أي
لا يذكرن بسوء ولا تثنى فلتاته أي لا يتحدث بها
أي لم تكن فيه فلتة وإن كانت من أحد سترت
ويرفدون يعينون والصخاب الكثير الصياح وقوله
ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه
ومدحه وقيل إلا من مسلم وقيل إلا من مكافئ على يد
سبقت من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له
ويستفزه يستخفه وفي حديث آخر في وصفه
منهوس العقب أي قليل لحمها وأهدب الأشفار أي
طويل شعرها **الباب الثالث** فيما ورد من صحيح الأخبار
ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه
به في الدارين من كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم
لا خلاف أنه أكرم البشر وسيد ولد آدم وأفضل الناس
منزلة عند الله وأعلاهم درجة وأقربهم زلفى
واعلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جداً
وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا
معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلاً **الفصل الأول**

فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء
ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد ادم وما خصه
به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب اخبرنا
الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه
حدثنا ابو الحسن الفرغاني حدثتنا ام القاسم
بنت ابي بكر بن يعقوب عن ابيها حدثنا حاتم وهو
ابن عقيل عن يحيى وهو ابن اسمعيل عن يحيى الحماني
حدثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما
فذلك قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا
من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين • ثم جعل
القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله
اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون السابقون
فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث
قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى
وجعلناكم شعوبا وقبائل الاية فانا اتقى ولد ادم
واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا
فجعلني من خيرها بيتا فذلك قوله تعالى انما يريد الله

ليذهب

ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
الاية وعن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قالوا يا رسول الله
متى وجبت لك النبوة قال وادم بين الروح والجسد
وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم
اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى
من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم
واصطفاني من هاشم • ومن حديث انس انا
اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس
انا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن عايشة
رضي الله عنها عنه عليه السلام اتاني جبريل عليه السلام
فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا
افضل من محمد ولم ار بني اب افضل من بني هاشم
وعن انس ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتي
بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل
ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه
فارفض عرقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه
عليه السلام لما خلق الله ادم اهبطني في صلبه
الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي

في النار في صلب ابرهيم ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب
الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي
لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار العباس
ابن عبد المطلب رضي الله عنه بقوله من قبلها طبت
في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق ثم هبطت
البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق بل نطفة تركب
السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق تنقل من صالب
الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق حتى احتوى بيتك المهيمن
من خندف علياء تحتها النطق وانت لما ولدت اشرقت
الارض وضاءت بنورك الافق فنحن في ذلك الضياء
وفي النور وسبل الرشاد نخترق يا برد نار الخليل يا سببا
لعصمة النار وهي تحترق وروى عنه صلى الله عليه
وسلم ابو ذر وابن عباس وابن عمر وابو هريرة وجابر
ابن عبد الله رضي الله عنهم انه قال اعطيت خمسا
وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب
مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما
رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي
الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت الى الناس كافة
واعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل

سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض علي امتي فلم يخف
علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر
والاسود قيل السود العرب لان الغالب على الوانهم
الادمة فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض
والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن
وفي الحديث الاخر عن ابي هريرة نصرت بالرعب واوتيت
جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض
فوضعت في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون
وعن عقبة بن عامر انه قال عليه السلام اني فرط لكم
وانا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الان
واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني والله
ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم
ان تنافسوا فيها • وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي
لا نبي بعدي واوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت
خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر بعثت
بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب انه عليه السلام
قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسئل يا رب
اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت

نوحا واعطيت سليمن ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك
الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء
وجعلت الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك
ما تقدم من ذنبك وما تأخر فانت تمشي في الناس
مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت
قلوبا امتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك
ولم اخبأها لنبي غيرك وفي حديث اخر رواه حذيفة
بشرني يعني ربه اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون
الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب
واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني النصر
والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا وطيب لي
ولامتي المغانم واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا
ولم يجعل علينا في الدين من حرج وعن ابي هريرة عنه
عليه السلام ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي
من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي
اوتيته وحيا اوحى الله الي فارجو ان اكون اكثرهم
تابعا يوم القيمة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته
ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الانبياء ذهبت للحين

وكم يشاهدها

وكم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القران يقف
عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة
وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه
وفيما ذكر فيه سوى هذا اخر باب المعجزات وعن علي
رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجباء واعطي نبيكم
صلى الله تعالى عليه وسلم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر
وعمر وابن مسعود وعمار وقال صلى الله تعالى عليه
وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها
رسوله والمؤمنين وانها لا تحل لاحد بعدي وانما احلت
لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين
وان ادم لمنجدل في طينته وعدة ابي ابرهيم وبشارة
عيسى بن مريم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال
ان الله فضل محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم
على اهل السماء وعلى الانبياء صلوات الله عليهم
قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان الله قال لاهل السماء
ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية وقال لمحمد انا فتحنا
لك فتحا مبينا الاية قالوا فما فضله على الانبياء قال
ان الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه

الآية وقال لحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما ارسلناك
الا كافة للناس وعن خالد بن معدان ان نفرا
من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روى نحوه
عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك فقال نعم
انا دعوة ابي ابرهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم وبشرني عيسى ورأت امي حين حملت بي انه خرج
منها نور اضاء له قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت
في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى
بهما لنا اذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض
وفي حديث اخر ثلثة رجال بطست من ذهب مملوة
ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث
من نحري الى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه
فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا
قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه قال في حديث اخر
ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار
الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ ايمانا وحكمة ثم
اعاده مكانه وامر الاخر يده على مفرق صدري فالتام
وفي رواية ان جبريل عليه السلام قال قلب وكيع

اي شديد

اي شديد فيه عينان تبصران واذنان سميعتان ثم
قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني بهم
فوزنتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم
ثم قال زنه بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم
قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها قال في الحديث
الاخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني
ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك
من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم
ما اكرمك على الله ان الله معك وملئكته قال
في حديث ابي ذر فما هو الا ان وليا عني فكانما ارى الامر
معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي
وغيرهما ان ادم عليه السلام عند معصيته قال اللهم
بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال
له الله من اين عرفت محمدا قال رايت في كل موضع من الجنة
مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى
محمد عبدي ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك عليك
فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تاويل قوله
تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات الاية وفي رواية
فقال ادم لما خلقتني رفعت راسي الى عرشك

فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله
فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت
اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي
انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك
قال وكان آدم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر
وروى عن سريج بن يونس انه قال ان لله ملئكة سياحين
عبادتها كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد
صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي
عن ابي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم لما اسري بي الى السماء اذا على العرش مكتوب
لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي
وفي التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته
كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن
بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك
عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن
اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي
وعن ابن عباس رضي الله عنهما على باب الجنة مكتوب
اني انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها
وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي

مصلح

مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري انه شاهد
في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه
مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر مكتوب محمد
رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا
احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد
رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان
يوم القيمة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل
الجنة لكرامة اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم
وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه
عن مالك قال سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه
اسم محمد الا نما ورزقوا وعنه عليه السلام ما ضر
احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلثة
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان الله تعالى نظر
الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته
وحكى النقاش ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده ابدا الآية قام خطيبا فقال
يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا

وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا **فصل** في تفضيله
بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية
وامامة الانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى
وما راى من آيات ربه الكبرى ومن خصائصه عليه السلام
قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما
نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار •
قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام • وقال تعالى والنجم اذا هوى •
ما ضل صاحبكم وما غوى • الى قوله لقد راى من آيات ربه
الكبرى • فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به
عليه السلام اذ هو نص القرآن • وجاءت بتفصيله
وشرح عجائبه وخواص نبينا محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم فيه احاديث كثيرة منتشرة راينا ان نقدم
اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا
القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر بسماعي
عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد
من شيوخنا قالوا حدثنا ابو العباس العذري حدثنا
ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا
ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا شيبان بن فروخ

حدثنا حماد

حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن انس
ابن مالك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار
ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته
حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط
بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين
ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن
فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج
بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل او قد بعث اليه قال قد بعث
اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم عليه السلام فرحب بي
ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح
جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة
عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله تعالى عليهما
فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة
فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله
تعالى عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة

وذكر مثله فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير
قال الله تعالى وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ثم عرج بنا
إلى السماء الخامسة فذكر مثله فإذا أنا بهرون فرحب
بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فذكر
مثله فإذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا
إلى السماء السابعة فذكر مثله فإذا أنا بإبرهيم مسندا
ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم
سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم ذهب بي
إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها
كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت
فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها
فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة
في كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال ما فرض ربك
على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فسله
التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت
بني إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي فقلت يا رب
خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت إلى موسى فقلت
حط عني خمسا قال إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع
إلى ربك فسله التخفيف قال فلم أزل بين ربي تعالى

وبين موسى

وبين موسى حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات في كل يوم
وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم
بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت
له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب سيئا
فإن عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت
إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فسله التخفيف
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت
قد رجعت إلى ربي حتى استحييت قال القاضي رضي الله
عنه جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن أنس ما شاء
ولم يأت أحد عنه بأصوب من هذا وقد خلط فيه
غيره عن أنس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك
ابن أبي نمر فقد ذكر في أوله مجيء الملك له وشق بطنه
وغسله بماء زمزم وهذا إنما كان وهو صبي وقبل الوحي
وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل أن يوحى إليه وذكر
قصة الإسراء ولا خلاف أنها كانت بعد الوحي وقد قال
غير واحد إنها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا
وقد روى ثابت عن أنس من رواية حماد بن سلمة أيضا
مجيء جبريل إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو
يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة

منفردة من حديث الاسراء كما رواه الناس فجود
في القصتين وفي ان الاسراء الى بيت المقدس والى
سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت
المقدس ثم عرج به من هناك فازاح كل اشكال اوهمه
غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر
يحدث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله
من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا
فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا
الى السماء فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله
عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتاخير
وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات
وحديث ثابت عن انس اتقن واجود وقد وقعت في
حديث الاسراء زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا
منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا
بالنبي الصالح والاخ الصالح الا آدم وابرهيم فقال له
والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي
حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس
ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان

لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة وفي حديث مالك
ابن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي
ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل
من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة
وقد رايتني في جماعة من الانبياء فحانت الصلوة
فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم
عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي حديث ابي هريرة
ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة
فصلى مع الملئكة فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبريل
من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين
قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ
وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء
فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم
ابرهيم وموسى وعيسى وداود وسليمن ثم ذكر كلام النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله
تعالى عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه
وانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين
وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل الفرقان فيه
تبيان كل شيء وجعل امتي خير امة وجعل امتي امة

وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الآخرون وشرح لي
صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني
فاتحا وخاتما فقال ابرهيم بهذا فضلكم محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا
ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود
وانتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة
اليها ينتهي ما يعرج به الى الارض فيقبض منها واليها
ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى
السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة
من طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه السدرة المنتهى
ينتهي اليها كل احد من امتك خلى على سبيلك وهي
السدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن
وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها
سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور
وغشيتها الملئكة قال فهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة
ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل فقال انك
اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت
موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له

الحديد

الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمن ملكا عظيما
وسخرت له الانس والشياطين والرياح واعطيته
ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التورية
والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته
وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل
فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب
في التورية محمد حبيب الرحمن وارسلناك الى الناس كافة
وجعلت امتك هم الاولون وهم الآخرون وجعلت
امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي
ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا
واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك
واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي
لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما •
وفي الرواية الاخرى قال واعطي رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ثلثا اعطي الصلوات الخمس واعطي
خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا
من امته المقحمات • وقال ما كذب الفؤاد ما رأى الآية
رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك
انه رأى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله ثم

علي بي فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله فقال موسى كم أظن
أن يرفع على أحد وقد روي عن أنس أنه صلى الله تعالى
عليه وسلم صلى بالأنبياء ببيت المقدس وعن أنس قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا أنا قاعد
ذات يوم إذ دخل جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي
فقمت إلى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة
وقعدت في الأخرى فنمت حتى سدت الخافقين ولو شئت
لمسست السماء وأنا أقلب طرفي ونظرت جبريل كأنه
حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي
باب السماء ورأيت النور الأعظم ولط دوني الحجاب
وفرجه الدر والياقوت ثم أوحى الله إلي ما شاء أن يوحي
إلي وذكر البزار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
لما أراد الله أن يعلم رسوله الأذان جاءه جبريل
بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت
عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك أحد
أكرم على الله من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فركبها حتى أتى بها إلى الحجاب الذي يلي الرحمن تبارك
وتعالى فبينا هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا جبريل

من هذا قال والذي بعثك بالحق إني لأقرب الخلق
مكانا وإن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي
هذه فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل له
من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر
فقال الملك أشهد أن لا إله إلا الله فقيل له
من وراء الحجاب صدق عبدي أنا الله لا إله إلا أنا
وذكر مثل هذا في بقية الأذان إلا أنه لم يذكر
جوابا عن قوله حي على الصلاة حي على الفلاح
قال ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فقدمه فأم أهل السماء فيهم آدم ونوح قال أبو جعفر
محمد بن علي بن الحسين راويه أكمل الله لمحمد صلى الله
تعالى عليه وسلم الشرف على أهل السموات والأرض
قال القاضي رحمه الله ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب
فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون
والباري جل اسمه منزه عما يحجبه إذ الحجب إنما يحيط
بمقدر محسوس ولكن حجبه على أبصار خلقه وبصائرهم
وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله تعالى
كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله
في هذا الحديث الحجاب وإذ خرج ملك من الحجاب يجب

ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته
عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب
ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل
عن الملك الذي خرج من ورائه ان هذا الملك ما رايته
منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل على ان هذا الحجاب
لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير
سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها
يجدون امر الله تعالى لا يجاوزها علمهم واما قول الذي
يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن
او امرا ما من عظيم اياته او مبادي حقائق معارفه مما
هو اعلم به كما قال تعالى واسئل القرية التي كنا فيها
اي اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي
انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا الموطن كلام الله
تعالى ولكن من وراء حجاب كما قال تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته فان صح القول
بان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم راى ربه فيحتمل
انه راه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب
عن بصره حتى راه والله تعالى اعلم فصل ثم اختلف

السلف

السلف والعلماء هل كان الاسراء بروحه او جسده
على ثلاث مقالات فذهبت طائفة الى انه اسراء
بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء
حق ووحي والى هذا ذهب معاوية وحكي عن الحسن
والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحق
وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك
الا فتنة للناس وما حكوا عن عائشة ما فقدت
جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله
بينا انا نائم وقول انس وهو نائم في المسجد الحرام
وذكر القصة ثم قال في اخرها فاستيقظت وانا
بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين
الى انه اسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو
قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة
ومالك بن صعصعة وابي حبة البدري وابن مسعود
والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب
وابن شهاب وابن زيد والحسن وابرهيم ومسروق
ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة
وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين
وهو قول اكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين

والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة كان الاسراء
بالجسد يقظة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصا
والى السماء بالروح واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذى
اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصا
فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسرى الذى وقع التعجب
فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبى محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم واظهار الكرامة له
بالاسراء اليه قال هؤلاء ولو كان الاسراء بجسده
الى زائد على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ فى المدح
ثم اختلف هذه الفرقتان هل صلى صلى الله تعالى عليه
وسلم ببيت المقدس ام لا ففى حديث انس وغيره ما تقدم
من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمانى وقال
والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضى
رحمه الله والحق من هذا والصحيح ان شاء الله انه
اسراء بالجسد والروح فى القصة كلها وعليه يدل
الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر
والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة وليس
فى الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة اذ لو كان
مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله

ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه
اية معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه
ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا
من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا
ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر
فى الحديث من ذكر صلاته بالانبياء عليهم السلام
ببيت المقدس فى رواية انس او فى السماء على ما روى
غيره وذكر مجىء جبريل له بالبراق وخبر المعراج
واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول محمد
ولقائه الانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به
وشانه فى فرض الصلوة ومراجعته مع موسى فى ذلك
وفى بعض هذه الاخبار فاخذ يعنى جبريل بيدى فعرج
بى الى السماء الى قوله ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى
اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى
وانه دخل الجنة وراى فيها ما ذكره قال ابن عباس
رضى الله عنهما هى رؤيا عين رءاها النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم لا رؤيا منام وعن الحسن فيه
بينا انا نائم فى الحجر جاء جبريل فهمزنى بعقبه
فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعى ذكر ذلك ثلثا

فقال في الثالثة فاخذ بعضدي فجرّني الى باب المسجد
فاذا بدابة وذكر خبر البراق وعن ام هانئ ما اسرى
برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو في بيتي
تلك الليلة صلى العشاء الاخرة ونام بيننا فلما كان
قبل الفجر اهبّنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هانئ لقد صليت
معكم العشاء الاخرة كما رايت بهذا الوادي ثم جئت
ببيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الآن
كما ترون وهذا بيّن في انه بجسمه وعن ابي بكر من رواية
شداد بن اوس عنه انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم ليلة اسري به طلبتك يا رسول الله البارحة
في مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبريل حمله الى المسجد
الاقصى وعن عمر قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد
ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه آنية ثلث
وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة
فتحمل على ظاهرها وعن ابي ذر عنه صلى الله تعالى
عليه وسلم فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل
فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم الى آخر القصة

ثم اخذ

ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن انس اتيت فانطلقوا بي
الى زمزم فشرح عن صدري وعن ابي هريرة عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم لقد رايتني في الحجر
وقريش تسئلني عن مسراي فسئلتني عن اشياء لم اثبتها
فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر
اليه ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب
في حديث الاسراء عنه عليه السلام انه قال ثم رجعت
الى خديجة وما تحولت عن جانبها فصل في ابطال حجج من
قال انها نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا
التي اريناك الا فتنة للناس فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذي
اسرى بعبده يرده لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله
فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين واسراء بشخص
اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد
يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة
في اقطار متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا
في هذه الاية فذهب بعضهم الى انها نزلت في قصة الحديبية
وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا واما
قولهم انه قد سماها في الحديث مناما وقوله في الحديث
الآخر بين النائم واليقظان وقوله ايضا وهو نائم

وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان
اول وصول الملك اليه كان وهو نائم او اول حمله
والاسراء به وهو نائم وليس في الحديث انه كان نائما
في القصة كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا
في المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت
واستيقظ من نوم اخر بعد وصوله بيته ويدل عليه
ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان في بعضه وقد يكون
قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان غمره
من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والارض
وخامر باطنه من مشاهدة الملاء الاعلى وما راى
من ايات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى الحال البشرية
الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه
واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسرى
بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق تنام اعينهم
ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات
الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شئ
من المحسوسات عن الله عز وجل ولا يصح ان يكون هذا
في وقت صلاته بالانبياء ولعله كان له في هذا الاسراء
حالات ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم ههنا

عن هيئة النائم

عن هيئة النائم بالاضطجاع ويقويه قوله في رواية
عبد بن حميد عن همام بينا انا نائم وربما قال مضطجع
وفي رواية هدبة عنه بينا انا في الحطيم وربما قال
في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النائم
واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت
هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات
من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث
انما هي من رواية شريك عن انس وهي منكرة من روايته
اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره
عليه الصلاة والسلام وقبل النبوة ولانه قال
في الحديث قبل ان يبعث والاسراء كان باجماع
بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس
مع ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره
وانه لم يسمعه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله
عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان
ابو ذر يحدث واما قول عائشة ما فقدت جسده
فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ
زوجة ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت

بعد على الخلاف في الاسراء متى كان فان الاسراء
كان في اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه
بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة في الهجرة
بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس
قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس
والحجة لذلك تطول وليست من غرضنا فاذا لم يشاهد
ذلك عائشة دل على انها حدثت بذلك عن غيرها
فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه
مما وقع نصا في حديث ام هاني وغيره وايضا فليس
حديث عائشة بالثابت والاحاديث الاخر اثبت
لسنا نعني حديث ام هاني رضي الله عنها وما ذكرت
فيه خديجة رضي الله عنها وايضا فقد روي
في حديث عائشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه
بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها
ان تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما
لم تنكره فان قيل فقد قال تبارك وتعالى ما كذب الفؤاد
ما راى فقد جعل ما راه للقلب وهذا يدل على انه
رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله

قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف الامر
للبصر وقد قال اهل التفسير في قوله تعالى ما كذب
الفؤاد ما راى اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة
بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما راته **فصل**
واما رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه عز
وجل فاختلف السلف فيها فانكرته عائشة **حدثنا**
ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه
قال حدثني ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا
حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا ابو الفضل
الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده
قالا حدثنا عبد الله بن علي حدثنا محمود بن ادم
حدثنا وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق
انه قال لعائشة يا ام المؤمنين هل راى محمد ربه
فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن
فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم
قرات لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار الاية
وذكر الحديث وقال جماعة بقول عائشة رضي الله عنها
وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة
انه قال انما راى جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا

وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين
والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس انه رآه
بعينه وروى عطاء عنه انه رآه بقلبه وعن ابي العالية
عنه انه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحق ان
ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسئله هل رأى محمد ربه
فقال نعم والاشهر عنه انه رأى ربه بعينه روى ذلك
عنه من طرق وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابرهيم
بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله تعالى ما كذب الفؤاد
ما رأى افتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة اخرى
عند سدرة المنتهى قال الماوردي قيل ان الله قسم
كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله تعالى
عليه وسلم فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين
وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي الحكاية
عن كعب الاحبار وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع
ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم
فنقول ان محمدا قد رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى
جاوبته الجبال وقال ان الله قسم رؤيته وكلامه
بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه وروى
شريك عن ابي ذر في تفسير الآية قال رأى النبي صلى الله

تعالى

تعالى عليه وسلم وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب
القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي ولم اره
بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر كلمة فقال
يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق
ان الحسن كان يحلف بالله تعالى لقد رأى محمد ربه
وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين
هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحق ان مروان
سال ابا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم وحكى
النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس
بعينه رآه رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد
وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول
برؤيته في الدنيا بالابصار وقال سعيد بن جبير
لا اقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل الآية
عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكي
عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن
وابن مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله بن احمد
ابن حنبل عن ابيه انه قال رآه وعن ابن عطاء في قوله تعالى

ألم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية
وشرح صدر موسى للكلام وقال أبو الحسن علي
ابن إسمعيل الأشعري رضي الله عنه وجماعة من أصحابه
أنه رأى الله تعالى ببصره وعيني رأسه وقال كل آية
أوتيها نبي من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتي
مثلها نبينا عليه الصلاة والسلام وخص من بينهم
بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال
ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز أن يكون قال
القاضي أبو الفضل والحق الذي لا امتراء فيه أن
رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل
ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى
عليه السلام لها ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله
وما لا يجوز عليه بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل
ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه
إلا من علمه الله فقال له الله لن تراني أي لن تطيق
ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثلا لما هو أقوى من بنية
موسى وأثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل
رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع
دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها إذ كل موجود

فرؤيته

فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل
على منعها بقوله تعالى لا تدركه الأبصار
لاختلاف التأويلات في الآية وإذ ليس يقتضي
قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل
بعضهم بهذه الآية نفسها وعدم استحالتها
على الجملة وقد قيل لا تدركه أبصار الكفار وقيل
لا تدركه الأبصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد
قيل لا تدركه الأبصار وإنما يدركه المبصرون
وكل هذه التأويلات لا يقتضي منع الرؤية ولا استحالتها
وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الآية وقوله
تبت إليك لما قدمناه ولأنها ليست على العموم
ولأن من قال لن تراني معناها في الدنيا إنما هو تأويل
وأيضا فليس فيه نص الامتناع وإنما جاءت في حق موسى
وحيث تتطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات
فليس للقطع إليه سبيل وقوله تبت إليك أي من سؤالي
ما لم تقدره لي وقال أبو بكر الهذلي في قوله لن تراني
أي ليس لبشر أن يطيق أن ينظر إلي في الدنيا وأنه من نظر
إلي مات وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه
أن رؤية الله تعالى ممتنعة لضعف تركيب أهل الدنيا

وقواهم وكونها متغيرة عرضا للآفات والفنا فلم يكن
لهم قوة على الرؤية فإذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر
ورزقوا قوى ثابتة باقية وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم
قووا بها على الرؤية وقد رأيت نحو هذا لمالك بن أنس رحمه الله
تعالى قال لم ير في الدنيا لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني
فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رئي الباقي
بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل
على الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة فإذا قوى الله
تعالى من شاء من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية
لم تمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في بصر موسى ومحمد
عليهما الصلاة والسلام ونفوذ إدراكهما بقوة إلهية
منحاها لإدراك ما أدركاه ورؤية ما رأياه والله أعلم
وقد ذكر القاضي أبو بكر في أثناء أجوبته عن الآيتين
ما معناه أن موسى عليه السلام رأى الله تعالى فلذلك
خر صعقا وأن الجبل رأى ربه فصار دكا بإدراك خلقه الله
سبحانه وتعالى له واستنبط ذلك والله تعالى أعلم
من قوله ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف
تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى
صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول

وقال جعفر

وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك
لمات صعقا بلا إفاقة وقوله هذا يدل على أن موسى
رآه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل أنه رآه
وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم له تعالى إذ جعله دليلا
على الجواز ولا مرية في الجواز إذ ليس في الآيات نص
بالمنع وأما وجوبه لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضا
ولا نص إذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما
مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا أثر قاطع متواتر
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وحديث
ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده إلى النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه
ومثله حديث أبي ذر في تفسير الآية وحديث معاذ
محتمل للتأويل وهو مضطرب الإسناد والمتن
وحديث أبي ذر الآخر مختلف محتمل مشكل فروي
نور أنى أراه وحكى بعض شيوخنا أنه روي نوراني
أراه وفي حديثه الآخر سألته فقال رأيت نورا
وليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما على صحة الرؤية

فإن كان الصحيح رأيت نورا فهو قد أخبر أنه لم ير الله
تعالى وإنما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى
وإلى هذا يرجع قوله نوراني أراه كيف أراه مع حجاب النور
المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث الآخر حجابه
النور وفي الحديث الآخر لم أره بعيني ولكن رأيته
بقلبي مرتين وتلا قوله ثم دنى فتدلى والله تعالى
قادر على خلق الإدراك الذي في البصر في القلب أو كيف
شاء لا إله غيره فإن ورد حديث نص بين في الباب
اعتقد ووجب المصير إليه إذ لا استحالة فيه ولا مانع
قطعي يرده والله سبحانه الموفق للصواب **فصل**
وأما ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله تعالى
وكلامه معه بقوله تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى
إلى ما تضمنته الأحاديث فأكثر المفسرين على أن الموحي
الله تعالى إلى جبريل وجبريل إلى محمد عليهما الصلاة
والسلام إلا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد
الصادق قال أوحى إليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي
وإلى هذا ذهب بعض المتكلمين أن محمدا صلى الله تعالى
عليه وسلم كلم ربه في الإسراء وحكي عن الأشعري
وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وأنكره آخرون

وحكى النقاش عن ابن عباس في قصة الإسراء عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله ثم دنى فتدلى
قال فارقني جبريل فانقطعت الأصوات عني فسمعت
كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن
وفي حديث أنس في الإسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا
بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا
أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء
فقالوا هي ثلاثة أقسام من وراء حجاب كتكليم موسى
هذا وبإرسال الملائكة كحال جميع الأنبياء وأكثر
أحوال نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام
الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام
إلا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو
ما يلقيه في قلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
دون واسطة وقد ذكر أبو بكر البزار عن علي
في حديث الإسراء ما هو أوضح في سماع النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم لكلام الله من الآية فذكر فيه فقال
الملك الله أكبر الله أكبر فقيل لي من وراء الحجاب
صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر وقال في سائر كلمات الأذان
مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين

في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي اول فصل من الباب
منه وكلام الله تعالى لمحمد صلى الله تعالى عليه
وسلم ومن اختصه من انبيائه جائز غير ممتنع عقلا
ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في ذلك خبر
اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى عليه السلام كائن
حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب واكده بالمصدر
دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث
في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا صلى الله
تعالى عليه وسلم فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع
صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يستبعد
سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء ورفع
بعضهم فوق بعض درجات **فصل** واما ما ورد
في حديث الاسراء وظاهر الاية من الدنو والقرب
من قوله تعالى ثم دنى فتدلى **فكان قاب قوسين
او ادنى** فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم
ما بين محمد وجبريل عليهما الصلاة والسلام او
مختص باحدهما من الاخر او من السدرة المنتهى
قال الرازي وقال ابن عباس وهو محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم دنى فتدلى من ربه وقيل معنى

دنى قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد
اي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس هو
الرب تعالى دنى من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن
قال دنى من عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من قدرته
وعظمته قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر
تدلى الرفرف لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم
ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنى من ربه فسال
فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت
كلام ربي وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى
سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى
كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء
واوحى اليه خمسين صلاة وذكر حديث الاسراء
وعن محمد بن كعب هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
دنى محمد من ربه فكان قاب قوسين قال وقال جعفر
ابن محمد ادناه ربه حتى كان منه كقاب قوسين وقال
جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد
بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو

الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنى محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم الى ما اودع قلبه من المعرفة
والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال
عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب
هنا من الله او الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى
بل كما ذكرناه عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما
دنو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه وقربه
منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق
انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته
ومن الله تعالى له مبرة وتانيس وبسط واكرام
ويتاول فيه ما يتاول في قوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا
على احد الوجوه نزول اجمال وافضال وقبول واحسان
قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة
بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن درك
حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله تعالى
قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائدا الى الله
لا الى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب
ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف

على الحقيقة من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب
واظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله
تعالى له ويتاول فيه ما يتاول في قوله تعالى
من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي
اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان
بالاحسان وتعجيل المامول والله المستعان

فصل في ذكر تفضيله في القيمة بخصوص الكرامة
صلى الله تعالى عليه وسلم حدثنا القاضي ابو علي
حدثنا ابو الفضل حدثنا ابو الحسين قالا حدثنا
ابو يعلى حدثنا السنجي حدثنا ابن محبوب حدثنا
الترمذي حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي
حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن انس
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم
اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا يئسوا لواء الحمد
بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي رواية
ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث
انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم

اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم
اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم
بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر ويطوف
علي الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابي هريرة
واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس
احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
انا سيد ولد ادم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد
ولا فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي
وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا
سيد ولد ادم يوم القيمة وانا اول من ينشق عنه
القبر واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا
اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك
حلق الجنة فيفتح لي فادخلها فيدخلها معي
فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين
ولا فخر وعن انس انا اول الناس يشفع في الجنة
وانا اكثر الناس تبعا وعن انس قال قال النبي صلى الله

تعالى

تعالى عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيمة
وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين
وذكر حديث الشفاعة وعن ابي هريرة انه صلى الله
تعالى عليه وسلم قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء
اجرا يوم القيمة وفي حديث اخر اما ترضون ان يكون
ابرهيم وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال انهما في امتي
يوم القيمة اما ابرهيم فيقول انت دعوتي وذريتي
فاجعلني من امتك واما عيسى فالانبياء اخوة
بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخي ليس بيني
وبينه نبي وانا اولى الناس به وقوله انا سيد الناس
يوم القيمة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة ولكن
اشار صلى الله تعالى عليه وسلم لانفراده فيه
بالسودد والشفاعة دون غيره اذ لجأ الناس اليه
في حوايجهم في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي
يلجأ الناس اليه في حوايجهم فكان حينئذ سيدا
منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد في ذلك
ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار والملك له تعالى في الدنيا والاخرة
لكن في الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك

في الدنيا وكذلك لجأ الى محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم
في الآخرة دون دعوى . وعن انس قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيمة
فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول
بك أمرت لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض
من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء
من شرب منه لم يظمأ ابدا وعن ابي ذر نحوه وقال
طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان
من الجنة وعن ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب
والآخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما
بين المدينة وصنعاء وقال انس ايلة وصنعاء
وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى
حديث الحوض ايضا وجابر بن سمرة وابن عمر وعقبة
ابن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد
وابو برزة الاسلمي وحذيفة بن اليماني وابو امامة
وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد

وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو بكر وعمر
ابن الخطاب وابن بريدة وابو سعيد الخدري
وعبد الله الصنابحي وابو هريرة والبراء وجندب
وعائشة واسماء بنتا ابي بكر وابو بكرة وخولة
بنت قيس وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين . **فصل**
في تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحبة
والخلة جاءت بذلك الآثار الصحيحة واختص عليه
السلام على ألسنة المسلمين بحبيب الله **اخبرنا**
ابو القاسم بن ابرهيم الخطيب وغيره عن كريمة
بنت احمد بن محمد حدثنا ابو الهيثم حدثنا الحسين
ابن محمد الحافظ سماعا عليه حدثنا القاضي ابو الوليد
حدثنا عبد بن احمد حدثنا ابو الهيثم حدثنا
ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل
حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابو عامر حدثنا
فليح حدثنا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو كنت
متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي حديث آخر
وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود
وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس رضي الله

عنهما قال جلس ناس من أصحاب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم
سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا
إن الله اتخذ من خلقه خليلا وقال آخر ماذا بأعجب
من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى
كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج
عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم إن الله
اتخذ إبرهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو
كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله
وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل
لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر . وأنا أول شافع
وأول مشفع ولا فخر . وأنا أول من يحرك حلق الجنة
فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين
ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر .
وفي حديث أبي هريرة من قول الله تعالى لنبيه صلى الله
تعالى عليه وسلم إني اتخذتك خليلا فهو مكتوب
في التورية أنت حبيب الرحمن **فصل** قال القاضي أبو الفضل
رحمه الله اختلف في تفسير الخلة وأصل اشتقاقها
فقيل الخليل المنقطع إلى الله الذي ليس في انقطاعه

إليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار
هذا القول غير واحد وقال بعضهم أصل الخلة
الاستصفاء وسمي إبرهيم خليل الله لأنه يوالي
فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله إماما
لمن بعده وقيل الخليل أصله الفقير المحتاج المنقطع
مأخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها إبرهيم
لأنه قصر حاجته على ربه وانقطع إليه بهمه ولم يجعله
قبل غيره إذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى به
في النار فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا وقال
أبو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة التي توجب
الاختصاص بتخلل الأسرار وقال أصل الخلة المحبة
ومعناها الإسعاف والإلطاف والترفيع والتشفيع
وقد بين ذلك في كتابه عز وجل تبارك وتعالى بقوله
وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم فأوجب للمحبوب أن لا يؤاخذ
بذنوبه قال هذا والخلة أقوى من النبوة لأن
النبوة قد يكون فيها العداوة كما قال تعالى إن
من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم .
الآية ولا يصح أن تكون عداوة مع خلة

فاذا تسميته ابرهيم ومحمدا عليهما الصلوة والسلم
بالخلة اما بانقطاعهما الى الله تعالى ووقف حوايجهما
عليه والانقطاع عن من دونه والاضطراب
عن الوسائط والاسباب والزيادة والاختصاص
منه تعالى لهما وخفيّ الطاف عندهما وما خالل
بواطنهما من اسرار الهيّة ومكنون غيوبه ومعرفته
او الاستصفاء لهما واستصفاء قلوبهما عمّن سواه
حتى لم يخالّلهما حبّ لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل
من لا يتّسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله صلّى الله
تعالى عليه وسلّم ولو كنت متّخذا خليلا لاتّخذت
ابا بكر خليلا لكن اخوّة الاسلام واختلف العلماء
وارباب القلوب ايّهما ارفع درجة الخلّة او
درجة المحبة فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون
الحبيب الّا خليلا ولا الخليل الّا حبيبا لكنّه خصّ
ابرهيم بالخلّة ومحمّدا عليه الصلاة والسّلام بالمحبّة
وقال بعضهم درجة الخلّة ارفع واحتجّ بقوله صلّى الله
تعالى عليه وسلّم لو كنت متّخذا خليلا غير ربّي فلم يتّخذه
وقد اطلق المحبّة لفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم
واكثرهم جعل المحبّة ارفع من الخلّة لانّ درجة الحبيب

نبيّنا

نبيّنا ارفع من درجة الخليل ابرهيم واصل المحبّة
الميل الى ما يوافق المحبّ ولكن هذا في حقّ من يصحّ الميل
منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق فامّا
الخالق جلّ جلاله فمنزّه عن الاغراض فمحبّته
لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه
وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها
كشف الحجب عن قلبه حتّى يراه بقلبه وينظر اليه
ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته
كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه
الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرّد
لله والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله
وصفاء القلب واخلاص الحركات لله كما قالت
عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه
ويسخطه بسخطه ومن هنا عبّر بعضهم عن الخلّة
بقوله قد تخلّلت مسلك الرّوح منّي فبذا سمّي الخليل
خليلا فاذا ما نطقت كنت حديثي واذا ما سكت كنت
الغليلا فاذا مزيّة الخلّة وخصوصيّة المحبّة حاصلة
لنبيّنا صلّى الله تعالى عليه وسلّم بما دلّت عليه
الآثار الصّحيحة المنشورة المتلقّاة بالقبول من الامّة

وكفى بقوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله حكى أهل التفسير أن هذه الآية لما نزلت
نزلت قالت الكفار إنما يريد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم
فأنزل الله سبحانه وتعالى غيظا لهم ورغما على مقالتهم
هذه الآية قل أطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بأمرهم
بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه
بقوله تعالى فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين وقد نقل
الإمام أبو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما
في الفرق بين المحبة والخلة يطول إشاراته إلى تفضيل
مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي
إلى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة
من قوله وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات وليكون
من الموقنين والحبيب يصل لحبيبه به من قوله فكان
قاب قوسين أو أدنى وقيل الخليل الذي تكون مغفرته
في حد الطمع من قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي
يوم الدين. والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله
تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك الآية والخليل
قال ولا تخزني يوم يبعثون والحبيب قيل له يوم

لا يخزي الله النبي فابتدئ بالبشارة قبل السؤال
والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له
يا أيها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي
لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك أعطي
بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني أن نعبد الأصنام
والحبيب قيل له إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
أهل البيت ويطهركم تطهيرا. وفيما ذكرناه تنبيه
على مقصد أصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات
والأحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو
أهدى سبيلا

فصل في تفضيله عليه السلام بالشفاعة والمقام المحمود

قال الله تعالى عسى أن يبعثك
ربك مقاما محمودا أخبرنا الشيخ أبو علي الغساني
حدثنا الجياني فيما كتب به إلي بخطه حدثنا سراج
ابن عبد الله القاضي حدثنا أبو محمد الأصيلي
حدثنا أبو زيد وأبو أحمد قالا حدثنا محمد بن يوسف
قال حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا إسمعيل بن أبان
حدثنا أبو الأحوص حدثنا آدم بن علي قال سمعت ابن عمر
يقول إن الناس يصيرون يوم القيمة جثى كل أمة تتبع
نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى

تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي هريرة
سئل عنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعني
قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال
هي الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه صلى الله تعالى
عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي
على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول
ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر
وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة
فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده •
وعن ابن مسعود عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قيامه
عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون
والاخرون ونحوه عن كعب والحسن • وفي رواية هو
المقام الذي اشفع لامتي فيه • وعن ابن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اني لقائم المقام
المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى
على كرسيه الحديث • وعن ابي موسى عنه صلى الله تعالى عليه
وسلم خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة
فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها

للمذنبين

للمذنبين الخطائين • وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله
ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد
ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة
قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اريت
ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق
لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسألت الله ان يؤتيني
شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله
الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم
البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه
فينادى محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك
والشر ليس اليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك
ولك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت
وتعاليت سبحانك رب البيت • قال فذلك المقام المحمود
الذي ذكر الله • وقال ابن عباس اذا دخل اهل النار النار
واهل الجنة الجنة فيبقى اخر زمرة من الجنة واخر زمرة
من النار فيقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم
فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسألون
ادم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى يأتوا
محمدا فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه • عن ابن مسعود

ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير
سمعت بمقام محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يعني الذي
يبعثه الله فيه قال نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي
يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة
في اخراج الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا المقام
المحمود الذي وعده وعن سلمان المقام المحمود هو الشفاعة
في امته يوم القيمة ومثله عن ابي هريرة وقال قتادة
كان اهل العلم يرون المقام المحمود شفاعته يوم القيمة
وعلى ان المقام المحمود هو مقامه عليه السلام للشفاعة
مذاهب السلف من الصحابة والتابعين وعامة ائمة المسلمين
وبذلك جاءت الشفاعة مفسرة في صحيح الاخبار عنه
عليه الصلاة والسلام وجاءت مقالة في تفسيرها
شاذة عن بعض السلف يجب ان لا تثبت اذ لم يعضدها
صحيح اثر ولا سديد نظر ولو صحت لكان لها تاويل غير مستنكر
لكن ما فسره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صحيح الاثار
يرده فلا يجب ان يلتفت اليه مع انه لم يات في كتاب
ولا سنة ولا تتفق على المقال به امة وفي اطلاق ظاهره
منكر من القول وشنعة وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما

دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال صلى الله تعالى
عليه وسلم يجمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة
فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا
الى ربنا ومن طريق اخر عنه ماج الناس بعضهم في بعض
وعن ابي هريرة فتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم
ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع
لكم فياتون ادم فيقولون زاد بعضهم انت ابو البشر
خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته
واسجد لك ملئكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا
عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول
ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب
بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا
الى غيري اذهبوا الى نوح فياتون نوحا فيقولون انت
اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا
الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك
فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية انس
ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله ربه بغير علم
وفي رواية ابي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي

اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم فانه خليل الله
فياتون ابرهيم فيقول انت نبي الله وخليله من اهل الارض
اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي
غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلث كلمات كذبهن
نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله
وفي رواية فانه عبد آتاه الله التورية وكلمه وقربه نجيا
قال فياتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي
اصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه
روح الله وكلمته فياتون عيسى فيقول لست لها ولكن
عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
فياتوني فاقول انا لها فانطلق فاستاذن على ربي فيؤذن لي
فاذا رايته وقعت ساجدا وفي رواية فاتي تحت العرش
فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد
لا اقدر عليها الآن الا ان يلهمنيها الله وفي رواية
فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا
لم يفتحه على احد قبلي قال في رواية ابي هريرة فيقال
يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع
رأسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقول ادخل
من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة

وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب لم يذكر
في رواية انس هذا الفصل وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال
لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل
تعطه فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه
مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق
فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر
مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل
ثم ارجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه
ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر
في المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل يسمع واشفع
تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله
قال ليس ذلك اليك ولكن عزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي
لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة
رضي الله عنه قال فلا ادري في الثالثة او الرابعة فاقول
يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن اي من وجب
عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد
وحذيفة مثله قال فياتون محمدا فيؤذن له وتاتي الامانة
والرحم فتقومان جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك
عن حذيفة فياتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون

اولهم كالبرق ثم كالريح والطير واشد الرجال ونبيكم
صلى الله تعالى عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم
سلم حتى يجتاز الناس وذكر اخرهم جواز الحديث
وفي رواية ابي هريرة فاكون اول من يجيز وعن ابن عباس
عنه عليه السلام يوضع للانبياء منابر يجلسون عليها
ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا
فيقول الله تعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب
عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة
برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع
حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار حتى ان
خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك
من نقمة ومن طريق زياد النميري عن انس ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا اول من تنفلق الارض
عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر
ومعي لواء الحمد يوم القيمة وانا اول من يفتح له الجنة
ولا فخر فاتي فاخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول
محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا
وذكر نحو ما تقدم ومن رواية انس سمعت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة

لاكثر

لاكثر مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف
الفاظ هذه الاثار ان شفاعته صلى الله تعالى عليه
وسلم ومقامه المحمود من اول الشفاعات الى اخرها
من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ
منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب
فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط
ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة
وهذا الحديث اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه
من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن
وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه
الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا
لسواه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الحديث المنتشر
الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة
لامتي يوم القيمة. قال اهل العلم معناه دعوة اعلم انها
تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم. والا فكم لكل نبي
منهم من دعوة مستجابة. ولنبينا صلى الله تعالى عليه
وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم فيها عند الدعاء بها
بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه
يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد

وابو صالح عن ابي هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة
دعا بها في امته فاستجيب له وانا اريد ان ادخر دعوتي
شفاعة لامتي يوم القيمة. وفي رواية ابي صالح لكل نبي
دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية ابي زرعة
عن ابي هريرة • وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة
فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة
مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم
انه سال لامته اشياء من امور الدين والدنيا اعطي
بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة
وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة جزاه الله
احسن ما جزى نبيا عن امته وصلى الله تعالى عليه
وسلم كثيرا

فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة

والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة. حدثنا القاضي
ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد
هشام بن احمد بقراءتي عليهما قالا حدثنا ابو علي
الغساني حدثنا النمري حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا
ابو بكر التمار حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن سلمة
حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب
عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو

ابن العاص رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا
ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي
الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال الله
لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة • وفي حديث اخر عن ابي هريرة
الوسيلة اعلا درجة في الجنة • وعن انس قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذ عرض
لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال
هذا الكوثر الذي اعطاكه الله قال ثم ضرب بيده الى طينة
فاستخرج مسكا وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله
قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل
وابيض من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق
شقا عليه حوض ترد عليه امتي وذكر حديث الحوض ونحوه
عن ابن عباس • وعن ابن عباس ايضا قال الكوثر الخير الذي
اعطاه الله اياه • وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة
من الخير الذي اعطاه وعن حذيفة فيما ذكر عنه صلى الله
تعالى عليه وسلم عن ربه واعطاني الكوثر نهرا في الجنة
يسيل في حوضي • وعن ابن عباس في قوله تعالى ولسوف

يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لؤلؤ ترابهن
المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي
له من الازواج والخدم **فصل** فان قلت اذا تقرر
من دليل القرآن وصحيح الآثار واجماع الامة كونه اكرم البشر
وافضل الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه
عن التفضيل كقوله فيما **حدثنا** الاسدي قال حدثنا
السمرقندي حدثنا الفارسي حدثنا الجلودي حدثنا
ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا ابن مثنى حدثنا محمد بن جعفر
حدثنا شعبة عن قتادة قال سمعت ابا العالية يقول
حدثني ابن عم نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم يعني
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم • قال ما ينبغي
لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق
عن ابي هريرة قال يعني رسول الله ما ينبغي لعبد الحديث
وفي حديث ابي هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى
موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار وقال تقول ذلك
ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ
ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لا تفضلوا
بين الانبياء • وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر
الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى •

وعن ابي هريرة ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب
وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى
وفي حديثه الآخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية • فقال
ذاك ابراهيم • فاعلم ان للعلماء في هذه الاحاديث تاويلات
احدها ان نهيه عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم
فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم
فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه
لا يقتضي تفضيله هو وانما هو في الظاهر كف عن التفضيل
الوجه الثاني انه قال صلى الله تعالى عليه وسلم
على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم
من الاعتراض **الوجه** الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا
يؤدي الى تنقص بعضهم او الغض منه لا سيما في جهة يونس
عليه السلام اذ اخبر الله عنه بما اخبر لئلا يقع
في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته
الرفيعة اذ قال تعالى **اذ ابق الى الفلك المشحون** فظن
ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته
بذلك **الوجه** الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة
فان الانبياء فيها على حد واحد اذ هي شيء واحد لا يتفاضل
وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات

والرتب والالطاف • واما النبوة في نفسها فلا يتفاضل
وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم الرسل
ومنهم اولوا العزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا
ومنهم من اوتي الحكم صبيا واوتي بعضهم الزبور وبعضهم
البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات •
قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية
وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية • قال
بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا
وذلك بثلاثة احوال ان تكون اياته ومعجزاته ابهر
واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل
واظهر وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله به
من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية
او ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه
وقد روي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال
ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع
فحفظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم موضع الفتنة
من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح
في اصطفائه وحط من رتبته ووهن في عصمته شفقة
منه صلى الله تعالى عليه وسلم على امته وقد يتوجه

على هذا الترتيب

على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا
الى القائل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الذكاء
والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لاجل ما حكى الله
عنه فان درجة النبوة افضل واعلا وان تلك الاقدار
لم تحطه عنها حبة خردل ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث
في هذا بيانا ان شاء الله تعالى فقد بان لك الغرض وسقط
بما حررناه شبهة المعترض **فصل** في اسمائه صلى الله تعالى
عليه وسلم وما تضمنته من فضيلته **حدثنا** ابو عمران موسى
ابن ابي تليد الفقيه حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر
حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى
حدثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله
بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا
العاقب وقد سماه الله تعالى في كتابه محمدا واحمد •
فمن خصائصه له تعالى ان ضمن اسماءه ثناءه فطوى
اثناء ذكره عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة
من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد
فهو صلى الله تعالى عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد

وأكثر الناس حمدا فهو أحمد المحمودين وأحمد الحامدين
ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويشتهر
في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما
محمودا كما وعده يحمده فيه الأولون والآخرون بشفاعته
لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه السلام
ما لم يعط غيره وسمى أمته في كتب أنبيائه بالحمادين
فحقيق أن يسمى محمدا وأحمد ثم في هذين الاسمين
من عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر هو أن الله جل
اسمه حمى أن يسمى بهما أحد قبل زمانه أما أحمد الذي أتى
في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله بحكمته أن يسمى به
أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب
أو شك وكذلك محمد أيضا لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم
إلى أن شاع قبيل وجوده عليه السلام وميلاده أن نبيا
يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك
رجاء أن يكون أحدهم هو والله أعلم حيث يجعل رسالته
وهم محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي ومحمد بن مسلمة
الأنصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع
ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع
لهم ويقال أول من سمي بمحمد محمد بن سفيان واليمن تقول

بل محمد بن اليحمدي من الأزد ثم حمى الله كل من تسمى به
أن يدعي النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه
سبب يشكك أحدا في أمره حتى تحققت السمتان له
صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينازع فيهما صلى الله
تعالى عليه وسلم • وأما قوله وأنا الماحي الذي يمحو الله
بي الكفر ففسر في الحديث فيكون محو الكفر إما من مكة
وبلاد العرب وما زوي له من الأرض ووعد أنه يبلغه ملك أمته
أو يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى
ليظهره على الدين كله وقد ورد في الحديث تفسيره أنه الذي
محيت به سيئات من اتبعه • وقوله وأنا الحاشر الذي يحشر
الناس على قدمي أي على زماني وعهدي أي ليس بعدي نبي
كما قال الله تعالى وخاتم النبيين وسمي عاقبا لأنه عقب
غيره من الأنبياء • وفي الصحيح وأنا العاقب الذي ليس بعده
نبي • وقيل معنى على قدمي أي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال
تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا وقيل على قدمي على سابقتي قال الله تعالى أن لهم
قدم صدق عند ربهم وقيل معنى على قدمي أي قدامي وحولي
أي يجتمعون إلي في القيمة • وقيل على قدمي على سنتي
ومعنى قوله لي خمسة أسماء قيل إنها موجودة في الكتب المتقدمة

وعند اولي العلم من الامم السالفة والله اعلم وقد روى
عنه عليه السلام لي عشرة اسماء وذكر منها طه ويس
حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي
وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد
وذكر غيره لي عشرة اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الاول
قال وانا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وانا
المقفي قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذا
وجدته ولم اروه وارى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد
عن الحربي وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا في كتب الانبياء
قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة
بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى النقاش عنه
عليه السلام لي في القران سبعة اسماء محمد واحمد
ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله • وفي حديث
عن جبير بن مطعم هي ست محمد واحمد وخاتم وحاشر
وعاقب وماح • وفي حديث ابي موسى الاشعري انه كان
عليه السلام يسمي لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد
والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ونبي الرحمة
ويروى المرحمة والراحة • وكل صحيح ان شاء الله ومعنى المقفي
معنى العاقب • واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة

فقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤف رحيم وقد قال في صفة
امته انها امة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا
بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه ربه تعالى رحمة لامته
ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل
امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها عليه السلام
بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده الرحماء
وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم
من في السماء • واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به
من القتال والسيف صلى الله تعالى عليه وسلم وهي صحيحة
وروى حذيفة مثل حديث ابي موسى • وفيه ونبي الرحمة
ونبي التوبة ونبي الملاحم • وروى الحربي في حديثه عليه السلام
انه قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اي مجتمع قال والقثوم
الجامع للخير وهذا اسم هو في اهل بيته عليه السلام
معلوم • وقد جاءت من القابه عليه السلام وسماته
في القران عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج
المنير • والمنذر والنذير • والمبشر • والبشير • والشاهد
والشهيد • والحق المبين • وخاتم النبيين • والرؤف الرحيم

والامين . وقدم الصدق . ورحمة للعالمين . ونعمة الله
والعروة الوثقى . والصراط المستقيم . والنجم الثاقب
والكريم . والنبي الامي . وداعي الله . في اوصاف كثيرة
وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة
وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة
شافية كتسميته بالمصطفى . والمجتبى . وابي القاسم .
والحبيب . ورسول رب العالمين . والشفيع المشفع .
والمتقي . والمصلح . والطاهر . والمهيمن . والصادق .
والمصدوق . والهادي . وسيد ولد ادم . وسيد المرسلين
وامام المتقين . وقائد الغر المحجلين . وحبيب الله .
وخليل الرحمن . وصاحب الحوض المورود . والشفاعة
والمقام المحمود . وصاحب الوسيلة . والفضيلة .
والدرجة الرفيعة . وصاحب التاج . والمعراج .
واللواء والقضيب . وراكب البراق . والناقة . والنجيب
وصاحب الحجة . والسلطان . والخاتم . والعلامة .
والبرهان . وصاحب الهراوة والنعلين . ومن اسمائه
عليه السلام في الكتب المتوكل . والمختار .
ومقيم السنة . والمقدس . وروح الحق . وهو معنى
البارقليط في الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق

بين الحق والباطل ومن اسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ
ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه
كعب الاحبار وقال ثعلب فالخاتم الذي ختم الله به الانبياء
والحاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية
مشفح والمنحمنا واسمه ايضا في التورية احيد وروى ذلك
عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب اي السيف وقع ذلك
مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته
كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه
عليه السلام وهو الان عند الخلفاء . واما الهراوة التي
وصف بها فهي في اللغة العصا واراها والله اعلم العصا
المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن
واما التاج فالمراد به العمامة بكسر العين ولم تكن حينئذ
الا للعرب والعمائم تيجان العرب واوصافه والقابه وسماته
في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء الله تعالى وكانت
كنيته المشهورة ابا القاسم وروى عن انس انه لما ولد له
ابرهيم جاءه جبريل فقال له السلام عليك يا ابا ابرهيم

فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه من اسمائه الحسنى
ووصفه به من صفاته العلى . قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
تعالى ما احرى هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه

فى سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله
الصدر للهداية الى استنباطه ولا اثار الفكر لاستخراج جواهره
والتقاطه الا عند الخوض فى الفصل الذى قبله فرأينا
ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله تعالى خص كثيرا
من الانبياء بكرامة خلعها عليهم من اسمائه كتسميته اسحق
واسمعيل بعليم وحليم وابرهيم بحليم ونوحا بشكور وعيسى
ويحيى ببر وموسى بكريم وقوى ويوسف بحفيظ عليم
وايوب بصابر واسمعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك
الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل نبينا محمدا صلى الله
تعالى عليه وسلم بان حلاه منها فى كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه
بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر
اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها
لنا ليف فصلين وحررنا منها فى هذا الفصل نحو ثلثين اسما
ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم منها وحققه يتم
النعمة بابانة ما لم يظهره لنا الان ويفتح غلقه
فمن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه
وحمده عباده ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه
ولاعمال الطاعات وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه فى زبور داود

والحمد

واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار الى نحو هنا
حسان بقوله وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود
وهذا محمد ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب
وسماه فى كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رؤف رحيم
ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق
امره وكذلك المبين اى البين امره والهيته بان وابان
بمعنى واحد ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم
وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فى كتابه فقال
حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقل انى انا النذير المبين
وقال تعالى قد جاءكم الحق من ربكم وقال تعالى فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القران ومعناه هنا
ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو بالمعنى الاول
والمبين البين امره ورسالته او المبين عن الله ما بعثه
به كما قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه تعالى
النور ومعناه ذو النور اى خالقه او منور السموت
والارض بالانوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية
وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين قيل محمد وقيل القران وقال فيه وسراجا منيرا
سمى بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين

والعارفين بما جاء به ومن اسمائه تعالى الشهيد ومعناه
العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه شاهدا
وشهيدا فقال تعالى انا ارسلناك شاهدا وقال تعالى
ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول ومن اسمائه
تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل
العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في اسمائه تعالى الاكرم
وسماه الله تعالى كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد
وقيل جبريل وقال عليه السلام انا اكرم ولد ادم ومعاني
الاسم صحيحة في حقه عليه السلام ٠ ومن اسمائه العظيم ومعناه
الجليل الشان الذي كل شيء دونه وقال في النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول سفر
من التورية عن اسمعيل عليه السلام وسيلد عظيما لامة عظيمة
فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه
المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشان ٠ وقيل
المتكبر وسمي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في كتاب داود
بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك
وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي
صلى الله عليه وسلم اما لاصلاحه الامة بالهداية
والتعليم او لقهر اعدائه او لعلو منزلته على البشر

وعظيم خطره

وعظيم خطره ونفى عنه عليه السلام تعالى في القران
جبرية التكبر التي لا تليق به فقال تعالى وما انت عليهم
بجبار ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء
العالم بحقيقته ٠ وقيل معناه المخبر وقال الله تعالى الرحمن
فسئل به خبيرا قال القاضي ابو بكر بن العلاء المامور بالسؤال
غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمسؤول الخبير هو
النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم والمسؤول الله فالنبي خبير بالوجهين
المذكورين قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله
من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له
في اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم
بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق عليهم
من امورهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق
ويكون ايضا بمعنى الناصر لقوله تعالى ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح ان تستنصروا فقد جاءكم النصر
وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه
محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسراء
الطويل من رواية الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره
عن ابي هريرة وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا

وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في ثنائه على ربه وتعديل مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني
فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح
لابواب الرحمة على امته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق
والايمان بالله او الناصر للحق او المبتدئ بهداية الامة
او المبتدأ المقدم في الانبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام
كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم في البعث ومن اسمائه
تعالى في الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل
وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه
السلام فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك نفسه فقال افلا اكون عبدا
شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه
مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم
لازيدنكم ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب
والشهادة ووصف نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعلم
وخصه بمزية منه فقال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى ويعلمكم الكتاب والحكمة
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول
والاخر ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها والباقي

بعد فنائها

بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا اخر وقال
عليه السلام كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم
في البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله تعالى عليه
وسلم • وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ومنه قوله نحن الاخرون السابقون وقوله انا اول من تنشق
عنه الارض واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع
وهو خاتم النبيين واخر الرسل صلى الله تعالى عليه وسلم
ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين ومعناه القادر
وقد وصفه الله بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين •
قيل محمد وقيل جبريل • ومن اسمائه تعالى الصادق في الحديث
المأثور وورد في الحديث ايضا اسمه عليه السلام بالصادق
المصدوق ومن اسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر
وقد قال تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال عليه السلام
انا ولي كل مؤمن وقال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين •
وقال عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه
تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله بهذا نبيه
في القران والتورية وامره بالعفو فقال تعالى خذ العفو
وامر بالعرف وقال تعالى فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل

وقد سأله عن قوله خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك
وقال في التوراة والانجيل في الحديث المشهور في صفته
ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى
الهادي وهو بمعنى توفيق الله تعالى لمن اراد من عباده
وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعوا الى
دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم واصل الجميع
من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر
يا هادي يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال تعالى
وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله
باذنه فالله مخصص بالمعنى الاول وقال تعالى انك لا تهدي
من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة يطلق
على غيره ومن اسمائه المؤمن المهيمن قيل هما بمعنى واحد
فمعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق
قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد
نفسه وقيل المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين
في الاخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه
فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في الدعاء امين انه اسم
من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن
بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم

امين

امين ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله تعالى امينا فقال
مطاع ثم امين وكان عليه السلام يعرف بالامين وشهر به
قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله
ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتيبي والامام ابو القاسم
القشيري وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق
وقال انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى المؤمن ومن اسمائه تعالى
القدوس ومعناه المنزه عن النقايص المطهر من سمات الحدث
وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الواد
المقدس وروح القدس ووقع في كتب الانبياء عليهم السلام
في اسمائه عليه السلام المقدس اي المطهر من الذنوب
كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
او الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال
تعالى ويزكيهم وقال تعالى ويخرجهم من الظلمات الى النور
او يكون مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف
الدنية • ومن اسمائه العزيز ومعناه الممتنع الغالب
او الذي لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة
ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله
تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال تعالى يبشرهم

ربهم برحمة منه ورضوان وقال تعالى ان الله يبشرك
بيحيى وبكلمة منه وسماه الله تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا
اى مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته • ومن اسمائه
تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس • وقد ذكر بعضهم
ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وشرف وكرم **فصل** قال القاضى ابو الفضل وفقه الله تعالى
وههنا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا القسم
وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم
سقيم الفهم تخلصه من مهاوى التشبيه وتزحزحه
عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله جل اسمه فى عظمته
وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى صفاته لا يشبه
شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلقه
الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما
فى المعنى الحقيقى اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق
فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه
صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض والاغراض
وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى
فى هذا قوله تعالى ليس كمثله شىء ولله در من قال من العلماء
العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات

ولا معطلة

ولا معطلة عن الصفات وزاد هذه النكتة الواسطى
رحمه الله بيانا وهى مقصودنا فقال ليس كذاته ذات
ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا
من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة
ان يكون لها صفة حديثة كما استحال ان تكون للذات
المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة
والجماعة رضى الله تعالى عنهم وقد فسر الامام ابو القاسم
القشيرى رحمه الله قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية
تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته
ذات المحدثات وهى بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله
فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر
واغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق
لا يخرج عن هذه الوجوه وقال آخرون من مشايخنا
ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث
مثلكم • وقال الامام ابو المعالى الجوينى من اطمأن الى موجود
انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن الى النفى المحض
فهو معطل وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته
فهو موحد وما احسن قول ذى النون المصرى حقيقة التوحيد
ان تعلم ان قدرة الله فى الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج

وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخر تفسير لقوله تعالى ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والثالث تفسير لقوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته

الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه من الخصائص والكرامات عليه السلام

قال القاضي ابو الفضل رحمه الله حسب المتامل ان يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن اليها ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرايع ورده بل الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا في محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته لتدل على عظيم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد

واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه ودرجات عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي اتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم • وروى مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له
ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد علي
كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك
وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فاخبر انه
راى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة فقال
هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا
وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا
بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة
لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس
بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر
وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندا ملك عمان
لما بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوه
الى الاسلام قال الجلندا والله لقد دلني على هذا النبي الامي
انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان
اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي
بالعهد وينجز الموعود اشهد انه نبي وقال نفطويه في قوله
تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضرب الله

لنبيه

لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يكاد منظره
يدل على نبوته وان لم يتل قرانا كما قال ابن رواحة رضي الله
عنه • لو لم تكن فيه ايات مبينة • لكان منظره ينبيك بالخير •
وقد ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة • وبعده
في معجزة القران وما فيه من برهان ودلالة فصل اعلم
ان الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم
بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء ودون واسطة
لو شاء كما حكى عن سنته في بعض الانبياء • وذكره
بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم
كلامه وتكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة
مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع
لهذا من دليل العقل • واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل
بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما
اتوا به لان المعجزة مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله
صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله
وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه
وجده مستوفى في مصنفات ائمتنا رحمهم الله تعالى
والنبوة في لغة من همز ماخوذة من النبا وهو الخبر

وقد لا تهمز على هذا التأويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى
اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبأ فعيل
بمفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه الله
عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة
وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة شريفة
ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه
مؤتلفان. واما الرسول فهو المرسل ولم يأت فعول
بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله له
بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه
قولهم جاء الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكانه
الزم تكرير التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف
العلماء هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما
سواء واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله
تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي. فقد اثبت
لهما معا الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول
الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة
التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة
او الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة
للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام. كما قلنا وحجتهم

من الاية

من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كان شيئا
واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى
وما ارسلنا من نبي الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد
وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدأ ومن
لم يأت به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح
الذي عليه الجماء الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي
رسولا واول الرسل ادم واخرهم محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم وفي حديث ابي ذر عنه ان الانبياء مائة الف
واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم
ثلثمائة وثلثة عشر اولهم ادم فقد بان لك معنى النبوة
والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ولا وصف ذات خلافا للكرامية
في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله
الاسراع فلما كان النبي يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي
وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي
الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. وسمي الخط وحيا
لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما
ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا.
اي اومى ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحاء الوحاء

اى السرعة السرعة وقيل اصل الوحى السر والاخفاء
ومنه سمى الالهام وحيا ومنه قوله تعالى وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم اى يوسوسون فى صدورهم ومنه
قوله تعالى واوحينا الى ام موسى اى القى فى قلبها وقد
قيل ذلك فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
اى ما يلقيه فى قلبه دون واسطة فصل اعلم ان
معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة هو ان الخلق
عجزوا عن الاتيان بمثلها وهى على ضربين ضرب هو
من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه هو فعل الله
دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمنى الموت وتعجيزهم
عن الاتيان بمثل القرآن على رأى بعضهم ونحوه وضرب هو
خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى
وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة
ونبع الماء من الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله
احد الا الله فيكون ذلك على يد النبى صلى الله عليه وسلم
من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان يأتى بمثله تعجيز له
واعلم ان المعجزات التى ظهرت على يد نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين
معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم آية واظهرهم برهانا

كما سنبينه وهى فى كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا
منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين
ولا اكثر لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد تحدى
بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك
الكوثر فكل آية منها او آيات منه بعددها وقدرها معجزة
ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه
من المعجزات ثم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم
على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا تواترا كالقرآن
فلا مرية ولا خلاف بمجىء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا
معاند جاحد فهو كانكاره وجود محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم فى الدنيا وانما جاء اعتراض الجاحدين فى الحجة
به فهو فى نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة
ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال
بعض ائمتنا ويجرى هذا المجرى على الجملة انه قد جرى
على يديه عليه السلام آيات وخوارق عادات ان لم يبلغ
واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية
فى جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر
انه قد جرت على يديه عجائب وانما خلاف المعاند فى كونها

من قبل الله تعالى وقد قدمنا كونها من قبل الله تعالى
وان ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا
من نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها
كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم احنف
لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا
وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم
ولا يقطع بصحته والقسم الثانى ما لم يبلغ مبلغ الضرورة
والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد
وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والاخبار
كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص
به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر
اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا فى المعنى واجتمعا
على الاتيان بالمعجز كما قدمناه. قال القاضى ابو الفضل
رضى الله عنه وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الايات
المأثورة عنه عليه السلام معلومة بالقطع اما انشقاق القمر
فالقرآن نص بوقوعه واخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهره
الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة
ولا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت
الى سخافة مبتدع يلقى الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين

بل زعم

بل نرغم بهذا انفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك
قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد
الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ومنها
ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عن من حدث بها
من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك كان فى موطن اجتماع الكثير
منهم فى يوم الخندق وفى غزوة بواط وعمرة الحديبية
وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر
ولم يؤثر عن احد من الصحابة مخالفة للراوى فيما حكاه
ولا انكار لما ذكر عنهم انهم رأوه كما رواه فسكوت الساكت
منهم كنطق الناطق اذهم المنزهون عن السكوت على باطل
والمداهنة فى كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة
تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف
لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها
من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا
ووهمه فى ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعى
من معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التى لا اصل
لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس
واهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد
فى كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارئة واعلام نبينا

هذه الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور الأزمان
الا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه
على توهينها وتضعيف أصلها واجتهاد الملحد على اطفاء نورها
الا قوة وقبولا ولا للطاعن عليها الا حسرة وغليلا وكذلك
اخباره عن الغيوب وانباؤه بما يكون وكان معلوم من آياته
على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال به
من أئمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما رحمهم الله
وما عندي اوجب قول القائل ان هذه القصص المشهورة
من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته للاخبار وروايتها
وشغله بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق النقل
وطالع الاحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة
على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر
عند واحد ولا يحصل عند آخر فان اكثر الناس يعلمون بالخبر
كون بغداد موجودة وكونها مدينة عظيمة ودار الامامة
والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها
وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة
وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن
في الصلاة للمنفرد والامام واجزاء النية في اول ليلة
من رمضان عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النية

كل ليلة

كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الرأس وان مذهبهما
القصاص في القتل بالمحدد وغيره وايجاب النية في الوضوء
واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة يخالفهما
في هذه المسائل وغيرهم ممن لا يشتغل بمذاهبهم ولا روى
اقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عمن سواه
وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا
ان شاء الله تعالى فصل في اعجاز القرآن اعلم وفقنا الله
واياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة
وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة اوجه اولها
حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه
وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا
ارباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة
والحكم ما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان
ما لم يؤت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب
جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة
يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب
فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به
بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون
ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك

بالسحر الحلال ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآلي
فيخدعون الألباب ويذللون الصعاب ويذهبون الإحن
ويهيجون الدمن ويجرؤن الجبان ويبسطون يد الجعد البنان
ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي
ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري
والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة
والألفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل
والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق
الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة
والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون
أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها
واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلوا
صرحا لبلوغ أسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا
في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا
في النظم والنثر فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول
وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر إيجازه وإعجازه
وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه

ومقاطعه

ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدايعه واعتدل
مع إيجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه
وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا وأشهر في الخطابة رجالا
وأكثر في السجع والشعر ارتجالا وأوسع في الغريب واللغة
مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها
يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين
عاما على رؤس الملأ أجمعين أم يقولون افتراه قل فأتوا
بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم
صادقين وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة
من مثله إلى قوله تعالى ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت
الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون الآية
وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك أن المفترى
أسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار أقرب واللفظ
إذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما
يقال له وفلان يكتب كما يريد وللأول على الثاني فضل
وبينهما شأو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله تعالى عليه
وسلم أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم
ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم
ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا ناكصون

عن معارضته محجوجون عن مماثلته مخادعون انفسهم
بالتشغيب بالتكذيب والاغراء بالافتراء وقولهم ان هذا
الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتريه واساطير الاولين
والمباهتة والرضاء بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة
مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون
والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال
لهم الله تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى
ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله
ما الفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل الميز منهم
انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين
واتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد
ابن المغيرة من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله
يامر بالعدل والاحسان الاية قال والله ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر
ما يقول هذا بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا
يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع
اخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد
ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي ان عمر بن الخطاب

رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو بقائم
على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه
من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع
رجلا من اسرى المسلمين يقرأ اية من كتابكم فتاملتها
فاذا هي قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى بن مريم من احوال الدنيا
والاخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله
ويتقه الاية وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها
قاتلك الله ما افصحك فقالت ابعد هذا فصاحة بعد قول الله
تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية فجمع في اية
واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع
من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق
والصحيح من القولين وكون القران من قبل النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام
متحديا به معلوم وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة
وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين
بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها
علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين
باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت قوله تعالى ولكم في القصاص
حيوة وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا

من مكان قريب وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله تعالى وقيل
يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الآية وقوله تعالى فكلا
اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه الآية واشباهها
من الآي بل اكثر القرآن حققت ما بينته من ايجاز الفاظها
وكثرة معانيها وديباجة عباراتها وحسن تأليف حروفها
وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا
جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها
وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص
الطوال واخبار القرون السالفة التي يضعف في عادة الفصحاء
عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام
بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف
على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها
على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحد تنسي في البيان صاحبتها
وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها
ولا معاداة لمعادها **فصل** الوجه الثاني من اعجازه
صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب
كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه
ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد

قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شيء
منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم
ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع
او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله تعالى عليه
وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه
ابو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار
مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الآخر
حين جمع قريشا عند حضور الموسم فقال ان وفود العرب
ترد فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول
كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه
قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته
قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله
رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر
قالوا نقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا
فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا
اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر وانه سحر يفرق
بين المرء وابنه وبين المرء واخيه والمرء وزوجه والمرء
وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس
فانزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا

وجعلت له ما لا ممدودا الآيات وقال عتبة بن ربيعة
حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا الا
وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا والله
ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة
وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذر ووصف
اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد
ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق
الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت
قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر
فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه
لصادق وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة
والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها
والاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع ايجازه
على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما
اذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها
والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى
بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واتى
على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح

ما قدمناه

ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن
في علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة
لم يخف عليه ما قلناه . وقد اختلف ائمة اهل السنة
في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه مما جمع في قوة جزالته
ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه
واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق
الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا
وتسبيح الحصا وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن
ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه
ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه
وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه
ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر
وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى
بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر
لازم وهو ابهر اية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا
في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا
كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف وابائة الضيم
بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا
والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها اهون

عليهم واسرع بالبخع وقطع العذر وافحام الخصم لديهم
وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة بجميع الانام
وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره
واطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم
ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد
وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا
فهذان نوعان من اعجازه فصل الوجه الثالث من الاعجاز
ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع
فوجد كما ورد على الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله امنين وقوله تعالى وهم
من بعد غلبهم سيغلبون وقوله تعالى ليظهره على الدين
كله وقوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصلحت
ليستخلفنهم الاية وقوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح
الى اخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع
سنين ودخل الناس في دين الله افواجا فما مات عليه السلام
وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف الله
المؤمنين في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها
من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال عليه السلام
زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي

ما زوي لي منها وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره
وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة
فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة عام
فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه
ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله
تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم الاية وقوله تعالى هو الذي ارسل
رسوله بالهدى الاية وقوله تعالى لن يضروكم الا اذى
وان يقاتلوكم الاية فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار المنافقين
واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك
كقوله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول
وقوله تعالى يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الاية
وقوله تعالى ومن الذين هادوا سمعون للكذب الاية وقوله
تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله
وطعنا في الدين وقد قال مبدئا ما قدره الله واعتقده المؤمنون
يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون
ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله تعالى انا كفيناك
المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

بذلك أصحابه بأن الله كفاه إياهم وكان المستهزؤون نفرا
بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا وقوله تعالى
والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام
ضره وقصد قتله والأخبار بذلك معروفة صحيحة فصل
الوجه الرابع ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة
والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ
من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه
فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وأن مثله لم ينله
بتعليم وقد علموا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أمي لا يقرأ
ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم
ولا جهل حاله أحد منهم وقد كان أهل الكتاب كثيرا ما يسألونه
صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن
ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الأنبياء مع قومهم وخبر موسى
والخضر ويوسف وإخوته وأصحاب الكهف وذي القرنين
ولقمان وابنه وأشباه ذلك من الأنباء وبدء الخلق
وما في التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى
مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر
منها بل أذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقي

معاند

معاند وحاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى
واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه
وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت
عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه السلام وتعنيتهم
إياه عن أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم ومستودعات سيرهم
وإعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم
عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم
وما حرم إسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الأنعام ومن طيبات
كانت أحلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله تعالى ذلك
مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل وغير ذلك من أمورهم التي
التي نزل فيها القرآن فأجابهم وعرفهم بما أوحي إليه
من ذلك أنه أنكر ذلك أو كذبه بل أكثرهم صرح بصحة نبوته
وصدق مقاله واعترف بعناده وحسده إياه كأهل نجران
وابن صوريا وابني أخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك
بعض المباهتة وادعى أن فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة
دعي إلى إقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فأتوا بالتوراة
فاتلوها إن كنتم صادقين إلى قوله الظالمون فقرع ووبخ
ودعي إلى إحضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده
ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر أن واحدا

منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما
من صحفه قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير
الايتين فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة
لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في اعجازه
من غير هذه الوجوه اي وردت بتعجيز قوم في قضايا
واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا
على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة
عند الله خالصة الاية • قال ابو اسحق الزجاج في هذه الاية
اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم
فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنوه
واحد منهم • وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذي
نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت
مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله
وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه
احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته
وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه
لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه
يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد

ان تمنيه

ان يمتحنه منهم وكذلك اية المباهلة من هذا المعنى
حيث وفد عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله
تعالى عليه اية المباهلة بقوله تعالى فمن حاجك فيه الاية
فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم
قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم
ولا صغيرهم ومثله قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا الى قوله ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون
كما كان وهذه الاية ادخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها
من التعجيز ما في التي قبلها فصل ومنها الروعة التي تلحق
قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم
عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به
اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال
تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم
نفورا ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام
ان هذا القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم
واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته
توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه
به قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم
تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال الله تعالى لو انزلنا

هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله
ويدل على ان هذا شيء خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه
ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني انه مر بقارئ فوقف
يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم • وهذه الروعة
قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها
لاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير
ابن مطعم قال سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ
في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شيء
ام هم الخالقون الى قوله المصيطرون كاد قلبي ان يطير •
وفي رواية وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي • وعن عتبة
ابن ربيعة انه كلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما
جاء به من خلاف قومه فتلى عليهم حم كتاب فصلت الى قوله
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده على
في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف
وفي رواية فجعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ
وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى
الى السجدة فسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقام
عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه
حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت

اذناي بمثله قط فما دريت ما اقول له • وقد حكي عن غير واحد
ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك
فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي
يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي فرجع فمحى ما عمل
وقال اشهد ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان
من افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس
في زمانه فحكي انه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص
ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية
ورقة حملتني على التوبة والانابة **فصل** ومن وجوه اعجازه
المعدودة كونه باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله
بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
الآية وسائر معجزات الانبياء انقضت بانقضاء اوقاتها
ولم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة
معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس
وثلثين سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة
ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان
وحملة علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان الكلام
وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع

فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته ولا ألف كلمتين
في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف
من ذهنه في ذلك إلا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام
ذلك إلقاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه **فصل**
وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوها
كثيرة منها أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب
على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال
غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة
مبلغه يمل مع الترديد ويعادى إذا أعيد وكتابنا يستلذ به
في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الأزمات وسواه من الكتب
لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لها لحونا وطرقا
يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلق
على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل
ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس
به الألسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا إنا
سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد • ومنها جمعه لعلوم ومعارف
لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها

أحد

أحد من علماء الأمم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع
فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات
والرد على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بينة سهلة الألفاظ
موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها
فلم يقدروا عليها كقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات
والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم وقل يحييها الذي أنشأها
أول مرة ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا إلى ما حواه
من علوم السير وأنباء الأمم والمواعظ والحكم وأخبار الدار
الآخرة ومحاسن الآداب والشيم قال الله تعالى جل اسمه
ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا
لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل
وقال عليه السلام إن الله أنزل القرآن آمرا وزاجرا وسنة
خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم
ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي
عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل
ومن خاصم به فلج ومن قسم به أقسط ومن عمل به أجر ومن
تمسك به هدي إلى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره
أضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم
والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين

والشفاء النافع عصمة لمن تمسك ونجاة لمن اتبعه
لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه
ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال وفيه
لا يختلف ولا يتشان فيه نبأ الاولين والاخرين
وفي الحديث قال الله لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم
اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا واذانا
صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب
وعن كعب عليكم بالقرآن فانه فهم العقول ونور الحكمة
وقال تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم
فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى الاية فجمع فيه
مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما في الكتب
قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه
بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القرآن
وحسن وصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة
امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم مواضع الحجة
والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة ومنها
ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور
لان المنظوم اسهل على النفوس واوعى للقلوب واسمع في الاذان
واحلى على الافهام فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع

ومنها

ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه
قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وسائر الامم
لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين
عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة
ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ائتلاف انواعها
والتئام اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج
من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة
على امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة
وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده
دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا
ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه
فتأمل اول ص وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم
وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم
لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وتعجبهم مما اتى به والخبر
عن اجتماع ملائهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم
وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والاخرة
وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء
مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود

وقصص الانبياء كل هذا في اوجز كلام واحسن نظام •
ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة
وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القرآن
الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها اذ اكثرها داخل
في باب بلاغته فلا يجب ان يعد فنا منفردا في اعجازه الا
في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم
يعد في خواصه وفضائله لا في اعجازه وحقيقة الاعجاز
الوجوه الاربعة التي ذكرناها فليعتمد عليها وما بعدها
من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس

قال الله تعالى
اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي
واعراض الكفرة عن آيته واجمع المفسرون واهل السنة
على وقوعه اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه حدثنا
القاضي سراج بن عبد الله حدثنا الاصيلي حدثنا المروزي
حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا مسدد حدثنا
يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابرهيم عن ابي معمر
عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه

فقال

فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشهدوا
وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وفي بعض طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود
الاسود وقال حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه
مسروق انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة
فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره
ان يسحر الارض كلها فسلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا
فأتوا فسألوهم فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك • وحكى
السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر
فابعثوا الى اهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا ذلك ام لا فاخبر
اهل الآفاق انهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر
مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود وعلقمة رضي الله عنهما
فهؤلاء الاربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه
ابن مسعود منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي
وجبير بن مطعم فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي
انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وعن انس سأل اهل مكة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر مرتين حتى رأوا حراء
بينهما رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره

عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت
اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم
ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد
ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمى ومسلم بن ابى عمران
الازدى واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والاية مصرحة
ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف
على اهل الارض اذ هو شىء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا
عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق
ولو نقل الينا عن من لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب
لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر فى حد واحد لجميع اهل الارض
فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين وقد يكون من قوم
بضد ما هو من مقابليهم من اقطار الارض او يحول بين قوم
وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات فى بعض البلاد
دون بعض وفى بعضها جزئية وفى بعضها كلية وفى بعضها
لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم
واية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو
والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف
من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك

ما يكون

ما يكون الكسوف القمرى كثيرا فى البلاد واكثرهم لا يعلم
به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها
من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر فى الاحيان بالليل فى السماء
ولا علم عند احد منها وخرج الطحاوى فى مشكل الحديث
عن اسماء بنت عميس رضى الله عنها من طريقين ان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه فى حجر على
فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اصليت يا على فقال لا فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم انه كان فى طاعتك
وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرأيتها
غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال
والارض وذلك بالصهباء فى خيبر قال وهذان الحديثان
ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطبرى ان احمد بن صالح
كان يقول لا ينبغى لمن يكون سبيله العلم التخلف عن حفظ
حديث اسماء لانه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير
فى زيادة المغازى عن ابن اسحق لما اسرى برسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التى فى العير
قالوا متى تجىء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت
قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجىء فدعا رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم **فصل** في نبع الماء من بين اصابعه
وتكثيره ببركته عليه السلام. اما الاحاديث في هذا فكثيرة
جدا روى حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه
وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود **حدثنا**
ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه
حدثنا القاضي عيسى بن سهل حدثنا ابو القاسم حاتم
بن محمد حدثنا ابو عمر بن الفخار حدثنا ابو عيسى حدثنا
يحيى حدثنا مالك عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس
بن مالك رضي الله عنه قال رايت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وحانت صلوة العصر فالتمس الناس الوضوء
فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بوضوء فوضع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤا منه قال
فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا
من عند اخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة وقال باناء
فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال
زهاء ثلثمائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق
ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد
قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا

وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود ففي الصحيح عنه
من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتي بماء فصبه
في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد
عن جابر رضي الله عنه عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها
واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك
فوضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يده في الركوة فجعل
الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم
قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة. وروى مثله
عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية. وفي رواية الوليد
بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر
غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد
الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب
فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر
عليه وقال بسم الله قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه
ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت وامر الناس
بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة
فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده من الجفنة
وهي ملأى وعن الشعبي اتي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في بعض اسفاره باداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ماء غيرها فسكبها في ركوة ووضع اصبعه
وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤن
ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين
ومثل هذا في هذه المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة
لا تتطرق التهمة الى المحدث لانهم كانوا اسرع شيء
الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن
لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا
حضور الجماء الغفير له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا
به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم لهم

فصل

ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته
وانبعاثه بمسه ودعوته مما رواه مالك في الموطأ عن معاذ
ابن جبل في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض

بشيء

بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع
في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه
وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس
قال في حديث ابن اسحق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق
ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حيوة ان ترى ما ههنا
قد ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه
اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروي
خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباها قال البراء
واتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فاما دعا واما
بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم وفي غير هذه
الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية
فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيها ماء فروى
الناس حتى ضربوا بعطن وعن ابي قتادة وذكر ان الناس شكوا
الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العطش في بعض اسفاره
فدعا بالميضاة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم
نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملأوا كل اناء
معهم فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا
وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث ابي قتادة

على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم خرج بهم ممدا لاهل مؤتة عند ما بلغه قتل الامراء
وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وايات للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء في غد وذكر
حديث الميضاءة قال والقوم زهاء ثلثمائة وفي كتاب مسلم
انه قال لابي قتادة احفظ على ميضاتك فانه سيكون لها
نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفارهم
فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امرأة بمكان كذا
معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها
الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها
وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين
ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملؤا اسقيتهم حتى لم يدعوا
شيئا الا ملؤه قال عمران بن حصين ويخيل الي انهما
لم تزداد الا امتلاء ثم امر فجمع للمرأة من الازواد حتى
ملأ ثوبها وقال اذهبي فانا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن الله
سقانا وعن سلمة بن الاكوع قال نبي الله صلى الله تعالى
عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة
فافرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة

اربع عشرة مائة وفي حديث عمر في جيش العسرة وذكر
ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه
فيشربه فرغب ابو بكر الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء
فانسكبت فملؤا ما معهم من انية ولم يجاوز العسكر
وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي
ماء فنزل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وضرب
بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث في هذا الباب
كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه **فصل**
ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه عليه السلام
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله حدثنا العذري
حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا
مسلم بن الحجاج حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا الحسن بن اعين
حدثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر ان رجلا اتى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير
فما زال ياكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فاتى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله
لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث ابي طلحة المشهور

واطعامه صلى الله تعالى عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا
من اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده اي ابطه فامر بها
ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث جابر
في اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل
من صاع شعير وعناق وقال جابر فاقسم بالله لاكلوا
حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما وان عجيننا ليخبز
وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بصق في العجين
والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وايمن وعن ثابت
مثله عن رجل من الانصار وامرأته ولم يسمهما قال وجيء
بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يبسطها في الاناء ويقول ما شاء الله فاكل منه من في البيت
والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه عليه السلام
لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الاناء وحديث ابي ايوب
انه صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولابي بكر
من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ادع ثلثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا
حتى تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع
سبعين فاكلوا حتى تركوا وما خرج منهم احد حتى اسلم
وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا

وعن سمرة بن جندب اتي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم
ويقعد اخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر
كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثين ومائة
وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوى
سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلثين ومائة الا وقد حز
له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون
وفضل في القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك
حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله
لسلمة بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب وذكروا
مخمصة اصابت الناس مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد فجاء الرجل بالحثية
من الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر
فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا
الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء الا ملؤه وبقي
منه وعن ابي هريرة امرني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت
بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها
حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع وعن علي بن ابي طالب

رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم يأكلون الجذعة
ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا
وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كأنه
لم يشرب منه وقال انس ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
حين ابتنى بزينب امره ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت
حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد
من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلث اصابعه
وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان
وكان القوم احدا او اثنين وسبعين وفي رواية اخرى
في هذه القصة او مثلها ان القوم كانوا زهاء ثلثمائة
وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا ادري حين وضعت
كانت اكثر ام حين رفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم ان فاطمة رضي الله عنها
طبخت قدرا لغدائها ووجهت عليا رضي الله عنه الى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ليتغدى معهما فامرها فغرفت
لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له عليه السلام ولعلي
رضي الله عنه ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض قالت
فأكلنا منها ما شاء الله وامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ان يزود اربع مائة راكب من احمس فقال يا رسول الله
ما هي الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان
قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين
الاحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن
الخبر بعينه الا انه قال اربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك
حديث جابر في دين ابيه بعد موته وكان قد بذل لغرماء ابيه
اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في تمرها سنتين كفاف دينهم
فجاءه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ان امر بجدها
وجعلها بيادر في اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه
جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة
وفي رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فعجبوا
من ذلك. وقال ابو هريرة اصاب الناس مخمصة فقال لي
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل من شيء قلت نعم
شيء من التمر في المزود قال فاتني به فادخل يده فاخرج
قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فأكلوا
حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم
وشبعوا قال خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه
ولا تكبه فقبضت على اكثر ما جئت به فأكلت منه واطعمت
حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابي بكر

وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب مني فذهب وفي رواية
فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله عز
وجل وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان
بضع عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابي هريرة حين اصابه
الجوع فاستتبعه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوجد
لبنا في قدح قد اهدي اليه وامره ان يدعو اهل الصفة قال
فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى
بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له
ان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه
الاخر حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت
ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك
بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب
الفضلة وفي حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا
يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما ٠ وان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها
في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا
وافضلوا ذكر خبره الدولابي ٠ وفي حديث الاجري

في انكاح النبي

في انكاح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لعلي فاطمة
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امر بلالا بقصعة
من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال
فاتيته بذلك فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة
ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها
وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن من غشيكن
وفي حديث انس تزوج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به
الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ضعه
وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا
لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلثمائة حتى
ملؤا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله
ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري
حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث هذه
الفصول الثلثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث
هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رضي الله عنهم رواه
عنهم اضعافهم من التابعين ثم من لا ينعد بعدهم واكثرها

فى قصص مشهودة ومجامع مشهودة ولا يمكن التحدث
عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر **فصل**
فى كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته
عليه السلام قال حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ
الصالح فيما اجازنيه عن ابى عمر الطلمنكى عن ابى بكر
ابن المهندس عن ابى القاسم البغوى حدثنا احمد بن عمران
الاخنسى حدثنا ابو حيان التيمى وكان صدوقا عن مجاهد
عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فى سفر فدنا منه اعرابى فقال يا اعرابى
اين تريد قال الى اهلى قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهى
بشاطئ الوادى فادعها فانها تجيبك قال فدعوتها فاقبلت
تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا
فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة سأل
اعرابى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آية فقال له
قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها
وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر

عروقها

137

عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال
الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها
فى ذلك فاستوت فقال الاعرابى ائذن لى اسجد لك قال
لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها
قال فأذن لى اقبل يديك ورجليك فاذن له وفى الصحيح
فى حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يقضى حاجته فلم ير شيئا يستتر به
فاذا بشجرتين بشاطئ الوادى فانطلق رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم الى احديهما فاخذ بغصن من اغصانها
انقادى على باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى
يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان
بالمنصف بينهما قال التئما على باذن الله فالتئمتا وفى رواية
اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم الحقى بصاحبتك حتى اجلس
خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس
خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسى فالتفت
فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقبلا
والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق

فوقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقفة
فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد
نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس
فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات
قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يأمركن ان يأتين لمخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق
لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن
حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن
يفترقن فوالذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى
عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين
وذكر فأمر وديتين فانضمتا وفي رواية اشاءتين وعن غيلان
ابن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن عبد الله بن مسعود
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مثله في غزوة حنين
وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء راها
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة

جاءت

جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم انها استأذنت ان تسلم علي
وفي حديث عبد الله بن مسعود آذنت النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد
عن ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك
قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها
قعاقع وذكر مثل الحديث الاول او نحوه قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه فهذا ابن عمر وبريدة وجابر
وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك
وعلي بن ابي طالب وابن عباس رضي الله عنهم وغيرهم
قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها ورواها
عنهم من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها
من القوة حيث هي وذكر ابن فورك انه صلى الله تعالى
عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن
فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما
وبقيت على ساقين الى وقتنا هذا وهي هناك معروفة معظمة
ومن ذلك حديث انس ان جبريل قال للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وراه حزينا اتحب ان اريك آية قال نعم فنظر
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي

فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه
قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي نحو هذا
ولم يذكر فيها جبريل قال اللهم ارني آية لا ابالي من كذبني
بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله تعالى عليه
وسلم لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن اسحق
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الآية
في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال لها ارجعي
فرجعت وعن الحسن انه عليه السلام شكى الى ربه من قومه
عليه السلام وانهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها ان لا مخافة
عليه فاوحى الله اليه ان ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا
منها يأتك ففعل فجاء يخط الارض حتى انتصب بين يديه
فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال
يا رب علمت ان لا مخافة علي ونحو منه عن عمر وقال فيه
ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال
لاعرابي ارأيت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد
اني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال
ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح

فصل في قصة حنين الجذع ويعضد هذه الاخبار

حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به
متواتر قد خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر
منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله
ابن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد
الخدري وبريدة وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة كلهم
يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث انس صحيح
قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع
منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار
وفي رواية انس حتى ارتج المسجد بخواره وفي رواية سهل وكثر
بكاء الناس لما رأوا به • وفي رواية المطلب حتى تصدع وانشق
حتى جاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوضع يده عليه
فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده
لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب
وسهل بن سعد واسحق عن انس وفي بعض الروايات عن سهل
فدفن تحت منبره او جعلت في السقف وفي رواية ابي فكان
اذا صلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صلى اليه فلما

هدم المسجد أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته الأرض
وعاد رفاتا وذكر الإسفرائيني أن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم دعاه إلى نفسه فجاءه يخرق الأرض فالتزمه ثم أمره
فعاد إلى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه
تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة
وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم
أصغى له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستمع ما يقول
فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون
في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء
على دار الفناء فكان الحسن إذا حدث بهذا بكى وقال
يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم شوقا إليه لمكانه فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه
رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبد الله بن حفص
وأيمن وأبو نضرة وابن المسيب وسعيد بن أبي كرب وكريب
وأبو صالح ورواه عن أنس بن مالك الحسن وثابت وإسحق
ابن أبي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وأبو حية ورواه
أبو نضرة وأبو الوداك عن أبي سعيد وعمار بن أبي عمار

عن ابن عباس وأبو حازم وعباس بن سهل بن سعد
عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة
عن أبيه والطفيل بن أبي عن أبيه قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه فهذا حديث كما تراه خرجه أهل الصحة ورواه
من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم إلى من
لم نذكره وبمن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب
والله المثبت على الصواب فصل ومثل هذا في سائر الجمادات
حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي حدثنا
القاضي أبو عبد الله محمد بن المرابط حدثنا المهلب
أبو القاسم حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا المروزي
حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا محمد بن المثنى
حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا إسرائيل عن منصور
عن إبرهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع
تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود
كنا نأكل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الطعام
ونحن نسمع تسبيحه وقال أنس أخذ النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم كفا من حصا فسبحن في يد رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر
فسبحن ثم في أيدينا فما سبحن وروى مثله أبو ذر وذكر

انهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال علي كنا بمكة مع رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله
شجر ولا جبل الا قال له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر
ابن سمرة عنه عليه السلام اني لاعرف حجرا بمكة كان
يسلم علي قيل انه الحجر الاسود وعن عائشة رضي الله عنها
لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر
الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله
لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر
الا سجد له وفي حديث العباس اذ اشتمل عليه النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم
بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فامنت اسكفة الباب
وحوائط البيت امين امين وعن جعفر بن محمد عن ابيه
مرض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق
فيه رمان وعنب فاكل منه النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فسبح وعن انس صعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم فقال اثبت احد
فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله عن ابي هريرة
في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال فانما عليك
نبي او صديق او شهيد والخبر ايضا في حراء عن عثمان

قال ومعه

141

قال ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن
ابن عوف وسعدا قال ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد
ابن زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي
انه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فاني
اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال حراء الي
يا رسول الله وروى ابن عمر ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال
يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار انا الكبير المتعال
فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس رضي الله
عنهما كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل
بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده
اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل الاية
فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفا صنم الا
وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود
قال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل
وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء امره
اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج
وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة
للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك فقال انه
لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبي
وذكر القصة ثم قال واقبل صلى الله تعالى عليه وسلم
وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه
الى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء اليه **فصل** في الايات
في ضروب الحيوانات **حدثنا** سراج بن عبد الملك ابو الحسين
الحافظ حدثنا ابي حدثنا القاضي يونس حدثنا ابو الفضل
الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا
حدثنا ابو العلاء احمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل
حدثنا يونس بن عمرو حدثنا مجاهد عن عايشة رضي الله
عنها قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجيء ولم يذهب
واذا خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاء
وذهب وروي عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاءه اعرابي
قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله فقال واللات
والعزى لا امنت بك او يؤمن بك هذا الضب وطرحه
بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال النبي

صلى الله

صلى الله تعالى عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين
يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى
القيمة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض
سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار
عقابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبين
وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي
ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن ابي سعيد الخدري
بينما راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فاخذها
الراعي منه فاقعى الذئب وقال للراعي الا تتقي الله حلت
بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس
فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بانباء ما
قد سبق فاتى الراعي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فاخبره فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قم
فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه
طول وروي حديث الذئب عن ابي هريرة وفي بعض الطرق
عن ابي هريرة فقال الذئب انت اعجب واقفا على غنمك
وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا
قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون

فما لهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله
قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب انا ارعيها حتى ترجع فاسلم
الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقاتل فقال له النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها
فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان بن اوس
وانه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب
وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب هذه القصة
ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابي سعيد وقد روى ابن وهب
مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية
مع ذئب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب
فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله
بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال
ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها
خلوفا وقد روي مثل هذا الخبر وانه جرى لابي جهل واصحابه
وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده
الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فاذا طائر سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب
من نفسك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوا

الى الاسلام

الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر
ابن عبد الله عن رجل اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها
لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها
فان الله سيؤدي عنك امانتك ويردها الى اهلها •
وعن انس رضي الله عنه دخل النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم حائط انصاري وابو بكر وعمر ورجل من الانصار
وفي الحائط غنم فسجدت له فقال ابو بكر نحن احق بالسجود
لك منها الحديث وعن ابي هريرة رضي الله عنه دخل النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له
وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر
ابن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان
لا يدخل احد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه فوضع مشفره
على الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال صلى الله تعالى
عليه وسلم ما بين السماء والارض شيء الا يعلم اني رسول الله
الا عاصي الجن والانس ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى
وفي حديث آخر في حديث الجمل ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم سألهم عن شأنه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه

وفي رواية ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم
انه تشكى كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية انه شكى
الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق العمل
من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء وكلامها
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتعريفها له بنفسها
ومبادرة العشب اليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها
وندائهم لها انك لمحمد وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته
حتى ماتت ذكره الاسفرائني وروى ابن وهب ان حمام مكة
اظلت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم فتحها فدعا
لها بالبركة وروي عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال امر الله ليلة الغار
شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسترته
وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث اخر وان العنكبوت
نسجت على بابه فلما اتى الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه
احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بدنات خمس او ست او سبع
لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدأ وعن ام سلمة
رضي الله عنها كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صحراء

فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قال صادني
هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب
فارضعهما وارجع قال او تفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت
ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله
الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو
في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
ومن هذا الباب ما روي من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن
فلقي الاسد فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر
في منصرفه مثل ذلك وفي رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت
به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني
على الطريق واخذ عليه السلام باذن شاة لقوم من بني عبد القيس
بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك الاثر فيها
وفي نسلها بعد وما روي عن ابرهيم بن حماد بسنده
من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب
فسماه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعفورا وانه كان
يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه

ويستدعيهم وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما
مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي
شهدت عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبها
انه ما سرقها وانها ملكه وفي العنز التي اتت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش
ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع املكها
وما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع
وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها وقال لفرسه عليه السلام
وقد قام الى الصلوة في بعض اسفاره لا تبرح بارك الله
فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا
حتى صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويلتحق بهذا
ما رواه الواقدي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لما وجه رسله الى الملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد
فاصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم
والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك
وما وقع منه في كتب الائمة **فصل** في احياء الموتى وكلامهم
وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة حدثنا

ابو الوليد

ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي
ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى
التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا حدثنا ابو علي الحافظ
حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى
حدثنا احمد بن سعيد حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود
حدثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو
عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان يهودية اهدت
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بخيبر شاة مصلية
سمتها فاكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها
مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك
على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت
وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت
وقد روى هذا الحديث انس وفيه قالت اردت قتلك فقال
ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا انقتلها قال لا وكذلك
روي عن ابي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها
ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني به هذه الذراع
قال ولم يعاقبها وفي رواية الحسن ان فخذها تكلمني انها
مسمومة وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن فقالت اني مسمومة

وكذلك ذكر الخبر ابن إسحق وقال فيه فتجاوز عنها .
وفي الحديث الآخر عن أنس أنه قال فما زلت أعرفها في لهوات
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . وفي حديث أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال في وجعه الذي
مات فيه ما زالت أكلة خيبر تعادني فالآن أوان قطعت أبهري
وحكى ابن إسحق أن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة
وقال ابن سحنون أجمع أهل الحديث أن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا
اختلاف الروايات في ذلك عن أبي هريرة وأنس وجابر رضي الله
عنهم وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما أنه دفعها
لأولياء بشر بن البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف في قتله
للذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه أثبت عندنا وروى عنه
أنه قتله . وروى الحديث البزار عن أبي سعيد فذكر مثله
إلا أنه قال في آخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فأكلنا وذكرنا
اسم الله فلم تضر منا أحدا . قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه
وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح وخرجه الأئمة
وهو حديث مشهور واختلف أئمة النظر في هذا الباب فمن قائل
يقول هو كلام يخلقه الله في الشاة الميتة أو الحجر أو الشجر

وحروف

وحروف وأصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها
دون تغيير أشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ
أبي الحسن والقاضي أبي بكر رحمهما الله وآخرون ذهبوا
إلى إيجاد الحيوة بها أولا ثم الكلام بعده . وحكي هذا
أيضا عن شيخنا أبي الحسن وكل محتمل والله أعلم إذا
لم نجعل الحيوة شرطا لوجود الحروف والأصوات إذ لا يستحيل
وجودها مع عدم الحيوة بمجردها . فأما إذا كانت عبارة
عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحيوة لها إذ لا يوجد
كلام النفس إلا من حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق
في إحالة وجود الكلام اللفظي والحروف والأصوات
إلا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف
والأصوات والتزم ذلك في الحصا والجذع والذراع
وقال إن الله خلق فيها حيوة وخرق لها فما ولسانا وآلة
أمكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به
آكد من التهمم بنقل تسبيحه أو حنينه ولم ينقل أحد
من أهل السير والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه
مع أنه لا ضرورة إليه في النظر والله الموفق . وروى وكيع
رفعه عن فهد بن عطية أن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم أتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من أنا فقال

رسول الله وروى عن معرض بن معيقيب رايت من النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر
مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة
اسم راوية وفيه فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها
حتى شب وكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة
بمكة في حجة الوداع وعن الحسن اتى رجل النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فذكر له انه طرح بنية له في وادي كذا
فانطلق معه الى الوادي وناديها باسمها يا فلانة اجيبي
باذن الله تعالى فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال
لها ان ابويك قد اسلما فان اردت ان اردك عليهما قالت
لا حاجة لي بهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن انس ان شابا
من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها
فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت
اليك والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحملن
على هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه
فطعم وطعمنا وروى عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري
كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة
فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله

ابو بكر الصديق عمر الشهيد وعثمان البر الرحيم فنظرنا
فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة
خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه
بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا
فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي
وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق
وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله
ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان فصل
في ابراء المرضى وذوي العاهات اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف
فيما اجازنيه وقراته على غيره قال حدثنا ابو اسحق الحبال
حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الورد عن البرقي
عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن اسحق حدثنا
ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم
بقصة احد بطولها قال فقالوا قال سعد بن ابي وقاص ان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليناولني السهم
لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت واصيبت يومئذ
عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت احسن عينيه

وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض
عن ابن عمر بن قتادة ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة
وبصق على اثر سهم في وجه ابي قتادة في يوم ذي قرد قال
فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن حنيف
ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي عن بصري
قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني اسألك
واتوجه اليك بنبي محمد نبي الرحمة صلى الله تعالى عليه وسلم
يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصري اللهم
شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروى ان ابن ملاعب
الاسنة اصابه استسقاء فبعث الى النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم
اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى ان قد هزئ به فاتاه بها
وهو على شفا فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب
ابن فديك ويقال فريك ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر
بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
في عينيه فابصر فرايته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين
سنة ورمي كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره فبصق رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فبرأ وتفل على شجة عبد الله
ابن انيس فلم تمد وتفل في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا

فاصبح بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع
يوم خيبر فبرأت وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها
السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرأت وعلى ساق
علي بن الحكم يوم الخندق اذ انكسرت فبرأ مكانه وما نزل
عن فرسه واشتكى علي بن ابي طالب فجعل يدعو فقال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم ضربه
برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر
يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب
ومن روايته ايضا ان حبيب بن يساف اصيب يوم بدر
مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بضربة على عاتقه
حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ونفث عليه حتى صح واتته امرأة من خثعم معها صبي به
بلاء لا يتكلم فاتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم
اعطاها اياه وامرها بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل
عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس جاءت امرأة
بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه
مثل الجرو الاسود فشفي وانكفأت القدر على ذراع محمد
ابن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرأ

لحيته وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض
على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها
أثر وسألته جارية طعاما وهو يأكل فناولها من بين يديه
وكانت قليلة الحياء فقالت إنما أريد الذي في فيك فناولها
ما في فيه ولم يكن يسأل شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها
ألقي عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها

فصل في إجابة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا باب
واسع جدا وإجابة دعوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة
وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده
حدثنا أبو محمد العتابي بقراءتي عليه حدثنا أبو القاسم
حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا أبو زيد
المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل
حدثنا عبد الله بن أبي الأسود حدثنا حرمي حدثنا
شعبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنهما قال قالت أمي يا رسول الله
خادمك أنس ادع الله له قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك
له فيما آتيته ۰ ومن رواية عكرمة قال أنس فوالله إن مالي لكثير

وإن ولدي

وإن ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة
وفي رواية وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش ما أصبت
ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا أقول سقطا
ولا ولد ولد ومثله دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة
قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته ذهبا
وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى
مجلت فيه الأيدي وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا
وقيل مائة ألف وقيل بل صولحت إحداهن لأنه طلقها
في مرضه على نيف وثمانين ألفا وأوصى بخمسين ألفا
بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة أعتق يوما
ثلثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت
عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها
وأحلاسها ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة
ولسعد بن أبي وقاص أن يجيب الله دعوته فما دعا على أحد
إلا استجيب له ودعا بعز الإسلام بعمر أو بأبي جهل
فاستجيب له في عمر وقال ابن مسعود ما زلنا أعزة
منذ أسلم عمر وأصاب الناس في بعض مغازيه عطش
فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم
ثم أقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا إليه المطر

فدعا فصحوا وقال لابي قتادة افلح وجهك اللهم بارك
له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة
سنة وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن
وفي رواية فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت
له اخرى وعاش عشرين ومائة سنة وقيل اكثر من هذا ودعا
لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي
بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة
في صفقة يمينه فما اشترى شيئا الا ربح فيه ودعا للمقداد
بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله لعروة
ابن ابي الجعد قال فلقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح
اربعين الفا وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب
ربح فيه وروى مثل هذا الغرقدة ايضا وندت له ناقة فدعا
فجاءه بها اعصار ريح حتى ردها عليه ودعا لام ابي هريرة
فاسلمت ودعا لعلي ان يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء
ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد
ودعا لفاطمة ابنته ان لا يجيعها قالت فما جعت بعد وسأله
الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع نور
بين عينيه فقال يا رب اني اخاف ان يقولوا مثلة فتحول
الى طرف سوطه فكان يضيء له في الليلة المظلمة فسمي

ذا النور

ذا النور ودعا على مضر فاقحطوا حتى استعطفته قريش ودعا
لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق ملكه
فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا
ودعا على صبي قطع عليه الصلاة ان يقطع الله اثره فاقعد
وقال لرجل رآه ياكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال
لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال لعتبة بن ابي لهب
اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وقال
لامرأة اكلك الاسد فاكلها وحديثه المشهور من رواية
عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا
على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد
رأيتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن ابي العاص وكان
يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اي لا فراه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا
على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم ووري
فلفظته مرات فالقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة
الصد جانب الوادي وجحده رجل بيع فرس وهي التي شهد
فيها خزيمة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرد الفرس
بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اللهم ان كان
كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصية برجلها اي رافعة

وهذا الباب اكثر من ان يحاط به

فصل في كراماته وبركاته

وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره اخبرنا احمد بن محمد
حدثنا ابو ذر الهروي اجازة وحدثنا القاضي ابو علي
سماعا والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما
قالوا حدثنا ابو الوليد القاضي حدثنا ابو ذر حدثنا
ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا الفربري حدثنا
البخاري حدثنا عبد الاعلى بن حماد حدثنا يزيد بن زريع
حدثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك رضي الله عنه
ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف او به قطاف وقال
غيره يبطأ فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد
لا يجارى ونخس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
جمل جابر وكان قد اعيا فنشط حتى كان لا يملك زمامه وصنع
مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك
عليها فلم يملك رأسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر الفا
وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة فرده هملاجا لا يساير
وكانت شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها
قتالا الا رزق النصر وفي الصحيح عن اسماء بنت ابي بكر
رضي الله عنها انها اخرجت جبة طيالسة وقالت

كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلبسها فنحن
نغسلها للمرضى يستشفى بها وحدثنا القاضي ابو علي
عن شيخه ابي القاسم بن المامون قال كانت عندنا قصعة
من قصاع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكنا نجعل فيها
الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب
من يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته
الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوئه
في بئر قباء فما نزفت بعد وبزق في بئر كانت في دار انس
فلم يكن بالمدينة اعذب منها ومر على ماء فسأل عنه فقيل
له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب
فطاب واتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب
من المسك واعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا
يبكيان عطشا فسكتا وكان لام مالك عكة تهدي فيها للنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم سمنا فامرها النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم الا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة
سمنا فاتيها بنوها يسألونها الادم وليس عندهم شيء
فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها
وكان يتفل في افواه الصبيان المراضع فيجزئهم ريقه
الى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسه او غرسه لسلمان

حين كاتبه مواليه على ثلثمائة ودية يغرسها لهم كلها
تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام عليه السلام
وغرسها له بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها
الا تلك الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم وردها فاخذت وفي كتاب البزاز فاطعم النخل
من عامه الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه
مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان اداها على لسانه
فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم
وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم شربة من سويق شرب اولها وشربت اخرها
فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها
اذا ظمئت واعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء
في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء
لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك
فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق
فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه
حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به
حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما

طويل القامة

153

طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده
يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال اهل الردة وكان
هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم احد
وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنه
بركته في درور الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة
ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة
مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت
لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده اصحابه
سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة
نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد
ابن سلمة ومسح على راس عمير بن سعد وبرك فمات وهو
ابن ثمانين فما شاب وروى مثل هذه القصص عن غير واحد
منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد
طيب يغلب طيب نسائه لان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره وسلت الدم
عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت
له غرة كغرة الفرس ومسح على راس قيس بن زيد الجذامي
ودعا له فهلك وهو ابن مائة سنة وراسه ابيض
وموضع كف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما مرت يده

عليه من شعره اسود فكان يدعى الاغر وروى مثل هذه الحكاية
لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه آخر فما زال على وجهه نور
ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان
ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده على رأس حنظلة
ابن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه
والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة
نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها
ومسح على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره وعلى غير واحد
من الصبيان والمرضى والمجانين فبرؤا واتاه رجل به ادرة
فامره ان ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرأ •
وعن طاوس لم يؤت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باحد
به مس فصك في صدره الا ذهب والمس الجنون ومج في دلو
من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك واخذ قبضة
من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت
الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن اعينهم وشكا اليه
ابو هريرة النسيان فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم
امره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا كثير
وضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له انه

لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب واثبتهم ومسح
رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان
دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما فصل
ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون والاحاديث
في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة
من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل الينا خبرها
على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع
على الغيب حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري
اجازة وقرأته على غيره قال ابو بكر حدثنا ابو علي التستري
حدثنا ابو عمر الهاشمي حدثنا اللؤلؤي حدثنا ابو داود
حدثنا عثمان بن ابي شيبة حدثنا جرير عن الاعمش
عن ابي وائل عن حذيفة رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه
ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه
من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء
فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه
ثم اذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام
تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة

فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال
ابو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علما وقد
خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه صلى الله تعالى
عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة
وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الامن
حتى تظعن المرأة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله
وان المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يدي علي في غد يومه
وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها
وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن
والاختلاف والاهواء وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم
على ثلث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وانهم
ستكون لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح في اخرى
وتوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم
كما تستر الكعبة ثم قال اخر الحديث وانتم اليوم خير منهم
يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس
والروم رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم
وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس
حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده

وذكر

وذكر ان الروم ذات قرون الى اخر الدهر وبذهاب الامثل
فالامثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم
وظهور الفتن والهرج وقال صلى الله تعالى عليه
وسلم ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له الارض
فارى مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوي له
منها وكذلك كان امتدت في المشارق والمغارب
ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة
وراءه وذلك ما لم تملكه امة من الامم ولم تمتد في الجنوب
ولا في الشمال مثل ذلك وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين
على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني الى انهم العرب
لانهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب
الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه
وفي حديث اخر من رواية ابي امامة لا تزال طائفة من امتي
ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم امر الله وهم
كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر
بملك بني امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني امية
مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم
اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال اهل بيته
وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي وان اشقاها الذي يخضب

هذه من هذه اى لحيته من رأسه وانه قسيم النار يدخل
اولياؤه الجنة واعداؤه النار فكان ممن عاداه الخوارج
والناصبة وطائفة ممن ينسب اليه من الروافض كفروه
وقال يقتل عثمان وهو يقرأ في المصحف وان الله عسى ان يلبسه
قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله
فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم • وان الفتن
لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح
كلاب الحوأب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثير
وتنجوا بعد ما كادت فنبحت على عائشة عند خروجها الى البصرة
وان عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معاوية
وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس
وقال في قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل
نفسه • وقال في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب
وحذيفة آخركم موتا في النار فكان بعضهم يسأل عن بعض
فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق
فيها وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجته عنه فاني رأيت
الملئكة تغسله فسألوها فقالت انه خرج جنبا واعجله
الحال عن الغسل قال ابو سعيد ووجدنا رأسه يقطر ماء •
وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما اقاموا

الدين

الدين • وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج
والمختار وان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة اول اهله
لحوقا به وانذر بالردة وان الخلافة بعده ثلثون ثم تكون
ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي • وقال ان هذه الامر
بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون رحمة وخلافة
ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الامة
واخبر بشأن اويس القرني وبامراء يؤخرون الصلاة عن وقتها
وسيكون في امته ثلثون كذابا فيهم اربع نسوة وفي حديث آخر
ثلثون دجالا كذابا آخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب
على الله ورسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم العجم يأكلون
فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس
بعصاه رجل من قحطان • وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم
ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون
ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون وقال لا يأتي
زمان الا والذي بعده شر منه • وقال هلاك امتي
على يدي اغيلمة من قريش قال ابو هريرة راويه لو شئت
سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور القدرية
والرافضة وسب آخر هذه الامة اولها وقلة الانصار
حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى

لم تبق لهم جماعة وانهم سيلقون بعده اثرة واخبر
بشأن الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وان سيماهم
التحليق وترى رعاء الغنم رؤس الناس والعراة الحفاة
يتبادرون في البنيان وان تلد الامة ربتها وان قريشا
والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم واخبر بالموتان
الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة
وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة وان الدين
لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت
ريح في غزاة فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة
وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس احدكم في النار
اعظم من احد قال ابو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت
انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم بالذي غل خرزا
من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة وحيث هي
وناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها
وبشأن كتاب حاطب الى اهل مكة وبقضية عمير مع صفوان
حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قاصدا لقتله واطلعه النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم على الامر والسر اسلم واخبر بالمال الذي تركه

عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه
غيري وغيرها فاسلم واعلم بانه سيقتل ابي بن خلف
وفي عتبة بن ابي لهب انه ياكله كلب من كلاب الله ●
وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال وقال في الحسن ان ابني
هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين ولسعد لعلك
تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك آخرون واخبر
بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا وبينه وبينهم مسيرة شهر وازيد
وبموت النجاشي يوم مات وهو بارضه واخبر فيروز
اذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما
حقق فيروز القصة اسلم واخبر ابا ذر بتطريده كما كان
ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت منه
قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث
وبعيشه وحده وبموته وحده واخبر ان اسرع ازواجه لحوقا
اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر
بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه
وقال في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة
فقطعت يده في الجهاد وقال في الذين كانوا معه على حراء
اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر
وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد وقال لسراقة

كيف بك إذا لبست سواري كسرى فلما أتي بهما عمر ألبسهما
إياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة
وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة
تجبى إليها خزائن الأرض يخسف بها يعني بغداد وقال سيكون
في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الأمة
من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان
دعويهما واحدة وقال لعمر في سهيل بن عمرو عسى أن يقوم
مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام أبي بكر
يوم بلغهم موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وخطب
بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال لخالد حين وجهه
لأكيدر إنك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الأمور كلها
في حياته وبعد موته كما قال عليه السلام إلى ما أخبر به جلساءه
من أسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من أسرار المنافقين
وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى إن كان بعضهم ليقول
لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته
حجارة البطحاء وإعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد
ابن الأعصم وكونه في مشط ومشاقة في جف طلع نخلة
ذكر وأنه ألقي في بئر ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة
وإعلامه قريشا بأكل الأرضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها

على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وأنها أبقت فيها كل اسم
لله فوجدوها كما قال ووصفه لكفار قريش بيت المقدس
حين كذبوه في خبر الإسراء ونعته إياه نعت من عرفه وإعلامهم
بعيرهم التي مر عليها في طريقه وإنذارهم بوقت وصولها
فكان كله كما قال إلى ما أخبر به من الحوادث التي تكون ولم تأت
بعد منها ما ظهرت مقدماته كقوله عمران بيت المقدس
خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة
فتح القسطنطينية ومن أشراط الساعة وآيات حلولها
وذكر النشر والحشر وأخبار الأبرار والفجار والجنة والنار
وعرصات القيمة وبحسب هذا الفصل أن يكون ديوانا مفردا
يشتمل على أجزاء وحده وفيما أشرنا إليه من نكت الأحاديث التي
ذكرناها كفاية وأكثرها في الصحيح وعند الأئمة **فصل**
في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه قال الله
تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك
فإنك بأعيننا وقال تعالى أليس الله بكاف عبده قيل
بكاف محمدا أعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال تعالى
إنا كفيناك المستهزئين وقال تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا
الآية أخبرنا القاضي الشهيد أبو علي الصدفي بقراءتي عليه
والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالا

حدثنا ابو الحسين الصيرفي قال حدثنا ابو يعلى البغدادي
حدثنا ابو علي السنجي حدثنا ابو العباس المروزي حدثنا
ابو عيسى الحافظ حدثنا عبد بن حميد حدثنا مسلم بن ابرهيم
حدثنا الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله
ابن شقيق عن عايشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك
من الناس فاخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
رأسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني
ربي عز وجل • وروي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه
اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني قال الله
فارعدت يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة
حتى سال دماغه فنزلت الاية وقد رويت هذه القصة في الصحيح
وان غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال
جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية
انها جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته
فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روي انه وقع له
مثلها في غزوة غطفان بذي امر مع رجل يقال له دعثور بن الحارث

وان الرجل

وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم
واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال اني نظرت
الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط
السيف فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم
الاية وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحارث المحاربي
اراد ان يفتك بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يشعر به
الا وهو قائم على رأسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه
بما شئت فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر
سيفه من يده والزلخة وجع الظهر وقيل في قصته
غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية
وقيل كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف قريشا
فلما نزلت هذه الاية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني
وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاة
وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فكانما يطؤها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحق عنها لما بلغها
نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها
من الذم اتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو

جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما
وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر فاخذ الله ببصرها عن نبيه
صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اين صاحبك
فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه
وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم حتى اذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه
بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى
صلوته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى
اذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالتا بيننا وبينه
وعن عمر تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح
وقرأ الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب
ابو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا ها فكانت من مقدمات
اسلام عمر ومنه العبرة المشهورة والكفاية التامة
عندما اخافته قريش واجتمعت على قتله وبيتوه فخرج
عليهم من بيته فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم
وذر التراب على رؤسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم
في الغار بما هيأ الله له من الآيات ومن العنكبوت الذي نسج
عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار قال

ما اربكم

ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه
قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش
لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك
ابن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر
الجعائل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا
عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فساخت قوائم فرسه
فخر عنها واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا
حتى سمع قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو
لا يلتفت وابو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم أتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية
الى ركبتها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان
فناداهم بالامان فكتب له النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار
وامره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا يترك احدا
يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما ههنا وقيل
بل قال لهما اريكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه
ظهور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي خبر اخر
ان راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد
مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وانسي ما خرج له

حتى رجع الى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن اسحق وغيره
ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه
فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى
الى خلفه ثم سأله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان
قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه
عن شأنه فذكر انه عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله قط
هم بي ان يأكلني فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ذاك جبريل لو دنا منه لأخذه وذكر السمرقندي ان رجلا
من بني المغيرة اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليقتله
فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وسمع قوله فرجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر
ان في هاتين القصتين نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا
الآيتين ومن ذلك ما ذكره ابن اسحق في قصته اذ خرج
الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض آطامهم
فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحا فقام
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانصرف الى المدينة
واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم الآية
في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي انه خرج الى بني النضير

يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن امية
فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك
ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على قتله فاعلم جبريل
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد
حاجته حتى دخل المدينة . وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث
عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا يصلي
ليطأن رقبته فلما صلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا
بيديه فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملوء
نارا كدت اهوي فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة
قد ملأت الارض فقال عليه السلام تلك الملائكة لو دنا
لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل الله على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى . الى آخر السورة
ويروى ان شيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان
حمزة قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري من محمد
فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه
عليه فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق
فوليت هاربا واحس بي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

فدعاني فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق الي فما رفعها
الا وهو احب الخلق الي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت امامه
اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة
لاوقعت به دونه صلى الله تعالى عليه وسلم وعن فضالة
ابن عمرو اردت قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة
قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك
واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله
ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه ومن مشهور ذلك
خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وكان عامر قال له انا اشغل
عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه
في ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني
وبينه افاضربك ومن عصمته تعالى له ان كثيرا من اليهود
والكهنة انذروا به وعينوه لقريش واخبروه بسطوته بهم
وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى منهم حتى بلغ فيه
امره ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال
صلى الله تعالى عليه وسلم **فصل** ومن معجزاته الباهرة
صلى الله تعالى عليه وسلم ما جمعه الله له من المعارف

والعلوم وخصه به على الاطلاع على جميع مصالح الدنيا
والدين ومعرفته بامور شرائعه وقوانين دينه وسياسة
عباده ومصالح امته وما كان في الامم قبله وقصص الانبياء
والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن ادم الى زمنه
وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبائهم
وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف ارائهم
والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة
من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم
واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم بما
كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات العرب
وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها
والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها
والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضروب الامثال
الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين
للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه
ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق
ومحامد الاداب وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد
ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له
وكافر من الجاهلية اذا سمع ما يدعو اليه صوبه

واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه ثم ما احل
لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به
انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود
عاجلا والتخويف بالنار اجلا مما لا يعلم ولا يقوم به ولا ببعضه
الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثاقبة بعض هذا
الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب
والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلم
مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه السلام فيها قدوة
واصولا في علمهم كقوله عليه السلام الرؤيا لاول عابر
وهي على رجل طائر وقوله الرؤيا ثلثة رؤيا حق ورؤيا يحدث
بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله اذا تقارب
الزمان لم يكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله اصل كل داء البردة
وما روي عنه في حديث ابي هريرة من قوله المعدة حوض البدن
والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه
لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني وقوله
خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي
وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين
وفي العود الهندي سبعة اشفية وقوله ما ملأ ابن آدم وعاء
شرا من بطن الى قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب

وثلث للنفس

وثلث للنفس وقوله وقد سئل عن سباء ارجل هو ام امرأة
ام ارض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم
اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب قضاعة
وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب الى سؤاله
عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير رأس العرب ونابها
ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها
وهمدان غاربها وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق السموات والارض وقوله في الحوض زواياه
سواء وقوله في حديث الذكر ان الحسنة بعشر امثالها
فتلك مائة وخمسون على اللسان والف وخمسمائة في الميزان
وقوله وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق
والمغرب قبلة وقوله لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل
منك وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل هذا
مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي
علم كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط
وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم
رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث الآخر
الذي يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه السلام
فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين

ولا تعوير الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا
وان لم تصح الرواية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب
فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة . واما
علمه عليه السلام بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها
فامر مشهور قد نبهنا على بعضه اول الكتاب . وكذلك حفظه
لكثير من لغات الامم كقوله في الحديث سنه سنه
وهي حسنة بالحبشية وقوله ويكثر الهرج وهو القتل
بها وقوله في حديث ابي هريرة اشكنب درد اي وجع البطن
بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به
ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب
ومثافنة اهلها عمره وهو رجل كما قال الله امي لم يكتب
ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم
لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الامور ولا عرف هو قبل بشيء
منها قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك الاية . انما كانت غاية معارف العرب النسب
واخبار اوائلها والشعر والبيان وانما حصل ذلك لهم
بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله
عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله تعالى عليه وسلم
ولا سبيل الى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة

جيلة في دفع ما نصصناه الا قولهم اساطير الاولين وانما
يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله لسان الذي يلحدون اليه
اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان
فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما سلمان او العبد الرومي
وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول كثير من القران
وظهور ما لا ينعد من الايات واما الرومي فكان اسلم
وكان يقرأ على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف
في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان وهم
الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما اتى به
والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تاليفه ونظمه
فكيف باعجمي الكن نعم وقد كان سلمان او بلعام الرومي
او يعيش او جبر او يسار على اختلافهم في اسمهم بين اظهرهم
يكلمونهم مدى اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء
من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو
حينئذ على كثرة عدده ودؤب طلبه وقوة حسده ان يجلس
الى هذا فياخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه
ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان

يخبر بشيء من اخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتاب
فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى في صغره
وشبابه على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة
او سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل
فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته
لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم
واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد
كله لكان مجيء ما اتى به في معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا
لكل حجة ومجليا لكل امر **فصل** ومن خصائصه صلى الله
تعالى عليه وسلم وكراماته وباهر آياته انباؤه مع الملائكة
والجن وامداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير
من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله
هو موليه وجبريل وصالح المؤمنين الآية وقال تعالى
اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا
وقال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم
بالف من الملائكة الآيتين وقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا
من الجن الآية حدثنا سفيان بن العاص الفقيه بسماعي عليه
حدثنا ابو الليث السمرقندي قال حدثنا عبد الغافر الفارسي

حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا
مسلم حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا ابي حدثنا شعبة
عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال
لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته
له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل واسرافيل
وغيرهم من الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم
ليلة الاسراء مشهور وقد رآهم بحضرته جماعة من اصحابه
في مواطن مختلفة فرأى اصحابه جبريل عليه السلام
في صورة رجل يسأله عن الاسلام والايمان ورأى ابن عباس
واسامة وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية ورأى سعد
على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين
عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم
زجر الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤس
من الكفار ولا يرون الضارب ورأى ابو سفيان بن الحارث
يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ما يقوم
لها شيء وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين وارى
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لحمزة جبريل في الكعبة
فخر مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن
وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد

ان مصعب بن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك
على صورته فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له
تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم
انه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم اذا اقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن من انت
قال انا هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس فذكر انه لقي نوحا
ومن بعده في حديث طويل وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
علمه سورا من القران وذكر الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى
للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه
واعلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له تلك العزى
وقال عليه السلام ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع علي
صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية
من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي
سليمن رب اغفر لي وهب لي ملكا الاية فرده الله خاسئا
وهذا باب واسع **فصل** ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته
ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتاب
من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي

بين كتفيه

بين كتفيه وما وجد في ذلك من اشعار الموحدين المتقدمين
من شعر تبع والاوس بن حارثة وكعب بن لؤي وسفيان
ابن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن
وغيرهم وما عرف به من امره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة
ابن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء اليهود وشامول
عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما القي من ذلك
في التورية والانجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله
عنهما ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام وبني سعية
وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن اسلم
من علماء يهود وبحيراء ونسطور الحبشة وصاحب بصرى
وضغاطر واسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي
ونصارى الحبشة واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم
من علماء النصرى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة
عالما النصارى ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ
صاحبه وابن صوريا وابن اخطب واخوه وكعب بن اسد
والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله
الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والاخبار في هذا
كثيرة لا تنحصر وقد قرع اسماع اليهود والنصارى بما
ذكر انه في كتبهم من صفته وصفة اصحابه واحتج عليهم

بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه
وليهم السنتهم ببيان امره ودعوتهم الى المباهلة
على الكاذب فما منهم الا من نفر عن معارضته وابداء ما الزمهم
من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره
اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار
ونبذ القتال وقد قال لهم قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم
صادقين . الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق
وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران وجذل بن جذل
الكندي وابن خلصة الدوسي وسعدى بن بنت كريز وفاطمة
بنت النعمان ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام
من نبوته وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان
ومن ذبايح النصب واجواف الصور وما وجد من اسم النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا
في الحجارة والقبور بالخط القديم ما اكثره مشهور
واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور **فصل** ومن ذلك
ما ظهر من الايات عند مولده وما حكته امه ومن حضره
من العجائب وكونه رافعا راسه عندما وضعته شاخصا
ببصره الى السماء وما راته من النور الذي خرج معه
عند ولادته وما راته اذ ذاك ام عثمان بن ابي العاص

من تدلي

من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر
الا النور وقول الشفا ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط
عليه السلام على يدي واستهل سمعت قائلا يقول
رحمك الله واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت
الى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه من بركته
ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه
وحسن نشاته وما جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج
ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية
وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد وانه كان
اذا اكل مع عمه ابي طالب واله وهو صغير شبعوا ورووا
واذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد ابي طالب
يصبحون شعثا ويصبح صلى الله تعالى عليه وسلم صقيلا
دهينا كحيلا قالت ام ايمن حاضنته ما رايته صلى الله
تعالى عليه وسلم شكى جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا
ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين
ومنعهم استراق السمع وما نشا عليه من بغض الاصنام
والعفة عن امور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك
وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة اذ اخذ
ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى

فسقط إلى الأرض حتى ردّ إزاره عليه فقال له عمه ما بالك
قال إني نهيت عن التعري ومن ذلك إظلال الله له بالغمام
في سفره وفي رواية أن خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان
يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فأخبرها أنه رأى مثل ذلك
منذ خرج معه في سفره وقد روي أن حليمة رأت غمامة تظله
وهو عندها وروي ذلك عن أخيه من الرضاعة ومن ذلك أنه نزل
في بعض أسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب
ما حولها وأينعت هي فأشرقت وتدلت عليه أغصانها بمحضر من
رآه وميل فيء الشجرة إليه في الخبر الآخر حتى أظلته وما ذكر
من أنه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لأنه كان نورا
وأن الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك
تحبيب الخلوة إليه حتى أوحي إليه ثم إعلامه بموته ودنو أجله
وأن قبره في المدينة وفي بيته وأن بين بيته وبين منبره
روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل
عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة
على جسده على ما رويناه في بعضها واستئذان ملك الموت
عليه ولم يستأذن على غيره قبله ونداؤهم الذي سمعوه
أن لا تنزعوا القميص عنه عند غسله وما روي من تعزية الخضر
والملائكة أهل بيته عند موته إلى ما ظهر على أصحابه من كراماته

وبركته

وبركته في حياته وبعد موته كاستسقاء عمر بعمه
وتبرك غير واحد بذريته **فصل** قال القاضي أبو الفضل
رحمه الله قد أتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة
وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية
والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الأحاديث
الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الأحاديث
وغريبها على ما صح واشتهر إلا يسيرا من غريبه مما ذكره
مشاهير الأئمة وحذفنا الإسناد في جمهورها طلبا
للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصي أن يكون ديوانا جامعا
يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلى الله تعالى عليه
وسلم أظهر من معجزات سائر الرسل بوجهين أحدهما كثرتها
وأنه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند نبينا صلى الله تعالى عليه
وسلم مثلها أو ما هو أبلغ منها وقد نبه الناس على ذلك
فإن أردته فتأمل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم
من الأنبياء تقف على ذلك إن شاء الله تعالى وأما كونها
كثيرة فهذا القرآن وكله معجز وأقل ما يقع الإعجاز فيه
عند بعض أئمة المحققين سورة إنا أعطيناك الكوثر
أو آية في قدرها وذهب بعضهم إلى أن كل آية منه كيف كانت
معجزة وزاد آخرون أن كل جملة منتظمة منه معجزة وإن كانت

من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى
فاتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينضم هذا
من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا في القران
من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف
على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات
فيجزأ القران على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد
من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه
كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار كل جزء
من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم
فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار فقد يكون في السورة الواحدة
من هذه التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه
معجز فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر
التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القران فلا يكاد
ياخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث
الواردة والاخبار الصادرة عنه عليه السلام
في هذه الابواب وعما دل على امره مما اشرنا الى جمله يبلغ
نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله تعالى
عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم
وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلام

غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه
ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم
ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى عليه السلم
اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون
عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احياء الميت وابراء الاكمه
والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء
عليهم السلام ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله تعالى
عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة
والشعر والخبر والكهانة فانزل الله عليه القران الخارق
لهذه الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة
عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذي
لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب الاوزان
منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث والاسرار
والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها
بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدا العدو فابطل الكهانة التي
تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب
ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة
وانباء الانبياء والامم البائدة والحوادث الماضية
ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي

بسطناها وبيّنّا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة
لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التى ذكرناها فى معجزة القرآن
ثابتة الى يوم القيمة بيّنة الحجّة لكلّ امّة تاتى لا تخفى
وجوه ذلك على من نظر فيه وتامّل وجوه اعجازه الى ما اخبر به
من الغيوب على هذا السبيل ولا يمرّ عصر ولا زمن الّا ويظهر
فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدّد الايمان ويتظاهر
البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة فى اليقين
والنفس اشدّ طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين
وان كان كلّ عندها حقّا وسائر معجزات الرسل انقرضت
بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبيّنا لا تبيد
ولا تنقطع واياته تتجدّد ولا تضمحلّ ولهذا اشار عليه
السلام بقوله فيما اخبرنا القاضى الشهيد ابو علىّ حدّثنا
القاضى ابو الوليد حدّثنا ابو ذرّ حدّثنا ابو محمّد وابو اسحق
وابو الهيثم قالوا حدّثنا الفربرىّ حدّثنا البخارىّ حدّثنا
عبد العزيز بن عبد الله حدّثنا الليث عن سعيد عن ابيه
عن ابى هريرة عن النبىّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال
ما من الانبياء نبىّ الّا اعطى من الايات ما مثله امن عليه
البشر وانّما كان الذى اوتيت وحيا اوحاه الله الىّ فارجوا
ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا معنى الحديث عند بعضهم

وهو الظاهر

وهو الظاهر وهو الصحيح ان شاء الله تعالى وذهب غير واحد
من العلماء فى تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبيّنا عليه
السلام الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن
التخيّل فيه ولا التحيّل عليه ولا التشبيه فانّ غيرها
من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها باشياء طمعوا
فى التخييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيّهم
وشبه هذا ممّا يخيّله الساحر او يتحيّل فيه والقران كلام
ليس للحيلة ولا للسحر فى التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه
عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتمّ لشاعر ولا لخطيب
ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتاويل
الاوّل اخلص وارضى وفى هذا التاويل الثانى ما يغمض
الجفن عليه ووجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة
وانّ المعارضة كانت فى مقدور البشر فصرفوا عنها
او على احد مذهبى اهل السنّة من انّ الاتيان بمثله
من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد
لانّ الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق
بيّن وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان بما فى مقدورهم
او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء
والسباء والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال

والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد ابين
اية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم
منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب الامام
ابو المعالي الجويني وغيره قال وهذا عندنا ابلغ في خرق العادات
بالافعال البديعة في انفسها كقلب العصا حية ونحوها
فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك من اختصاص صاحب ذلك
بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك
صحيح النظر واما التحدي للخلائق مئتين من السنين بكلام
من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي
على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما
لو قال نبي ايتي ان يمنع الله القيام عن الناس مع قدرتهم عليه
وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله عن القيام
لكان ذلك من باهر اية واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد
غاب عن بعض العلماء وجه ظهور ايته على سائر ايات الانبياء
حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة افهام العرب وذكاء البابها
ووفور عقلها وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم
من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط وبني اسرائيل
وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة
وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز

عليهم

عليهم السامري ذلك في العجل بعد ايمانهم وعبدوا المسيح
مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن
شبه لهم فجاءتهم من الايات الظاهرة البينة للابصار
بقدر غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن
والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير
والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت
تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من امن بالله وحده
من قبل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بدليل عقله
وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته
وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فامنوا به
وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا
ديارهم واموالهم وقتلوا اباءهم وابناءهم في نصرته
واتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج
اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك
وظهورها وبالله استعين وهو حسبنا ونعم الوكيل

القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام

قال القاضي ابو الفضل وهذا قسم لخصنا فيه الكلام

في أربعة أبواب على ما ذكرناه أول الكتاب ومجموعها
في وجوب تصديقه واتباعه في سنته وطاعته ومحبته
ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم
وزيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم الباب الأول
في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته إذا تقرر
بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الإيمان به
وتصديقه فيما أتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله
والنور الذي أنزلنا وقال تعالى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله
النبي الأمي الآية فالإيمان بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
واجب متعين لا يتم الإيمان إلا به ولا يصح الإسلام إلا معه
قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا
للكافرين سعيرا حدثنا أبو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه
حدثنا الإمام أبو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي
حدثنا ابن عمرويه أخبرنا ابن سفيان حدثنا أبو الحسين
حدثنا أمية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح
عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله
عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أمرت
أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي

وبما جئت به

وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم
إلا بحقها وحسابهم على الله • قال القاضي أبو الفضل
رحمه الله والإيمان به عليه السلام هو تصديق نبوته
ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله
ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه
رسول الله فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق
بالشهادة بذلك باللسان تم الإيمان به والتصديق به
والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله
ابن عمر أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله
وأن محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل
إذ قال أخبرني عن الإسلام فقال النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله
وذكر أركان الإسلام ثم سأله عن الإيمان فقال أن تؤمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر أن الإيمان
به محتاج إلى العقد بالجنان والإسلام به مضطر
إلى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة •
وأما الحالة المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب
وهذا هو النفاق قال الله تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا
نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد

ان المنافقين لكاذبون اى كاذبون فى قولهم ذلك عن اعتقادهم
وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم يصدق ذلك ضمائرهم
لم ينفعهم ان يقولوا بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم فخرجوا
عن اسم الايمان ولم يكن لهم فى الآخرة حكمه اذ لم يكن
معهم ولحقوا بالكافرين فى الدرك الاسفل من النار وبقى
عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان فى احكام الدنيا
المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر
بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل
الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال
هلا شققت عن قلبه وللفرق بين القول والعقد ما جعل
فى حديث جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان
وبقيت حالتان اخريان بين هذين احديهما ان يصدق بقلبه
ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه
فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به وراه
بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله عليه السلام يخرج
من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر
سوى ما فى القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط
بترك غيره وهذا هو الصحيح فى هذا الوجه الثانية ان يصدق

بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها
جملة ولا استشهد فى عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا
فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال
فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده
شهادة اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان وهى مرتبطة
مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح
وهذه نبذ يفضى الى متسع من الكلام فى الاسلام والايمان
وابوابهما وفى الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزى ممتنع
على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه
من عمل وقد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته
من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة
وحضور قلب وفى بسط هذا خروج عن غرض التاليف وفيما ذكرنا
غنية فيما قصدنا ان شاء الله تعالى فصل واما
وجوب طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به
وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اطيعوا الله ورسوله وقال قل اطيعوا الله والرسول
واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى وان تطيعوه
تهتدوا وقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال
تعالى وما آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا

قال من يطع الله والرسول فاولئك الاية وقال تعالى وما ارسلنا
من رسول الا ليطاع باذن الله فجعل طاعة رسوله طاعته
وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد
على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره
واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة طاعة الرسول
في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما ارسل الله
من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليه وقالوا من يطع
الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله
عن شرائع الاسلام فقال وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم
عنه فانتهوا وقال السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرائضه
والرسول في سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول
فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي
بالشهادة له بالنبوة حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه
حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف
حدثنا محمد بن احمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري
حدثنا عبدان حدثنا عبد الله حدثنا يونس عن الزهري حدثنا
ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن
عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى

اميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر
بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له وقد حكى الله
عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم
التمني وقال عليه السلام اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم
بامر فاتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه
عنه عليه السلام كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن
يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث
الاخر الصحيح عنه عليه السلام مثلي ومثل ما بعثني الله به
كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رايت الجيش بعيني واني
انا النذير العريان فالنجا فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا
فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا
مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك
مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب
ما جئت به من الحق وفي الحديث الاخر في مثله كمثل من بنى دارا
وجعل فيها مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل
من المادبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة
فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله

ومحمد فرق بين الناس **فصل** واما وجوب اتباعه
وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد قال تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم وقال تعالى
فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الاية وقال تعالى فلا وربك
لا يؤمنون حتى الى قوله تسليما اي ينقادون لحكمك يقال سلم
واستسلم واسلم اذا انقاد وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر الاية قال محمد
بن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتداء به واتباع لسنته
وترك مخالفته في قول او فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه
وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل بن عبد الله في قوله تعالى
صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة فامرهم الله تعالى بذلك
ووعدهم الاهتداء باتباعه لان الله ارسله بالهدى ودين الحق
ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم
ووعدهم محبته تعالى في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه
واثروه على اهوائهم وما يجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم
بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي
عن الحسن ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله
تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية وروي ان الاية نزلت
في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه

ونحن اشد حبا لله فانزل الله الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم
تحبون الله ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد
لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم
عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال الحب من الله
عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل تعصي الاله
وانت تظهر حبه . هذا لعمري في القياس بديع . لو كان حبك
صادقا لاطعته . ان المحب لمن يحب مطيع . في كل يوم يبتديك
بنعمة . منه وانت لشكر ذاك مضيع . ويقال محبة العبد لله
تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله رحمته له وارادته
الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه . قال القشيري
فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات
وسيأتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله . حدثنا
ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه قال حدثنا ابو الاصبغ
عيسى بن سهل حدثنا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه
بقرائتي عليه قالا حدثنا حاتم بن محمد قال حدثنا ابو حفص
الجهني حدثنا ابو بكر الاجري حدثنا ابرهيم بن موسى
الجوزي حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد بن مسلم
عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو
الاسلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه

في موعظة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال فعليكم
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها
بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة
وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة
في النار ۰ وفي حديث ابي رافع عنه عليه السلام لا الفين
احدكم متكأ على اريكته يأتيه الامر من امري مما امرت به
او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه
وفي حديث عائشة رضي الله عنها صنع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال قوم
يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم
له خشية وروى عنه عليه السلام انه قال القران صعب
مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي
وفهمه وحفظه جاء مع القران ومن تهاون بالقران وحديثي
خسر الدنيا والاخرة امرت امتي ان يأخذوا بقولي ويطيعوا
امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران
قال الله تعالى وما اتيكم الرسول فخذوه الاية وقال عليه
السلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني
وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد
وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنه قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم العلم
ثلثة فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة
او فريضة عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن رضي الله عنه قال
عليه السلام عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة
وقال عليه السلام ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك
بها وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة شهيد
وقال عليه السلام ان بني اسرائل افترقوا على ثنتين وسبعين
ملة وامتي تفترق على ثلث وسبعين كلها في النار الا واحدة
قالوا ومن هم يا رسول الله قال ما انا عليه اليوم واصحابي وعن انس
رضي الله عنه قال عليه السلام من احيا سنتي فقد احياني ومن
احياني كان معي وعن عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من احيا سنة
من سنتي قد اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها
من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة
لا ترضى الله ورسوله كان عليه مثل اثام من عمل بها لا ينقص
ذلك من اوزار الناس شيئا فصل واما ما ورد عن السلف والائمة

من اتباع سننه والاقتداء بهديه وسيرته حدثنا الشيخ
ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن ابي تليد الفقيه سماعا
عليه قال حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر حدثنا
قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا حدثنا محمد بن وضاح حدثنا
يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد
ابن اسيد انه سأل عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد
صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة السفر
فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا صلى الله تعالى
عليه وسلم ولا نعلم شيئا فانا نفعل كما رأيناه يفعل • وقال
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه سن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق
لكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد
تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدى
بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع
غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت
مصيرا • وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير
من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم
قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب رضي الله
عنه الى عماله بتعلم السنة والفرائض واللحن اي اللغة

وقال ان ناسا

وقال ان ناسا يجادلونكم بالقرآن فخذوهم بالسنن فان
اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفي خبره حين صلى بذي الحليفة
ركعتين فقال لا اصنع كما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يصنع وعن علي رضي الله عنه حين قرن فقال له عثمان
ترى اني انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن ادع سنة رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه الا اني
لست بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه
صلى الله تعالى عليه وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود يقول
القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر
صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب
عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل
والسنة ذكر الله في نفسه ففاضت عيناه من خشية ربه
فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة
ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله
كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك اذا اصابتها ريح
شديدة فتحات عنها ورقها الا حط الله عنه خطاياه كما
تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل وسنة خير
من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة فانظروا ان يكون عملكم
ان كان اجتهادا او اقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء

وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر يخبره
بحال بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة او يحملهم
على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم
بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق
فلا اصلحهم الله تعالى وعن عطاء في قوله تعالى فان تنازعتم
في شيء فردوه الى الله والرسول اي الى كتاب الله وسنة رسول الله
وقال الشافعي رحمه الله ليس في سنة رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم الا اتباعها وقال عمر ونظر الى الحجر الاسود
والله انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رأيت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله
ورئي عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان فسئل فقال لا ادري
الا اني رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعله
ففعلته وقال ابو عثمان الحيري من امر السنة على نفسه قولا
وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة
وقال سهل التستري اصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم في الاخلاق والافعال والاكل
من الحلال واخلاص النية في جميع الاعمال وجاء في تفسير قوله
والعمل الصالح يرفعه انه الاقتداء برسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وحكي عن احمد بن حنبل رحمه الله قال كنت يوما

مع جماعة

مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان
يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد
فرأيت تلك الليلة قائلا لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك
باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت قال
جبريل فصل ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة
متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب قال الله تعالى
فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم
عذاب اليم وقال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
الاية حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن
ابن عتاب بقراءتي عليهما قالا حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد
حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ
حدثنا احمد بن ابي سليمن حدثنا سحنون بن سعيد حدثنا
ابن القاسم حدثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته
وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم
الا هلم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول
فسحقا فسحقا فسحقا وروى انس ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال من ادخل

في امرنا ما ليس منه فهو رد وروى ابن ابي رافع عن ابيه
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا الفين احدكم
متكئا على اريكته يأتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه
فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث المقدام
الا وان ما حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
مثل ما حرم الله وقال عليه السلام وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم
حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم
او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك
الكتاب يتلى عليهم الاية وقال عليه السلام هلك المتنطعون
وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يعمل به الا عملته اني اخشى ان تركت
شيئا من امره ان ازيغ الباب الثاني في لزوم محبته صلى الله
تعالى عليه وسلم وشرف وكرم قال تعالى قل ان كان اباؤكم
وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم الاية فكفى بهذا
حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته ووجوب فرضها
وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه السلام اذ قرع تعالى
من كان ماله وولده واهله وولده احب اليه من الله ورسوله
واوعدهم بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بامره ثم فسقهم
بتمام الاية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا

ابو علي الغساني الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قرأته على غير واحد
قال حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا ابو محمد الاصيلي
حدثنا المروزي حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن اسمعيل حدثنا يعقوب بن ابرهيم حدثنا ابن علية
عن عبد العزيز بن صهيب عن انس رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب
اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابي هريرة نحوه
وعن انس رضي الله عنه عنه عليه السلام ثلث من كن فيه وجد
حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما
يكره ان يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانت احب الي
من كل شيء الا من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه
فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي
بين جنبي فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الان
يا عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول وحكمه عليه
في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه عليه السلام لا يذوق
حلاوة سنته لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال

لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث **فصل**
في ثواب محبته **حدثنا** ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه
حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن علي
ابن خلف حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبدان حدثنا ابي حدثنا شعبة
عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس ان رجلا اتى
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله
قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صوم
ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله فقال انت مع من احببت
وعن صفوان بن قدامة هاجرت الى النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني
يده فقلت يا رسول الله اني احبك قال المرء مع من احب وروى
هذا اللفظ عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله بن مسعود
وابو موسى وانس وعن ابي ذر بمعناه وعن علي رضي الله عنه
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين
رضي الله عنهما فقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما
كان معي في درجتي يوم القيمة وروى ان رجلا اتى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي
من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك

واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت
مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن
يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك
رفيقا فدعا به فقراها عليه وفي حديث اخر كان رجل عند النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك
فقال بابي انت وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان
يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية •
وفي حديث انس من احبني كان معي في الجنة **فصل** فيما ورد
عن السلف والائمة من محبتهم للنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وشوقهم له **حدثنا** القاضي الشهيد حدثنا الرازي
حدثنا العذري حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا
مسلم حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل
عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبا يكونون بعدي
يود احدهم لو راني باهله وماله ومثله عن ابي ذر وتقدم
حديث عمر وقوله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانت
احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو
ابن العاص ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد
يأوي الى فراشه الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم
ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل
رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم وروي عن ابي بكر انه قال
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام
ابي طالب كان اقر لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك
ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب
انه قال للعباس ان تسلم احب الي من ان يسلم الخطاب لان ذلك
احب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابن اسحق
ان امرأة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد
مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت ما فعل
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله
كما تحبين قالت ارونيه حتى انظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة
بعدك جلل وسئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه كيف كان
حبكم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان والله
احب الينا من اموالنا واولادنا وآبائنا وامهاتنا ومن الماء البارد
على الظمأ • وعن زيد بن اسلم خرج عمر ليلة يحرس فرأى
مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول على محمد

صلاة الابرار

صلاة الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار قد كنت قواما بكا
بالاسحار • يا ليت شعري والمنايا اطوار • هل تجمعني وحبيبي
الدار • تعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم • فجلس عمر يبكي
وفي الحكاية طول • وروي ان عبد الله بن عمر خدرت رجله
فقيل له اذكر احب الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه
فانتشرت رجله ولما احتضر بلال نادت امرأته واحزناه فقال
واطرباه • غدا القى الاحبة محمدا وحزبه • ويروى ان امرأة
قالت لعائشة اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم • فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة
زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب
انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك
تضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب
ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني
جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رأيت من الناس احدا
يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم •
وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت المرأة اذا اتت النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت
من بغض زوج ولا رغبة بارض عن ارض وما خرجت الا حبا
لله ورسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله

فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواماً قواماً تحب الله
ورسوله

فصل في علامة محبته عليه السلام

اعلم أن من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته وإلا لم يكن صادقاً في حبه
وكان مدعياً فالصادق في حب النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم من تظهر علامات ذلك عليه وأولها الاقتداء به
واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره
واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه
ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله وإيثار ما شرعه وحض عليه
على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين تبوؤا
الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم
خصاصة وإسخاط العباد في رضى الله حدثنا القاضي
أبو علي الحافظ حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل
ابن خيرون قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي حدثنا أبو علي
السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا أبو عيسى حدثنا
مسلم بن حاتم محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي
ابن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس بن مالك قال لي
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بني إن قدرت

أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال لي يا بني
وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان
معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة
لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة
ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله عليه السلام للذي حده
في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله
ومن علامات محبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
كثرة ذكره له فمن أحب شيئاً أكثر ذكره ومنها كثرة شوقه
إلى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه . وفي حديث الأشعريين
عند قدومهم المدينة أنهم كانوا يرتجزون غداً نلقى الأحبة
محمداً وصحبه وتقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله
وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره
تعظيمه له وتوقيره له عند ذكره وإظهار الخشوع والانكسار
مع سماع اسمه . قال إسحاق التجيبي كان أصحاب النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت
جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك
محبة له وشوقاً إليه ومنهم من يفعله تهيباً وتوقيراً .
ومنها محبة لمن أحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم .

ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والانصار
وعداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا
احب من يحب وقد قال عليه السلام في الحسن والحسين اللهم
اني احبهما فاحبهما وقال من احبهما فقد احبني ومن احبني
فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد
ابغض الله • وفي رواية في الحسن اللهم اني احبه فاحب من يحبه
وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم
فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد
اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه
وقال في فاطمة انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها • وقال
لعائشة في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه وقال آية الايمان
حب الانصار وآية النفاق بغضهم • وفي حديث ابن عمر من احب
العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم فالحقيقة
من احب شيئا احب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى
في المباحات وشهوات النفس وقد قال انس حين رأى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة
فما زلت احب الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله
ابن عباس وابن جعفر اتوا سلمى وسألوها ان تصنع لهم طعاما
مما كان يحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ابن عمر

يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ راى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من
ابغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف
سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل امر يخالف شريعته
قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون
من حاد الله ورسوله وهؤلاء اصحابه عليه السلام قد قتلوا
احباءهم وقتلوا اباءهم وابناءهم في مرضاته وقال له
عبد الله بن ابي لو شئت لأتيتك برأسه يعني اباه ومنها ان يحب
القرآن الذي اتى به عليه السلام وهدى به واهتدى به
وتخلق به حتى قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن
وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف
عند حدودها • قال سهل بن عبد الله علامة حب الله
حب القرآن وعلامة حب القرآن حب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة •
وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا الا يدخر
منها الا زادا وبلغة الى الآخرة • وقال ابن مسعود لا يسأل
احد عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو
يحب الله ورسوله • ومن علامة حبه للنبي صلى الله تعالى عليه

وسلم شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم
ودفع المضار عنهم كما كان عليه السلام بالمؤمنين رؤفا
رحيما . ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وايثاره
الفقر واتصافه به وقد قال عليه السلام لابي سعيد الخدري
ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلا الوادي
او الجبل الى اسفله . وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا رسول الله اني احبك
فقال انظر ما تقول قال والله اني لاحبك ثلث مرات قال
ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد
بمعناه **فصل** في معنى المحبة للنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك وليست
ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف احوال
فقال سفيان المحبة اتباع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
كانه التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
الاية وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب
عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة
دوام الذكر للمحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب
وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد الرب يحب ما احب

ويكره

ويكره ما كره وقال اخر المحبة ميل القلب الى موافق له
واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة
دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان
وتكون موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور
الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة
اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها
له او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه
معاني باطنة شريفة كحب الصالحين والعلماء
واهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة والافعال
الحسنة فان طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال هؤلاء
حتى يبلغ التعصب لقوم والتشيع من امة في اخرين ما يؤدي
الى الجلاء عن الاوطان وهتك الحرم واخترام النفوس
او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه
عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها فاذا تقرر
لك هذا نظرت الى هذه الاسباب كلها في حقه عليه السلام
فعلمت انه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلثة الموجبة
للمحبة . اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق
والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج
الى زيادة واما احسانه وانعامه على امته فكذلك قد مر منه

فى اوصاف الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته
اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وانه
بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ويتلوا عليهم اياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم •
فاى احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين
واى افضال اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين
اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم
الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم
عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم
السرمد فقد استبان لك انه عليه السلام مستوجب
للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار وعادة
وجبلة بما ذكرناه انفا لافاضته الاحسان وعموم الاجمال
فاذا كان الانسان يحب من منحه فى دنياه مرة او مرتين
معروفا او استنقذه من هلكة او مضرة مدة التأذى بها
قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى
من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان يحب بالطبع ملك
لحسن سيرته او حاكم لما يؤثر من قوام طريقته او قاض
بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال

على غاية

على غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد قال على
رضى الله عنه فى صفته عليه السلام من رآه بديهة هابه •
ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة انه كان
لا يصرف بصره عنه محبة فيه

فصل فى وجوب مناصحته عليه السلام

قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله
غفور رحيم • قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا
مخلصين مسلمين فى السر والعلانية حدثنا القاضى الفقيه
ابو الوليد بقراءتى عليه حدثنا حسين بن محمد حدثنا يوسف
ابن عبد الله حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر التمار
حدثنا ابو داود حدثنا احمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا
سهيل بن ابى صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الدارى رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الدين
النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة • قالوا لمن
يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين
وعامتهم قال ائمتنا رحمهم الله النصيحة لله ولرسوله
ولائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمان
البستى النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير
للمنصوح له فليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة

تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل
اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحق الخفاف
النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملائمة مأخوذ
من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب • وقال ابو اسحق
الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية
ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة
في محابه والبعد عن مساخطه والاخلاص في عبادته والنصيحة
لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع
عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه
من تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق
بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه • قاله ابو سليمن
وقال ابو بكر وموازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا
واحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق
باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة فقال ابو ابرهيم اسحق
التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض
عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل
بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم • قال ابو بكر الاجري

وغيره

وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته
ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من
عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما
قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى
نحبه الاية وينصرون الله ورسوله الاية واما نصيحة المسلمين
له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له
والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة آل بيته
واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه
والتحذير منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه
وسيره وادابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة
احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه •
وحكى الامام ابو القاسم القشيري ان عمرو بن الليث
احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار
رئي في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل
بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودي فاعجبتني
كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي • واما
النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه
وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم

على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من أمور المسلمين وترك الخروج
عليهم وتضريب الناس وإفساد قلوبهم عليهم والتنصح
لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم ومعونتهم في أمر دينهم
ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم
ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع
إليهم

الباب الثالث في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره

قال الله تعالى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله
ورسوله وتعزروه وتوقروه وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وقال تعالى يا أيها الذين
آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا الثلث الآيات
وقال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا الآية فأوجب الله تعالى تعزيره وتوقيره وألزم إكرامه
وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه • وقال المبرد تعزروه
تبالغوا في تعظيمه • وقال الأخفش تنصرونه • وقال الطبري تعينونه
وقرئ تعززوه بزائين من العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول
وسوء الأدب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره
وهو اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل أن يقول
وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل
بقضاء أمر قبل قضائه فيه وأن يفتاتوا بشيء في ذلك

من قبل

من قتال أو غيره من أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقوه به وإلى هذا
يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري
ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك وقال تعالى واتقوا الله
إن الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم
وقال السلمي اتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمته إن الله
سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته
والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض باسمه قال أبو محمد
مكي أي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه
باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه
بأشرف ما يحب أن ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا
كقوله في الآية الأخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا على أحد التأويلين وقال غيره لا تخاطبوه إلا مستفهمين
ثم خوفهم الله تعالى بحبط أعمالهم إن هم فعلوا ذلك
وحذرهم منه قيل نزلت الآية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم
أتوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد
أخرج إلينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بأن أكثرهم
لا يعقلون وقيل نزلت الآية الأولى في محاورة كانت بين أبي بكر
وعمر بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واختلاف
جرى بينهما حتى ارتفعت أصواتهما وقيل نزلت

في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في اذنيه صمم فكان يرفع صوته
فلما نزلت هذه الاية اقام في منزله وخشي ان يكون حبط عمله
ثم اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا نبي الله
لقد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله ان نجهر بالقول وانا امرؤ
جهير الصوت فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا ثابت
اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة •
فقتل يوم اليمامة • وروي ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية قال
والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار وان عمر كان
اذا حدثه كاخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم
ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم •
وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير بني تميم
نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري ايا محمد
ايا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك قد نهيت
عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا
قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها

تعظيما للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتبجيلا له لان
معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم
لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل
كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا
للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظ وقيل غير هذا فصل
في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام وتوقيره واجلاله
حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي بسماعي
عليهما في اخرين قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا احمد بن الحسن
حدثنا محمد بن عيسى حدثنا ابرهيم بن سفيان حدثنا مسلم
حدثنا محمد بن مثنى وابو معن الرقاشي واسحق بن منصور قالوا
حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا حيوة بن شريح قال حدثنا
يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص
فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الي
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا اجل في عيني
منه وما كنت اطيق ان املا عيني منه اجلالا له ولو سئلت
ان اصفه ما اطقت ان اصفه لاني لم اكن املا عيني منه
وروى الترمذي عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين

والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد
منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه
وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم لهما وروى اسامة
ابن شريك اتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه
حوله كانما على رؤسهم الطير وفي حديث صفته اذا تكلم
اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وقال عروة بن مسعود
حين وجهته قريش عام القضية الى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ورأى من تعظيم اصحابه له ما رأى وانه لا يتوضأ
الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا
ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم
واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم
بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده
وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال
يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي
في ملكه واني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد
في اصحابه وفي رواية ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم
محمدا اصحابه وقد رأيت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس لقد رأيت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحلاق يحلقه
واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل

ومن هذا

ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت وجهه
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم في القضية ابى
وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم • وفي حديث طلحة ان اصحاب رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه
وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله فاعرض عنه اذ طلع طلحة
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ممن قضى
نحبه وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم جالسا القرفصاء ارعدت من الفرق وذلك
هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان اصحاب النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب
لقد كنت اريد ان اسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
عن الامر فاؤخر سنين من هيبته **فصل** واعلم ان حرمة النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم
كما كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام وذكر حديثه
وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة اله وعترته
وتعظيم اهل بيته وصحابته قال ابو ابرهيم التجيبي واجب
على كل مؤمن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر
ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله بما كان يأخذ به

نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله به قال القاضي
أبو الفضل رحمه الله وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا
الماضين رضي الله عنهم حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد
ابن عبد الرحمن الأشعري وأبو القاسم أحمد بن بقي الحاكم
وغير واحد فيما أجازنيه قالوا حدثنا أبو العباس أحمد بن عمر
ابن دلهاث قال حدثنا أبو الحسن علي بن فهر حدثنا أبو بكر
محمد بن أحمد بن الفرج حدثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب
حدثنا يعقوب بن إسحق بن أبي إسرائيل حدثنا ابن حميد قال
ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك
في هذا المسجد فإن الله أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم
فوق صوت النبي الآية ومدح قوما فقال تعالى إن الذين
يغضون أصواتهم الآية وذم قوما فقال إن الذين ينادونك
من وراء الحجرات الآية وإن حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان
لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو
أم أستقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك
آدم عليه السلام إلى الله يوم القيمة بل استقبله واستشفع
به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم

جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الآية وقال
مالك وقد سئل عن أيوب السختياني ما حدثتكم عن أحد
إلا وأيوب أفضل منه قال وحج حجتين فكنت أرمقه فلا أسمع
منه غير أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بكى حتى أرحمه فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك
إذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتغير لونه وينحني
حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال
لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون لقد كنت أرى محمد
ابن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث
أبدا إلا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان
كثير الدعابة والتبسم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم إلا على طهارة ولقد اختلفت
إليه زمانا فما كنت أراه إلا على ثلث خصال إما مصليا وإما
صامتا وإما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان
من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان
عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه

هيبة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولقد كنت آتي
عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد
رأيت الزهري وكان من أهنإ الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته
ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين
فإذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي
حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروي عن قتادة أنه كان
إذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك
الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال الله تعالى
يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وحرمته
حيا وميتا سواء وكان ابن سيرين ربما يضحك فإذا ذكر عنده
حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خشع وكان عبد الرحمن
ابن مهدي إذا قرأ حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
أمرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي
ويتأول أنه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب
له عند سماع قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فصل
في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وسنته حدثنا الحسين بن محمد الحافظ

حدثنا أبو الفضل

حدثنا أبو الفضل بن خيرون حدثنا أبو بكر البرقاني وغيره
حدثنا أبو الحسن الدارقطني حدثنا علي بن مبشر حدثنا
أحمد بن سنان القطان حدثنا يزيد بن هرون حدثنا المسعودي
عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت إلى ابن مسعود
سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
إلا أنه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته
ثم قال هكذا إن شاء الله تعالى أو فوق ذا أو ما دون ذا أو ما هو
قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت
عيناه وانتفخت أوداجه وقال إبراهيم بن عبد الله بن قريم
الأنصاري قاضي المدينة مر مالك بن أنس على أبي حازم
وهو يحدث فجازه وقال إني لم أجد موضعا أجلس فيه فكرهت
أن آخذ حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا
قائم وقال مالك جاء رجل إلى ابن المسيب فسأله عن حديث
وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت أنك
لم تتعن فقال إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وأنا مضطجع وروي عن محمد بن سيرين
أنه قد يكون يضحك فإذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم خشع وقال أبو مصعب كان مالك بن أنس

لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو
على وضوء اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد
وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث
قال مصعب فسئل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قال مطرف كان اذا اتى الناس مالكا خرجت
اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث
او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل
مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس تاجه
وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس
عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ
من حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال غيره
ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن ابي اويس فقيل لمالك
في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا قال
وكان يكره ان يحدث في الطريق او وهو قائم او مستعجل
وقال احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال ضرار بن مرة كانوا يكرهون ان يحدثوا على غير وضوء

ونحوه

ونحوه عن قتادة وكان الاعمش اذا حدث على غير وضوء تيمم
وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة ولا يقرأ حديث النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم الا على وضوء قال عبد الله بن المبارك
كنت عند مالك وهو يحدث فلدغته عقرب ستة عشرة مرة
وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه
الناس قلت له يا ابا عبد الله لقد رايت منك اليوم عجبا قال
نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم • قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق
فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل
من ان تسأل عن حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ونحن نمشي وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث
وهو قائم فامر بحبسه فقيل له انه قاض • قال القاضي
احق من ادب وذكر ان هشام بن الغازي سئل مالكا
عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق
فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني
سياطا ويزيدني حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك
والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة
يستحب ان لا يقرأ احاديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة وكان الاعمش
اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم **فصل** ومن توقيره
صلى الله تعالى عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين
ازواجه كما حض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وسلكه
السلف الصالح رضي الله عنهم **قال الله تعالى** انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية **وقال تعالى** وازواجه
امهاتهم **اخبرنا** الشيخ ابو محمد بن احمد العدل من كتابه
وكتبت من اصله حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثنا
ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف قالت حدثني ابي حدثنا
حاتم هو ابن عقيل حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل حدثنا يحيى
هو الحماني حدثنا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد
ابن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم انشدكم الله اهل بيتي ثلثا قلنا لزيد من اهل بيته
قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس وقال صلى الله
تعالى عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله
وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما • وقال صلى الله
تعالى عليه وسلم معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد
جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب • قال
بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله

تعالى

تعالى عليه وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم
وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي سلمة لما نزلت **انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت** الاية وذلك
في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء
وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب
عنهم الرجس اهل البيت وطهرهم تطهيرا • وعن سعد
ابن ابي وقاص لما نزلت اية المباهلة دعا النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء
اهلي وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في علي من كنت
مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه
وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق • وقال
صلى الله تعالى عليه وسلم للعباس والذي نفسي بيده
لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله عليه السلام
ومن اذى عمي فقد اذاني وانما عم الرجل صنو ابيه • وقال
صلى الله تعالى عليه وسلم للعباس اغد علي يا عم مع ولدك
فجمعهم وجللهم بملائه وقال اللهم هذا عمي وصنو ابي
وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت
اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين • وكان صلى الله
تعالى عليه وسلم يأخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم

إني أحبهما فأحبهما وقال أبو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا
صلى الله تعالى عليه وسلم في أهل بيته وقال أيضا والذي
نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
أحب إلي أن أصل من قرابتي • وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
أحب الله من أحب حسنا وحسينا وقال صلى الله تعالى عليه
وسلم من أحبني وأحب هذين وأشار إلى حسن وحسين وأباهما
وأمهما كان معي في درجتي يوم القيمة • وقال صلى الله تعالى
عليه وسلم من أهان قريشا أهانه الله • وقال صلى الله تعالى
عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها وقال صلى الله تعالى عليه
وسلم لأم سلمة لا تؤذيني في عائشة وعن عقبة بن الحارث
رأيت أبا بكر رضي الله عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول
بأبي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وروي
عن عبد الله بن حسن بن حسين قال أتيت عمر بن عبد العزيز
في حاجة فقال لي إذا كانت لك حاجة فأرسل إلي أو اكتب
فإني أستحيي من الله أن يراك على بابي • وعن الشعبي صلى
زيد بن ثابت على جنازة أمه ثم قربت له بغلته ليركبها
فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هكذا نفعل
بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا أمرنا أن نفعل

بأهل بيت نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ورأى ابن عمر محمد
ابن أسامة بن زيد فقال ليت هذا عبدي فقيل له هو
محمد بن أسامة فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيده الأرض
وقال لو رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأحبه
وقال الأوزاعي دخلت بنت أسامة بن زيد صاحب رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها
مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى إليها حتى جعل
يدها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى أجلسها
على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة إلا قضاها
ولما فرض عمر بن الخطاب لابنه عبد الله في ثلاثة آلاف
ولأسامة بن زيد في ثلاثة آلاف وخمسمائة قال عبد الله
لأبيه لم فضلته فوالله ما سبقني إلى مشهد فقال له لأن
زيدا كان أحب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من أبيك وأسامة أحب إليه منك فآثرت حب رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية أن كابس
ابن ربيعة يشبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فلما دخل إليه من باب الدار قام على سريره وتلقاه وقبل
بين عينيه وأقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وروي أن مالكا رحمه الله

لما ضربه جعفر بن سليمن ونال منه ما نال وحمل مغشيا
دخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم انى قد جعلت ضاربي
في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فاستحيي منه ان يدخل بعض آله
النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال له
اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته
في حل لقرابته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي في حاجة
لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ولان اخر من السماء الى الارض احب الي
من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض
ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد
هذه الساعة فقال اليس قد قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم اذا رايتم اية فاسجدوا واي اية اعظم
من ذهاب ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فيقولان كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها

فلما توفي صلى الله تعالى عليه وسلم قدمت حليمة على ابي بكر
وعمر فصنعا بها مثل ذلك **فصل** ومن توقيره وبره
عليه السلام توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء
بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والامساك
عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار
المورخين وجهلة الرواة كالرافضة وضلال الشيعة
والمبتدعين القادحة في احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل
من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات
ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد
منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم
وحميد سيرتهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال عليه السلام
اذا ذكر اصحابي فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله
والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى اخر السورة
وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
وقال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة وقال تعالى من المؤمنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه الاية حدثنا القاضي ابو علي حدثنا
ابو الحسين وابو الفضل قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي
السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا الترمذي حدثنا

الحسن بن الصباح حدثنا سفيان بن عيينة عن زائدة
عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر • وقال اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم • وعن انس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل اصحابي
كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به • وقال الله الله
في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن
ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد
اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال لا تسبوا اصحابي
فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه
وقال من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا
وقال في حديث ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين
سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر
وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم
خير • وقال من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني
قال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له
في فيء المسلمين حق ونزع باية الحشر والذين جاؤ من بعدهم

الآية

الآية • وقال من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى
ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من
كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم • وقال ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد اقام
الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان
فقد استضاء بنور الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى
ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فقد برئ من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع
مخالف للسنة والسلف واخاف ان لا يصعد له عمل
الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وفي حديث
خالد بن سعيد ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال
ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس
اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وعن طلحة والزبير
وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك
ايها الناس ان الله عز وجل قد غفر لاهل بدر والحديبية
ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني
لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب
يوم القيمة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد العزيز
من معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه
وامينه على وحي الله واتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان
فابغضه الله وقال عليه السلام في الانصار اعفوا عن مسيئهم
واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصهاري
فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن
لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك
ان يأخذه وعنه عليه السلام من حفظني في اصحابي كنت
له حافظا يوم القيمة وقال من حفظني في اصحابي ورد على الحوض
ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد على الحوض ولم يرني الا من بعيد
قال مالك رحمه الله هذا النبي مؤدب الخلق الذي هدينا الله به
وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعوا
لهم ويستغفر لهم كالمودع لهم وبذلك امره الله وامر النبي
بحبهم وموالاتهم ومعادات من عاداهم وروي عن كعب ليس
احد من اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا له شفاعة
يوم القيمة وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيمة
وقال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقر
اصحابه ولم يعز اوامره **فصل** ومن اعظامه واكباره
اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة

والمدينة ومعاهده وما لمسه عليه السلام او عرف به
وروي عن صفية بنت نجدة قالت كانت لابي محذورة قصة
في مقدم رأسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض فقيل له
الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بيده ورئي ابن عمر رضي الله
عنهما واضعا يده على مقعد رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه وكانت في قلنسوة
خالد بن الوليد شعرات من شعره عليه السلام فسقطت
قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه
اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة من قتل
فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته
من شعره عليه السلام لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين
ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول
استحيي من الله ان اطاء تربة فيها رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بحافر دابة وروي انه وهب للشافعي كراعا كثيرا
كان عنده فقال له الشافعي امسك منها دابة فاجابه
بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد
ابن فضلويه الزاهد فكان من الغزاة الرماة انه قال ما مست
القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله

تعالى عليه وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن
قال تربة المدينة ردية بضرب ثلثين درة وامر بحبسه
وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يزعم انها غير طيبة
وفي الصحيح انه قال عليه السلام في المدينة من احدث فيها حدثا
او اوى محدثا فعليه لعنة الله والملئكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وحكي ان جهجاها الغفاري
اخذ قضيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من يد عثمان رضي الله
عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته
الاكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول. وقال عليه السلام
من حلف على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار. وحدثت
ان ابا الفضل الجوهري لما قدم المدينة زائرا وقرب من بيوتها
ترجل ومشى باكيا منشدا ولما راينا رسم من لم يدع لنا فؤادا
لعرفان الرسوم ولا لبا نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة لمن بان عنه
ان نلم به ركبا. وحكي عن بعض المريدين لما اشرف على مدينة الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم انشأ يقول متمثلا. رفع الحجاب لنا
فلاح لناظر. قمر تقطع دونه الاوهام. واذا المطي بنا بلغن
محمدا. فظهورهن على الرجال حرام. قربننا من خير من وطئ الثرى
فلها علينا حرمة وذمام. وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا

فقيل له

فقيل له في ذلك فقال العبد الابق لا ياتي الى بيت مولاه
راكبا لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي.
قال القاضي ابو الفضل وجدير لمواطن عمرت بالوحي
والتنزيل وتردد فيها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملئكة
والروح. وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح. واشتملت
تربتها على جسد سيد البشر. وانتشر عنها من دين الله
وسنة رسوله ما انتشر مدارس ايات ومساجد وصلوات
ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات
ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين
ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة. واين فاض عبابها
ومواطن مهبط الرسالة. واول ارض مس جلد المصطفى ترابها
ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدراتها
يا دار خير المرسلين ومن به هدي الانام وخص بالايات عندي
لاجلك لوعة وصبابة. وتشوق متوقد الجمرات وعلي عهد
ان ملئت محاجري من تلكم العرصات والجدرات. لاعفرن
مصون شيبي بينها من كثرة التقبيل والرشفات. لولا العوادي
والاعادي زرتها ابدا ولو سحبا على الوجنات. لكن ساهدي
من حفيل تحيتي لقطين تلك الدار والحجرات. ازكى من المسك
المفتق نفحة تغشاه بالاصال والبكرات. وتخصه

بزواكي الصلوات ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته

قال الله تعالى إن الله وملئكته يصلون على النبي الاية قال ابن عباس معناه إن الله وملئكته يباركون على النبي وقيل إن الله يترحم على النبي وملئكته يدعون له • قال المبرد واصل الصلوة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملئكة رقة واستدعاء للرحمة من الله • وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملئكة على من جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له اللهم ارحمه وهذا دعاء وقال ابو بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي رحمة وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة • وقال ابو العالية صلوة الله ثناؤه عليه عند الملئكة وصلاة الملئكة الدعاء • قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وقد فرق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الاية على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فامر الله تعالى اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي عند حضورهم قبره • وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه احدها السلامة

لك ومعك وتكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به وتكون هنا السلام اسم الله تعالى • الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الاية

فصل

اعلم ان الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلوة عليه وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الاية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط منه الحرج وماثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة • وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان ياتي بها مرة في دهره مع القدرة على ذلك • وقال القاضي ابو بكر بن بكير افترض الله على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه

وسلم واجبة في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد
ابن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم
ان الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرض
بالجملة بعقد الايمان لا تتعين في الصلاة وان من صلى عليه
مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعي
الفرض منها الذي امر الله به ورسوله عليه السلام هو
في الصلاة وقالوا واما في غيرها فلا خلاف في انها غير واجبة
واما في الصلاة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي
وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الائمة
على ان الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في التشهد
غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم من بعد التشهد الاخر وقبل السلام
فصلاته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لا تجزئه ولا سلف
له في ذلك القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسئلة
عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف
فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر
ابن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلاة الا صلى فيها
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فان ترك ذلك فصلاته
مجزئة في مذهب مالك واهل المدينة وسفيان الثوري

واهل الكوفة من اصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جمل اهل العلم
وحكي عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبة
وان تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي فاوجب
على تاركها في الصلاة الاعادة واوجب اسحق الاعادة
مع تعمد تركها دون النسيان وحكى ابو محمد بن ابي زيد
عن محمد بن المواز ان الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فريضة قال ابو محمد يريد ليست من فرائض الصلاة
وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب
ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي
وحكى ابو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلثة اقوال
الوجوب والسنة والندب وقد خالف الخطابي
من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسئلة
قال الخطابي وليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء
الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست
من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي
واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه في هذه المسئلة
جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي
علمه له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليس فيه الصلاة
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكذلك كل من

روى التشهد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
كأبي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وأبي سعيد الخدري
وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه
صلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. وقد قال
ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن أبي سعيد
وقال ابن عمر كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون
الصبيان في الكتاب وعلمه أيضا على المنبر عمر بن الخطاب
وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي وقال ابن القصار معناه
كاملة أو لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف أهل الحديث
كلهم رواية هذا الحديث وفي حديث أبي جعفر عن ابن مسعود
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل
فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني
الصواب أنه من قول أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين
لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي صلى الله تعالى عليه
ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم وراويه جابر الجعفي
وهو ضعيف **فصل** في المواطن التي يستحب فيها الصلاة
والسلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويرغب
من ذلك في تشهد الصلاة كما قدمناه وذلك بعد التشهد

وقبل الدعاء حدثنا القاضي أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه
قال حدثنا الإمام أبو القاسم البلخي قال حدثنا الفارسي
عن أبي القاسم الخزاعي عن أبي سعيد الهيثم بن كليب
عن أبي عيسى الحافظ قال حدثنا محمود بن غيلان حدثنا
عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا حيوة بن شريح حدثني
أبو هانئ الخولاني أن عمرو بن مالك الجنبي أخبره أنه
سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عجل هذا
ثم دعاه فقال له ولغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله
والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم ليدع بعد بما شاء ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله
وهو أصح وعن عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلاة
معلق بين السماء والأرض ولا يصعد إلى الله منه شيء
حتى يصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعن علي
رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمعناه
وقال وعلى آل محمد وروي أن الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابن مسعود
إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء

عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم ثم ليسئل حاجته فهو اجدر ان ينجح وعن جابر
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه
ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضأ
والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه واخره
وقال ابن عطاء للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات
فان وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته طار في السماء
وان وافق مواقيته وصل وان وافق اسبابه نجح فاركانه
حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب
بالله وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته
الاسحار واسبابه الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم • وفي الحديث الدعاء بين الصلوتين على لا يرد •
وفي حديث اخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلوة
على صعد الدعاء • وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش
فقال في اخره واستجب دعائي ثم يبدأ بالصلاة على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ان تصلي على محمد عبدك ونبيك
ورسولك افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين امين •
ومن مواطن الصلوة عليه عند ذكره وسماع اسمه او كتابه

او عند الاذان وقد قال عليه السلام رغم انف رجل ذكرت
عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلوة عليه عند التعجب
وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب •
قال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله هو
الذبيحة والعطاس فلا يقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله
ولو قال فيهما بعد ذكر الله صلى الله تعالى عليه وسلم على محمد
لم يكن تسمية له مع الله وقال له اشهب قال ولا ينبغي
ان تجعل الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
استنانا وروى النسائي عن اوس بن اوس عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه
يوم الجمعة • ومن مواطن الصلاة عليه والسلام دخول المسجد
قال ابو اسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي عليه
صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه وعلى اله ويبارك
عليه وعلى اله ويسلم تسليما • ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل
موضع رحمتك فضلك • وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى
فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت
احد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا

وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله
وبركاته • قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد
وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام
على رسول الله واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد اقول
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته
على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل المسجد واذا خرج لم يذكر
الصلاة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم
وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث اخر القسم
والاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلوة عليه ايضا
الصلوة على الجنائز وذكر عن ابي امامة انها من السنة
ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الامة ولم ننكرها
الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وآله
في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول
واحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض
ومنهم من يختم به ايضا الكتب وقال عليه السلام من صلى علي
في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب

ومن مواطن

ومن مواطن السلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
تشهد الصلوة حدثنا ابو القاسم خلف بن ابرهيم المقرئ
الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثتني كريمة بنت احمد
قالت حدثنا ابو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن اسمعيل حدثنا ابو نعيم حدثنا الاعمش عن شقيق
ابن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم • قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله
والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم
اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء والارض هذا
احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد وقد روى
مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده
واذا اراد ان يسلم واستحب مالك في المبسوط ان يسلم
بمثل ذلك قبل السلام • قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء
عن عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب
اهل العلم ان ينوي الانسان حين سلامه كل عبد صالح
في السماء والارض من الملائكة وبني آدم والجن قال مالك

في المجموعة واجب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول السلام
على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين السلام عليكم **فصل** في كيفية الصلوة عليه
والتسليم **حدثنا** ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي
عليه حدثنا القاضي ابو الاصبغ عيسى بن سهل حدثنا
ابو عبد الله بن عتاب حدثنا ابو بكر بن وافد وغيره حدثنا
ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك
عن عبد الله بن ابي بكر بن عمرو بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم
الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي انهم قالوا
يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل
على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل ابرهيم وبارك
على محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل ابرهيم انك
حميد مجيد • وفي رواية مالك عن ابن مسعود الانصاري رضي الله
عنه قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابرهيم
وبارك على محمد كما باركت على آل ابرهيم في العالمين انك
حميد مجيد • والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة •
اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابرهيم وبارك
على محمد وآل محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد •
وعن عقبة بن عمرو في حديثه • اللهم صل على محمد النبي الامي

وعلى آل محمد

وعلى آل محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد
عبدك ورسولك وذكر معناه حدثنا القاضي ابو عبد الله
التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي
بقراءتي عليه قالا حدثنا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه
قال حدثنا ابو بكر المطوعي قال حدثنا ابو عبد الله الحاكم
عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن حرب
ابن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي
ابن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب
رضي الله عنهم قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا نزلت
من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما
صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد • اللهم
بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم
انك حميد مجيد • اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما
ترحمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد • اللهم
وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابرهيم
وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد • اللهم وسلم على محمد
وعلى آل محمد كما سلمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك
حميد مجيد • وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله

تعالى عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى
علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وازواجه
امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابرهيم
انك حميد مجيد • وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري سألت
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا
واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد
كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد • وعن سلامة الكندي
كان علي يعلمنا الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك
ونوامي بركاتك ورأفة تحيتك على محمد عبدك ورسولك
الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق
والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك
مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك
ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله تصل
باهله اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم
وابهج موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام
فهو امينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك
يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة • اللهم
افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك

مهنآت

مهنآت له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول
وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء الناس
بناءه واكرم مثويه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه
من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق
عدل وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه ايضا في الصلوة
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله وملئكته
يصلون على النبي الاية لبيك اللهم ربي وسعديك
صلوات الله البر الرحيم والملئكة المقربين
والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح
لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله
خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين
ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك
باذنك السراج المنير وعليه السلام • وعن عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه • اللهم اجعل صلواتك وبركاتك
ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين
محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة •
اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون
والاخرون • اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت
على ابرهيم انك حميد مجيد • وبارك على محمد وعلى آل محمد

كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد • وكان الحسن
البصري يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى
فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله واصحابه واولاده
وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره
واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين
يا ارحم الراحمين • وعن طاوس عن ابن عباس انه كان يقول
اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا
وآته سؤله في الآخرة والاولى كما آتيت ابرهيم وموسى •
وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعائه • اللهم اعط محمدا
افضل ما سألك لنفسه واعط محمدا افضل ما سألك له احد
من خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسؤل له الى يوم القيمة
وعن ابن مسعود انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون
لعل ذلك تعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك
وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين
محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة
اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون
والآخرون • اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت
على آل ابرهيم انك حميد مجيد • اللهم بارك على محمد

وعلى آل محمد

وعلى آل محمد كما باركت على آل ابرهيم انك حميد مجيد •
وما يؤثر في تطويل الصلاة وتكثير الثناء على اهل البيت
وغيرهم كثير • وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم
في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين •
وفي تشهد علي السلام على نبي الله السلام على انبياء الله
ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله
السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم
ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر
لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته • جاء في هذا الحديث عن علي
رضي الله عنه الدعاء للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بالغفران • وفي حديث الصلوة عليه ايضا قبل الدعاء له
بالرحمة ولم يات في غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة
وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر وغيره الى انه لا يدعى للنبي
صلى الله عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة
والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة
وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد في الصلاة على النبي صلى الله

تعالى عليه وسلم اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت
على ابرهيم وآل ابرهيم ولم يأت هذا في حديث صحيح وحجته
في السلام السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته

فصل في فضيلة الصلوة على النبي والتسليم والدعاء له

حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه حدثنا القاضي
يونس بن مغيث حدثنا ابو بكر بن معاوية حدثنا النسائي
حدثنا سويد بن نصر عبد الله عن حيوة بن شريح قال اخبرني
كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه
سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
وصلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا
ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي
الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سأل
لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى انس بن مالك
رضي الله عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال
من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه
عشر خطيئات ورفع له عشر درجات • وفي رواية وكتب له
عشر حسنات • وعن انس رضي الله عنه عنه عليه السلام ان
جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا

ورفعه

ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه
عليه السلام لقيت جبريل عليه السلام فقال اني ابشرك
ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت
عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس الحدثان
وعبيد الله بن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب سمعت النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد
وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي
وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلوة
وعن ابي هريرة عنه عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل
الملئكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر
ابن ربيعة سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول
من صلى علي صلاة صلت عليه الملئكة ما صلى علي فليقلل
من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال
يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة
جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر
الصلوة عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال
الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلث قال ما شئت
وان زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو

خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال
يا رسول الله فاجعل صلاتي كلها لك قال اذا تكفى همك
ويغفر ذنبك • وعن ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فرايت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسألته
قال وما يمنعني وقد خرج جبريل آنفا فاتاني ببشارة من ربي
ان الله تعالى بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك
يصلي عليك الا صلى الله تعالى عليه وملائكته بها عشرا •
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم من قال حين يسمع النداء • اللهم رب هذه
الدعوة التامة والصلاة القائمة ات محمدا الوسيلة
والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له
الشفاعة يوم القيمة • وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه
قال من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله
ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له وروى ابن وهب
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سلم علي عشرا
فكانما اعتق رقبة • وفي بعض الآثار ليردن علي اقوام
ما اعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي وفي اخر ان انجاكم يوم القيمة
من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلاة وعن ابي بكر الصديق

رضي الله عنه الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
امحق للذنوب من الماء للنار والسلام عليه افضل
من عتق الرقاب **فصل** في ذم من لم يصل على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم واثمه **حدثنا** القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله
حدثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا
حدثنا ابو يعلى قال حدثنا السنجي حدثنا محمد بن محبوب
حدثنا ابو عيسى حدثنا احمد بن ابرهيم الدورقي حدثنا
ربعي بن ابرهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن ابي سعيد
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي • ورغم
انف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له • ورغم انف رجل
ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة • قال عبد الرحمن
واظنه او احدهما • وفي حديث آخر ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم
صعد فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل
صلى الله تعالى عليه وسلم اتاني فقال يا محمد من سميت
بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله
قل آمين فقلت آمين • وقال فيمن ادرك رمضان فلم يتقبل
منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما

فمات مثل ذلك • وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عنه
عليه السلام انه قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي
وعن جعفر بن محمد عن ابيه رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي
اخطأ به طريق الجنة • وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان البخيل
كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي • وعن ابي هريرة
قال ابو القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم ايما قوم جلسوا
مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم الا كانت عليهم ترة ان شاء عذبهم
وان شاء غفر لهم • وعن ابي هريرة من نسي الصلوة علي
نسي طريق الجنة • وعن قتادة رضي الله عنه عنه عليه السلام
من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي • وعن جابر
رضي الله عنه عنه عليه السلام ما جلس قوم مجلسا ثم
تفرقوا على غير صلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
الا تفرقوا انتن من ريح الجيفة • وعن ابي سعيد رضي الله عنه
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا
لا يصلون فيه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا كان
عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب حكى

ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرة في المجلس اجزأ
عنه ما كان في ذلك المجلس **فصل** في تخصيصه عليه السلام
بتبليغ صلاة من صلى عليه او سلم من الانام **حدثنا** القاضي
ابو عبد الله التميمي حدثنا الحسين بن محمد حدثنا ابو عمر
الحافظ حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا
ابو داود حدثنا ابن عوف حدثنا المقرئ حدثنا حيوة
عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى
ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى علي
عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته • وعن ابن مسعود
ان لله ملئكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام
ونحوه عن ابي هريرة وابن عمر اكثروا من السلام على نبيكم
كل جمعة فانه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احدا
لا يصلي علي الا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها •
وعن الحسن رضي الله عنه عنه عليه السلام حيث ما كنتم
فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس احد

من امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يسلم عليه ويصلي
عليه الا بلغه • وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه اسمه • وعن الحسن
ابن علي رضي الله عنهما اذا دخلت المسجد فسلم على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم • فان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا
وصلوا علي حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم •
وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة فان
صلاتكم معروضة علي • وعن سليمن بن سحيم رايت النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين
يأتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم
وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال اكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر
فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء
وما من مسلم يصلي علي الا حملها ملك حتى يؤديها الي
ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كنا وكنا

فصل

في الاختلاف في الصلوة على غير النبي وسائر الانبياء
عليهم السلام • قال القاضي رحمه الله عامة اهل العلم
متفقون على جواز الصلوة على غير النبي صلى الله تعالى عليه

وسلم وروى

وسلم وروى عن ابن عباس لا تجوز الصلوة على غير النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم • وروى عنه لا تنبغي الصلوة
على احد الا على النبيين • وقال سفيان يكره ان يصلى الا
على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك رحمه الله
انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال
مالك في المبسوط ليحيى بن اسحق اكره الصلاة على غير الانبياء
وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست آخذ
بقوله ولا بأس بالصلوة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج
بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم الصلوة عليه وفيه وعلى ازواجه وعلى آله وقد
وجدت معلقا عن ابي عمران الفاسي روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما كراهة الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم
قال وبه اقول ولم يكن يستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم صلوا على انبياء الله ورسله فالله بعثهم كما
بعثني قالوا والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلاة
في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق
حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال الله تعالى هو الذي

يصلي عليكم وملائكته الآية وقال تعالى خذ من أموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الآية وقال تعالى أولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اللهم صل على محمد وعلى آل أبي أوفى وكان إذا أتاه
قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان • وفي حديث الصلوة
اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته وفي آخر وعلى
آل محمد قيل أتباعه وقيل أمته وقيل الأتباع والرهط
والعشيرة وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل أهله الذين
حرمت عليهم الصدقة • وفي رواية أنس سئل النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي ويجيء على مذهب الحسن
أن المراد بآل محمد محمد نفسه فإن كان يقول في صلاته على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك وبركاتك
على آل أحمد يريد نفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم لأنه
كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل لأن الفرض الذي أمر الله
به هو الصلاة على محمد نفسه عليه السلام وهذا مثل قوله
عليه السلام لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد
من مزامير داود عليه السلام • وفي حديث أبي حميد الساعدي
في الصلوة اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته •
وفي حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه كان يصلي على النبي

صلى الله

صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر رضي الله تعالى
عنهما ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الأندلسي
والصحيح من رواية غيره يدعو لأبي بكر وعمر وروى ابن وهب
عن أنس بن مالك كنا ندعو لأصحابنا بالغيب فنقول اللهم
اجعل منك على فلان صلوة قوم أبرار الذين يقومون بالليل
ويصومون بالنهار • قال القاضي والذي ذهب إليه المحققون
وأميل إليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله تعالى
وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء
والمتكلمين أنه لا يصلى على غير الأنبياء عند ذكرهم •
بل هو شيء يختص به الأنبياء توقيرا لهم وتعزيزا كما نخص
تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه
فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وسائر الأنبياء بالتعظيم بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه
سواهم كما أمر الله به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر
من سواهم من الأئمة وغيرهم بالغفران والرضاء كما قال تعالى
يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان
وقال تعالى والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم الآية
وأيضا فهو أمر لم يكن معروفا في الصدر الأول كما قال
أبو عمران وإنما أحدثته الرافضة والمتشيعة في بعض الأئمة

فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك وايضا فان التشبه
باهل البدع منهي عنه فيجب مخالفتهم فيما التزموه
من ذلك وذكر الصلوة على الال والازواج مع النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بحكم التبع والاضافة اليه
لا على التخصيص قالوا وصلاة النبي على من صلى عليه مجراها
مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير
قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء له مخالفا
لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار الامام ابي المظفر
الاسفرايني من شيوخنا وبه قال ابو عمر بن عبد البر •

فصل في زيارة قبره عليه السلام وفضيلة من زاره
وسلم عليه وكيف يسلم عليه ويدعو وزيارة قبره عليه السلام
سنة من سنن المسلمين مجتمع عليها وفضيلة مرغب فيها
روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي عليه السلام
من زار قبري وجبت له شفاعتي • وعن انس بن مالك رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا
يوم القيمة • وفي حديث اخر من زارني بعد موتي فكانما زارني

في حياتي

في حياتي وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم
لما ورد من قوله عليه السلام لعن الله زوارات القبور
وهذا يرده قوله عليه السلام نهيتم عن زيارة القبور
فزوروها وقوله من زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة وقيل
لان ذلك لما قيل ان الزاير افضل من المزور وهذا ايضا ليس بشيء
اذ ليس كل زاير بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث
اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى
وقال ابو عمران انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة
وزرنا قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاستعمال الناس
ذلك بعضهم لبعض فكره تسوية النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم مع الناس بهذا اللفظ واحب ان يخص بان يقال
سلمنا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال وايضا
فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد الرحال الى قبره
عليه السلام يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب
وتاكيد لا وجوب فرض والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك
له لاضافته الى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانه
لو قال زرنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكرهه لقوله
عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي

اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
فنمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك
قطعا للذريعة وحسما للباب والله اعلم . قال اسحق بن ابرهيم
الفقيه ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد
الى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه
ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند اليه وينزل جبريل
بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين
والاعتبار بذلك كله وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من
ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فتلا هذه الآية ان الله وملئكته يصلون
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال صلى الله عليك
يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك
يا فلان ولم تسقط له حاجة . وعن يزيد بن ابي سعيد المهري
قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي اليك حاجة
اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فاقرئه مني السلام قال غيره وكان يبرد اليه البريد
من الشام . قال بعضهم رأيت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة

فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انصرف
وقال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة
ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا ارى
عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو ولكن يسلم
ويمضي قال ابن مليكة من احب ان يقوم وجاه النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة
عند القبر على رأسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر
رأيته مائة مرة واكثر يجيء الى القبر فيقول السلام
على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي ثم ينصرف ورئي
ابن عمر رضي الله عنهما واضعا يده على مقعد النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ثم وضعها على وجهه . وعن ابن قسيط
والعتبي كان اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا خلا المسجد جسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم
ثم استقبلوا القبلة يدعون وفي الموطأ من رواية يحيى
ابن يحيى الليثي انه كان يقف على قبر النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فيصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وعلى ابي بكر وعمر وعند ابي القاسم والقعنبي ويدعو
لابي بكر وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم

السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال
في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر قال القاضي ابو الوليد
الباجي وعندي انه يدعو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بلفظ الصلاة ولابي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من الخلاف
وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد الرسول عليه السلام
بسم الله وسلام على رسول الله عليه السلام السلام
علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد . اللهم اغفر لي
ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك واحفظني
من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهي
ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك
بالقبر تحمد الله فيها وتسأله تمام ما خرجت اليه والعون
عليه وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزأتاك
وفي الروضة افضل وقد قال عليه السلام ما بين بيتي
ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة
من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي
عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو لهما
واكثر من الصلوة في مسجد النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تاتي مسجد قباء
وقبور الشهداء . قال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي

صلى الله

صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل وخرج يعني
في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج جعل اخر العهد
الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب
عن فاطمة بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال
اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك
واذا خرجت فصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقل
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك وفي اخرى اللهم
احفظني من الشيطان الرجيم . وعن محمد بن سيرين كان الناس
يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله
دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون
اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة رضي الله عنها ايضا
كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل المسجد قال
صلى الله تعالى على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة
قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وذكر مثله . وفي رواية بسم الله والسلام
على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك

ويسر لي أبواب رزقك. وعن أبي هريرة إذا دخل أحدكم المسجد
فليصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وليقل
اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل
المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر وإنما
ذلك للغرباء وقال فيه أيضا لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج
إلى سفر أن يقف على قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر فقيل له فإن ناسا
من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون
ذلك في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام
المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون
ساعة فقال لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا
وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها
ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون
ذلك ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده قال ابن القاسم
ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا أو دخلوها أتوا القبر فسلموا
قال وذلك رأيي. قال الباجي ففرق بين أهل المدينة والغرباء
لأن الغرباء قصدوا لذلك وأهل المدينة مقيمون بها
لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم. وقال عليه السلام
اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم

اتخذوا

اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا
ومن كتاب أحمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق
به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية يبدأ
بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وأحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم حيث العمود المخلق وأما في الفريضة فالتقدم
إلى الصفوف والتنفل فيه للغرباء أحب إلي من التنفل
في البيوت **فصل** فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم من الأدب سوى ما قدمناه وفضله
وفضل الصلوة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره
وفضل سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد أسس
على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه روي أن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم سئل أي مسجد هو قال مسجدي هذا
وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك
ابن أنس وغيرهم وعن ابن عباس أنه مسجد قباء حدثنا
هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين
ابن محمد الحافظ حدثنا أبو عمر النمري حدثنا أبو محمد
عبد المؤمن حدثنا أبو بكر بن داسة حدثنا أبو داود
حدثنا مسدد حدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب

عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجد الحرام
ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت الاثار في الصلوة
والسلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند دخول المسجد
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم
وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم •
وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا
في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت قال رجل من ثقيف قال
لو كنت من هاتين القريتين لادبتك ان مسجدنا لا يرفع فيه
الصوت • قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد
برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان ينزه عما يكره قال
القاضي حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه في باب
فضل مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والعلماء
كلهم متفقون ان حكم سائر المساجد هذا الحكم قال اسمعيل
القاضي قال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم
صلاتهم وليس مما تخص به المساجد رفع الصوت بالتلبية
في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا هذا وقال

ابو هريرة

ابو هريرة عنه عليه السلام صلاة في مسجدي هذا افضل
من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضي
اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم
في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك في رواية اشهب
عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان
معنى الحديث ان الصلوة في مسجد الرسول عليه السلام
افضل من الصلوة في سائر المساجد بالف صلاة الا المسجد
الحرام فان الصلاة في مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
افضل من الصلاة فيه بدون الالف واحتجوا بما روي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة في المسجد الحرام
خير من مائة صلاة فيما سواه فيأتي فضيلة مسجد الرسول
عليه السلام بتسعمائة وعلى غيره بالف وهذا مبني
على تفضيل المدينة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب
ومالك واكثر المدنيين • وذهب اهل مكة والكوفة
الى تفضيل مكة وهو قول ابن عطاء وابن وهب وابن حبيب
من اصحاب مالك وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا
الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلوة
في المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة

وفيه وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلاة في مسجدي
هذا بمائة صلاة وروى قتادة مثله فيأتي فضل الصلوة
في المسجد الحرام على هذا على الصلوة في سائر المساجد بمائة الف
ولا خلاف ان موضع قبره افضل بقاع الارض . قال القاضي
ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة
لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة . وذهب الطحاوي
الى ان هذا التفضيل انما هو في صلاة الفرض . وذهب مطرف
من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة ايضا . قال وجمعة خير
من جمعة ورمضان خير من رمضان . وقد ذكر عبد الرزاق
في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه . وقال
عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة
ومثله عن ابي هريرة وابي سعيد وزاد ومنبري على حوضي
وفي حديث اخر ومنبري على ترعة من ترع الجنة . قال الطبري
فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر
مع انه روي ما يبينه ما بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت
هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم في هذا الحديث كما روي
بين قبري ومنبري . قال الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت
معاني الروايات ولم يكن بينهما خلاف لان قبره في حجرته
وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل انه منبره

بعينه الذي كان في الدنيا وهو الاظهر والثاني ان يكون له
هناك منبر والثالث ان قصد منبره والحضور عنده
لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه
قاله الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين
احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء والصلوة فيه
يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف
والثالث ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون الجنة
بعينها قاله الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لأوائها وشدتها
احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة . وقال فيمن
تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون
وقال انما المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها وقال
لا يخرج احد عن المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله
خيرا منه . وروي عنه عليه السلام من مات في احد الحرمين
حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه
ولا عذاب وفي طريق اخر بعث من الامنين يوم القيمة
وعن ابن عمر رضي الله عنهما من استطاع ان يموت
بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها وقال تعالى

ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا الى قوله امنا
قال بعض المفسرين امنا من النار وقيل كان يامن من الطلب
من احدث حدثا ولجأ اليه فى الجاهلية وهذا مثل قوله تعالى
واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا على قول بعضهم
وحكى ان قوما اتوا سعدون الخولانى بالمنستير فاعلموه
ان كنامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل
فيه وبقى ابيض البدن فقال لعله حج ثلث حجج قالوا نعم
قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه
ومن حج ثلث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما نظر
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا
بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفى الحديث عنه
عليه السلام ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود
الا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب • وعنه عليه السلام
من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
وحشر يوم القيمة من الامنين قرأت على القاضى الحافظ
ابى على رحمه الله حدثك ابو العباس العذرى قال حدثنا
ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروى حدثنا الحسن بن رشيق
سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد سمعت ابا بكر محمد
ابن ادريس سمعت الحميدى قال سمعت سفيان بن عيينة

قال سمعت عمرو بن دينار

قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت بن عباس يقول سمعت
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما دعا احد بشىء
فى هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس رضى الله عنهما
وانا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا استجيب لى
وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لى • وقال سفيان
وانا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من عمرو الا استجيب لى قال الحميدى وانا فما دعوت الله
بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لى
وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من الحميدى الا استجيب لى وقال ابو الحسن
وانا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من محمد بن ادريس الا استجيب لى قال ابو اسامة وما اذكر
الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله بشىء
فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا
استجيب لى من امر الدنيا وانا ارجوا ان يستجاب لى
من امر الاخرة • وقال العذرى وانا فما دعوت الله بشىء
فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابى اسامة الا استجيب لى

وقال ابو علي وانا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة
استجيب لي بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب لي
بقيتها قال القاضي ابو الفضل رحمه الله ذكرنا نبذا
من هذه النكت في هذا الفصل وان لم تكن من الباب لتعلقها
بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق
للصواب برحمته

القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وما يستحيل ويجوز عليه وما يمتنع او يصح
من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال الله تعالى
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افاين مات
او قتل الاية وقال ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت
من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وقال تعالى
وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام
ويمشون في الاسواق وقال تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى
الي الاية فمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء
من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس
مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لما كان الا في صورة البشر
الذين يمكنكم مخاطبتهم اذ لا تطيقون مقاومة الملك
ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته وقال تعالى قل لو كان

في الارض ملئكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء
ملكا رسولا اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو
من جنسه او لمن خصه الله تعالى واصطفاه وقواه
على مقاومته كالانبياء والرسل فالانبياء والرسل
وسائط بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره
ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه
من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته
فظواهرهم واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف البشر
طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الاعراض والاسقام
والموت والفناء ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم
متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة بالملاء الاعلى
متشبهة بصفات الملئكة سليمة من التغير والافات
لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية
اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم
لما اطاقوا الاخذ عن الملئكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالطتهم
كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم وظواهرهم
متسمة بنعوت الملئكة وبخلاف صفات البشر
لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم
من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر

مع البشر ومن جهة الارواح والبواطن مع الملئكة كما قال
عليه السلام لو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر
خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما
قال تنام عيني ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني
اظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة عن الآفات
مطهرة من النقايص والاعتلالات وهذه جملة لن تكتفي
بمضمونها كل ذي همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل
على ما نأتي به بعد هذا في البابين بعون الله وهو حسبي
ونعم الوكيل **الباب الاول** فيما يختص بالامور الدينية
والكلام في عصمة نبينا وساير الانبياء صلوات الله
عليهم اجمعين • قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اعلم
ان الطوارئ من التغيرات والآفات على احاد البشر لا تخلو
ان تطرأ على جسمه او على حواسه بغير قصد كالامراض والاسقام
او تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن
جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلثة انواع عقد بالقلب
وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم
الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه
كلها والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان من البشر
ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت

البراهين

البراهين القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم
وتنزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار
وعلى غير الاختيار كما سنبينه ان شاء الله تعالى
فيما نأتي به من التفاصيل **فصل** في حكم عقد قلب النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم من وقت نبوته اعلم منحنا الله
واياك توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم
بالله وصفاته والايمان به وبما اوحي اليه فعلى غاية المعرفة
ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك
او الشك او الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة
بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح
بالبراهين الواضحة ان يكون في عقود الانبياء سواه
ولا يعترض على هذا بقول ابرهيم عليه السلام قال بلى
ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابرهيم في اخبار الله تعالى
له باحياء الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة
لمشاهدة الاحياء فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد
العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته • الوجه الثاني ان
ابرهيم عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند ربه
وعلم اجابته دعوته بسؤال ذلك من ربه فيكون قوله
اولم تؤمن اي لم تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك

الوجه الثالث انه سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة
وان لم يكن في الاول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية
قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات
ممتنع ومجوز في النظريات فاراد الانتقال من النظر
والخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين اليقين
فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سأل
كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله
الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت
طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا . الوجه الخامس
قول بعضهم هو سؤال على طريق الادب المراد اقدرني
على احياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الامنية
الوجه السادس انه ادى من نفسه الشك وما شك لكن
ليجاوب فيزداد قربة وقول نبينا عليه السلام نحن احق
بالشك من ابرهيم نفي لان يكون ابرهيم شك وابعاد للخواطر
الضعيفة ان تظن هذا بابرهيم اي نحن موقنون بالبعث
واحياء الله الموتى فلو شك ابرهيم لكنا اولى بالشك منه
اما على طريق الادب او ان يريد امته الذين يجوز عليهم الشك
او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابرهيم
على اختبار حاله او زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله تعالى

فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتب
من قبلك الايتين فاحذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك
ما ذكره بعض المفسرين . عن ابن عباس او غيره من اثبات شك
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه
من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه بل قد قال ابن عباس لم يشك
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسئل ونحوه . عن ابن جبير
والحسن وحكى قتادة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال ما اشك ولا اسئل وعامة المفسرين على هذا واختلفوا
في معنى الاية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التاويل
قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الاية وقيل
المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك الاية الخطاب له
والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره
كثير قال بكر بن العلاء الا تراه يقول ولا تكونن من الذين
كذبوا بايات الله الاية . وهو عليه السلام كان المكذب
فيما يدعوا اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل
على ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية قوله الرحمن
فسئل به خبيرا . المشهور المامور ههنا غير النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ليسئل النبي والنبي عليه السلام هو الخبير

المسؤل لا المستخبر السائل وقال ان هذا الشك الذى امر به
غير النبى بسؤال الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه
من اخبار الامم لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة
ومثل هذا قوله تعالى وسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا
الاية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبى صلى الله
تعالى عليه وسلم قاله القتيبى وقيل معناه سلنا
عن من ارسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم
ابتدأ اجعلنا من دون الرحمن الهة الى اخر الاية
على طريق الانكار اى ما جعلنا حكاه مكى وقيل امر النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم ان يسأل الانبياء ليلة الاسرى
عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال فروى انه
قال لا اسئل قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل امم من ارسلنا
هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدى
والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذى قبله اعلامه
بما بعثت به الرسل وانه تعالى لم يأذن فى عبادة غيره
لاحد ردا على مشركى العرب وغيرهم فى قولهم ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين
اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن
من الممترين اى فى علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا

بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر فى اول الاية وقد يكون
ايضا على مثل ما تقدم اى قل لمن امترى يا محمد فى ذلك
فلا تكونن من الممترين بدليل قوله تعالى اول الاية
افغير الله ابتغى حكما الاية وان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله تعالى
ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين وقد علم الله انه
لم يقل وقيل معناه ما كنت فى شك فسئل تزدد طمانينة وعلما
الى علمك ويقينك وقيل ان كنت فى شك فيما شرفناك وفضلناك
به فسئل عن صفتك فى الكتب ونشر فضائلك ۰ وحكى عن عبدة
ان المراد ان كنت فى شك من غيرك فيما انزلنا فان قيل
فما معنى قوله حتى اذا استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا
على قراءة التخفيف قلنا المعنى فى ذلك ما قالته عائشة
رضى الله عنها معاذ الله ان يظن الرسل ذلك بربها وانما
معنى ذلك ان الرسل لما استيأسوا ان من وعدهم النصر
من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل
ان الضمير فى ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء
والرسل وقول ابن عباس والنخعى وابن جبير وجماعة
من العلماء وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل
بالك من شاذ التفسير سواه مما لا يليق بمنصب العلماء

فكيف بالانبياء وكذلك ما ورد في حديث السيدة
ومبتدء الوحي من قوله لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه
الشك فيما اتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي
الا تحتمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحي لينخلع قلبه
او تزهق نفسه هذا يدل على ما ورد في الصحيح انه قال
بعد لقائه الملك او يكون ذلك قبل لقائه الملك واعلام الله
تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجايب وسلم عليه
الحجر والشجر وبداية المنامات والتباشير كما روي
في بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولا في المنام ثم
اري في اليقظة مثل ذلك تانيسا له عليه السلام لئلا يفجأه
الامر مشاهدة ومشافهة فلا تحتمله لاول حاله بنية البشرية
وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها اول ما بدئ به رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت
ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه الحق وهو في غار حراء
الحديث وعن ابن عباس رضي الله عنهما مكث النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت
ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى
اليه وقد روى ابن اسحق عن بعضهم ان النبي صلى الله تعالى
تعالى عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني

وانا نائم

وانا نائم فقال اقرأ فقلت ما اقرأ وذكر نحو حديث عائشة
في غطه له واقرائه اقرأ باسم ربك السورة قال فانصرف
عني وهببت من نومي كانما صورت في قلبي ولم يكن ابغض الي
من شاعر او مجنون قلت لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لاعمدن
الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها فبينا انا
عامد لذلك اذ سمعت مناديا ينادي من السماء يا محمد انت
رسول الله وانا جبريل فرفعت راسي فاذا جبريل على صورة رجل
وذكر الحديث فقد بين في هذا ان قوله لما قال وقصده لما
قصد انما كان قبل لقائه جبريل عليهما السلام وقبل اعلام الله
له بالنبوة واظهاره واصطفائه له بالرسالة ومثله
حديث عمرو بن شرحبيل انه عليه السلام قال لخديجة رضي الله
عنها اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله
ان يكون هذا لامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع صوتا وارى ضوءا
واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله
في بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظا
يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما رآه وانه كان كله
في ابتداء امره وقبل لقاء الملك له واعلام الله له انه
رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا يصح طرقها

وأما بعد إعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب
ولا يجوز عليه شك فيما ألقي إليه وقد روى ابن إسحق
عن بعض شيوخه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
كان يرقى بمكة من العين قبل أن ينزل عليه فلما نزل عليه
القرآن أصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة أوجه
إليك من يرقيك قال أما الآن فلا وحديث خديجة واختبارها
أمر جبريل بكشف رأسها الحديث إنما ذلك في حق خديجة
لتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وأن الذي يأتيه ملك ويزول الشك عنها لا أنها فعلت ذلك
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك
بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام
عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن ورقة أمر خديجة
أن تختبر الأمر بذلك وفي حديث إسمعيل بن أبي حكيم أنها قالت
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع
أن تخبرني بصاحبك إذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل
أخبرها فقال له اجلس إلى شقي وذكر الحديث إلى آخره وفيه
فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وأبشر
وآمنت به فهذا يدل أنها مستثبتة بما فعلته لنفسها
ومستظهرة لإيمانها لا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم

وقوله معمر

وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس
شواهق الجبال لا يقدح في هذا الأصل لقول معمر عنه
فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا أن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا إلا
من جهة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع أنه قد يحمل
على أنه كان أول الأمر كما ذكرناه أو أنه فعل ذلك لما أحرجه
من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك
على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ويصحح معنى
هذا التأويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد
ابن عقيل عن جابر بن عبد الله أن المشركين لما اجتمعوا
بدار الندوة للتشاور في شأن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم واتفق رأيهم على أن يقولوا إنه ساحر اشتد ذلك
عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل فقال
يا أيها المدثر يا أيها المزمل وخاف أن الفترة لأمر أو سبب
منه فخشي أن تكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه
ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا
فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم
به من العذاب وقول الله تعالى في يونس عليه السلام فظن

ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه • قال مكي طمع
في رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل
حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر
عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه
بغضبه وذهابه • وقال ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه
على الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبي ان يجهل صفة
من صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا
لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما
لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله كفر
لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء وقيل مستحييا من قومه
ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا
لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره الله به
على لسان نبي آخر فقال له يونس غيري اقوى عليه مني فعزم
عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان ارسال يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت
واستدل من الآية بقوله تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم •
وانبتنا عليه شجرة من يقطين • وارسلناه الآية ويستدل
ايضا بقوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة
ثم قال فاجتبيه ربه فجعله من الصالحين • فتكون هذه القصة

اذا قبل نبوته

اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله عليه السلام انه ليغان
على قلبي فاستغفر الله في اليوم مائة مرة • وفي طريق
في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان يكون
هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه عليه السلام بل
اصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد
واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره
الغين شيء يغشي القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق
الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم
من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين
في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر الروايات
وانما هذا عدد الاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين
اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر
ومشاهدة الحق بما كان صلى الله تعالى عليه وسلم دفع
اليه من مقاسات البشر وسياسة الامة ومعانات الاهل
ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه
من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا
في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم
درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه

وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه
هنالك ارفع حاليه رأى عليه السلام حال فترته عنها
وشغله بسواها غضاً من علي حاله وخفضاً من رفيع مقامه
فاستغفر الله من ذلك هذا اولى وجوه الحديث واشهرها
والى معنى ما اشرنا اليه مال جماعة من الناس وحام حوله
فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد
وجه محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات
والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت طائفة
من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز
عليه في حال سهو او فترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره
ويغم فكره من امر امته عليه السلام لاهتمامه بهم
وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين
ههنا على قلبه السكينة التي تتغشاه لقوله تعالى فانزل الله
سكينته عليه ويكون استغفاره عليه السلام عندها
اظهاراً للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء استغفاره وفعله
هذا تعريف للامة يحملهم على الاستغفار قال غيره
ويستشعرون الحذر ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل
ان تكون هذه الاغانة حال خشية واعظام تغشى قلبه

فيستغفر

فيستغفر حينئذ شكراً لله وملازمة لعبوديته كما قال
في ملازمة العبادة افلا اكون عبداً شكوراً وعلى هذه الوجوه
الاخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه عليه
السلام انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة
فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله
تعالى عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن
من الجاهلين وقوله تعالى لنوح عليه السلام فلا تسئلن
ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم
انه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في اية نبينا عليه السلام
لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى
وفي اية نوح عليه السلام لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله
حق لقوله تعالى ان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل
بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود
وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين كما
قال اني اعظك وليس في اية منها دليل على كونهم على
تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف واية نوح
قبلها فلا تسئلن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها
على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد يجوز
اباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه الله ان يسأله عما طوى

عنه علمه واكنه من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه
ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله تعالى انه
ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه مكي كذلك
امر نبينا عليه السلام في الاية الاخرى بالتزام الصبر
على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل
بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب
لامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اى فلا تكونوا
من الجاهلين . حكاه ابو محمد مكي وقال مثله في القران كثير
فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الانبياء منه بعد النبوة
قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم
شيء من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله لئن اشركت
ليحبطن عملك الاية وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك
ولا يضرك الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة
وضعف الممات . وقوله تعالى لاخذنا منه باليمين . وقوله
وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله . وقوله
فان يشا الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت
رسالته وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين .
فاعلم وفقنا الله واياك انه صلى الله تعالى عليه وسلم

لا يصح

لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه
ولا ان يشرك ولا ان يتقول على الله ما لا يجب او يفترى عليه
او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين . لكن الله يسر
امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه
ان لم يكن بهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه
بقوله تعالى والله يعصمك من الناس كما قال تعالى لموسى
وهرون لا تخافا انني معكما الاية لتشتد بصائرهم
في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو
المضعف للنفس واما قوله تعالى ولو تقول علينا
بعض الاقاويل الاية . وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة
فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله
وهو لا يفعله . وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض
فالمراد غيره كما قال تعالى ان تطيعوا الذين كفروا الاية
وقوله فان يشا الله يختم على قلبك . ولئن اشركت ليحبطن
عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك
والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجوز عليه هذا
وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس انه اطاعهم
والله ينهاه عما يشاء ويامره بما يشاء كما قال تعالى
ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية وما كان طردهم

صلى الله تعالى عليه وسلم ولا كان من الظالمين

فصل

وأما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف
والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته
والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الأخبار والآثار
عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا
ونشأتهم على التوحيد والإيمان بل على إشراق أنوار المعارف
ونفحات ألطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني
من القسم الأول من كتابنا هذا ولم ينقل أحد
من أهل الأخبار أن أحدا نبئ واصطفي ممن عرف بكفر
وإشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل
بعضهم بأن القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وأنا
أقول إن قريشا قد رمت نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
بكل ما افترته وعير كفار الأمم أنبياءها بكل ما أمكنها
واختلقته مما نص الله عليه أو نقلته إلينا الرواة
ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه آلهته
وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا
لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان
توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل أفظع وأقطع في الحجة
من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم

من قبل

من قبل ففي إطباقهم على الإعراض عنه دليل على أنهم
لم يجدوا سبيلا إليه إذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما
لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم
التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي
القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى وإذ أخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وبقوله تعالى
وإذ أخذ الله ميثاق النبيين إلى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه
قال فطهره الله في الميثاق وبعيد أن يأخذ منه الميثاق
قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالإيمان به ونصره
قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك أو غيره من الذنوب
هذا ما لا يجوزه إلا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون
ذلك وقد أتاه جبريل وشق قلبه صغيرا واستخرج منه
علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه
حكمة وإيمانا كما تظاهرت به أخبار المبدأ ولا يشتبه
عليك بقول إبراهيم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي
فإنه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر
والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق
من العلماء والمفسرين إلى أنه إنما قال مبكتا لقومه ومستدلا
عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الإنكار

والمراد فهذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم
كما قال تعالى اين شركائي اي عندكم ويدل على انه لم يعبد
شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة عين قول الله تعالى
عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم
ما كنتم تعبدون . انتم واباؤكم الاقدمون . فانهم عدو لي
الا رب العالمين . وقال اذ جاء ربه بقلب سليم . اي من الشرك
وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام . فان قلت فما معنى قوله
لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين . قيل انه اراد
ان لم يؤيدني بمعونته اكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم
على معنى الاشفاق والحذر والا فهو معصوم في الازل
من الضلال فان قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل
قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله
منها فلا يشكل عليك لفظة العود وانها تقتضي انهم
يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتي هذه اللفظة
في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما
جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل ذلك
ومثله قول الشاعر . تلك المكارم لا قعبان من لبن شيب
بماء فعادا بعد ابوالا وما كان قبل ذلك . فان قلت

فما معنى

فما معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى فليس هو
من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك
اليها قاله الطبري وقيل وجدك بين اهل الضلال فعصمك
من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي
وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك اي لا تعرفها فهداك
اليها والضلال هنا التحير ولهذا كان صلى الله تعالى
عليه وسلم يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه
ويتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام قال معناه القشيري
وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله تعالى
وعلمك ما لم تكن تعلم . قاله علي بن عيسى قال ابن عباس
لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى اي بين امرك بالبراهين
وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة
وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد
ووجدك ضالا عن محبتي لك في الازل اي لا تعرفها فمننت
عليك بمعرفتي . وقرا الحسن بن علي ووجدك ضال فهدى
اي اهتدى بك . وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اي محبا
لمعرفتي والضال المحب كما قال تعالى انك لفي ضلالك القديم
اي محبتك القديمة ولم يريدوا ههنا في الدين اذ لو قالوا
ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا قوله انا

لنراها في ضلال مبين اي محبة بينة وقال الجنيد ووجدك
متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله تعالى
وانزلنا اليك الذكر الاية وقيل ووجدك لم يعرفك احد
بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا
قال من المفسرين فيها ضالا عن الايمان وكذلك في قصة موسى
عليه السلام فعلتها اذا وانا من الضالين اي من المخطئين
الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الازهري معناه
من الناسين وقد قيل ذلك في قوله تعالى ووجدك ضالا
فهدى اي ناسيا كما قال تعالى ان تضل احديهما فان قلت
فما معنى قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
فالجواب ان السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل الوحي
ان تقرأ القران ولا كيف تدعوا الخلق الى الايمان • وقال
بكر القاضي نحوه قال ولا الايمان الذي هو الفرائض والاحكام
قال فكان قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم تكن
تدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا وهذا احسن وجوهه فان قلت
فما معنى قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين • فاعلم انه
ليس بمعنى قوله تعالى والذين هم عن اياتنا غافلون بل حكى
ابو عبيد والهروي ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف
اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث الذي يرويه

عثمان بن ابي شيبة

عثمان بن ابي شيبة بسنده عن جابر ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع
ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى نقوم خلفه
فقال الاخر كيف نقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام
فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا وقال
هذا موضوع او شبيه بالموضوع وقال الدارقطني يقال
ان عثمان وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق
على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم بغضت الي الاصنام وقوله في الحديث الاخر
الذي روته ام ايمن حين كلمه عمه واله في حضور بعض اعيادهم
وعزموا عليه فيه بعد كراهته لذلك فخرج معهم ورجع
مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي شخص ابيض
طويل يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا
وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في قصة بحيراء حين استحلف
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه
بالشام في سفرته مع عمه ابي طالب وهو صبي وراى فيه
علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما

فقال له بحيراء فبالله الا ما اخبرتني عما اسألك فقال سل
عما بدى لك وكذلك المعروف من سيرته صلى الله تعالى عليه
وسلم وتوفيق الله له انه كان قبل نبوته مخالفا المشركين
في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان هو يقف بعرفة لانه كان
موقف ابرهيم عليه السلام

فصل قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الانبياء في التوحيد
والايمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما
ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها انها مملوءة
علما ويقينا على الجملة وانها قد احتوت من المعرفة والعلم
بامور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه ومن طالع الاخبار
واعتنى بالحديث وتامل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه
في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الباب الرابع
اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه الا ان احوالهم
في هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنيا
فلا يشترط في حق الانبياء العصمة من عدم معرفة الانبياء
ببعضها او اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم
فيه اذ هممهم متعلقة بالاخرة وانبائها وامر الشريعة
وقوانينها وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا
الذين يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم

غفلون كما سنبين هذا في الباب الثاني ان شاء الله تعالى
ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا فان ذلك
يؤدي الى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا
الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر
في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم
بامور الدنيا بالكلية واحوال الانبياء وسيرهم في هذا الباب
معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما ان كان
هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي الا العلم به
ولا يصح عليه جهله جملة لانه لا يخلوا ان يكون حصل
عنده عن وحي من الله فهو لا يصح الشك منه على ما قدمناه
فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين او يكون فعل ذلك
باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول
بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين
وعلى مقتضى حديث ام سلمة اني انما اقضي بينكم برأيي فيما
لم ينزل علي فيه شيء خرجه الثقات وكقصة اسرى بدر
والاذن للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده
مما يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي
لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه ممن اجاز عليه الخطأ
في الاجتهاد لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق

والصواب عندنا ولا على القول الاخر بان الحق في طرف واحد
لعصمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الخطأ في الاجتهاد
في الشرعيات ولان القول في تخطئة المجتهدين انما هو
بعد استقرار الشرع ونظر النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع
له قبل هذا فيما عقد عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قلبه فاما ما لم يعتقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعية
فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيئا شيئا حتى
استقر علم جملتها عنده اما بوحي من الله او اذن ان يشرع
في ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها
ولكنه لم يمت حتى استقر علم جميعها عنده عليه السلام
وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب
وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء
من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة اليه اذ لا يصح دعوته
الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بعقده من ملكوت السموات
والارض وخلق الله وتعيين اسمائه الحسنى واياته الكبرى
وامور الاخرة واشراط الساعة واحوال السعداء والاشقياء
وعلم ما كان ويكون مما لا يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم
من انه معصوم فيه لا يأخذه فيما اعلم منه شك ولا ريب

بل هو فيه

بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم
بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس
عند جميع البشر لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اني
لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر على قلب بشر
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول موسى للخضر
هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا وقوله صلى الله
تعالى عليه وسلم اسألك باسمائك الحسنى ما علمت منها
وما لم اعلم وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اسألك
بكل اسم سميت به نفسك او استأثرت به في علم الغيب
عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم •
قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله تعالى وهذا
ما لا خفاء به اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها
هذا حكم عقد قلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية فصل
واعلم ان الامة مجتمعة على عصمة النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه
بانواع الاذى ولا على خاطره بالوسواس وقد اخبرنا القاضي
الحافظ ابو علي رحمه الله قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون
العدل حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره حدثنا ابو الحسن

الدارقطني حدثنا اسمعيل الصفار حدثنا عباس الترقفي
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن منصور عن سالم
ابن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ما منكم من احد الا وكل الله به
قرينه من الجن وقرينه من الملئكة قالوا واياك يا رسول الله
قال واياي ولكن الله اعانني عليه فاسلم زاد غيره عن منصور
فلا يامرني الا بخير وعن عائشة بمعناه روي فاسلم بضم الميم
اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي
فاسلم يعني القرين انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام
فصار لا يامر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه
بعضهم فاستسلم قال القاضي ابو الفضل فاذا كان هذا
حكم شيطانه وقرينه المسلط على بني ادم فكيف بمن بعد منه
ولم تلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت الاثار
بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره
واماتة نفسه وادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه
فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلاته فاخذه النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم واسره في الصحاح قال ابو هريرة
رضي الله عنه عنه عليه السلام ان الشيطان عرض لي
قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي الصلاة

فامكنني الله

فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية
حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمن رب اغفر لي
وهب لي ملكا الاية فرده الله خاسئا وفي حديث ابي الدرداء
عنه عليه السلام ان عدو الله ابليس جاءني بشهاب من نار
ليجعله في وجهي والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في الصلاة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه
وذكر نحوه وقال لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة
وكذلك في حديثه في الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار
فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ذكره في الموطا ولما لم يقدر
على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش
في الايتمار بقتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتصوره
في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزوة يوم بدر
في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطن
اعمالهم الاية ومرة ينذر بشانه عند بيعة العقبة
وكل هذا قد كفاه الله امره وعصمه ضره وشره وقد قال
عليه السلام ان عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء ليطعن
بيده في خاصرته حين ولد وطعن في الحجاب وقال عليه السلام
حين لد في مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك ذات الجنب
فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فان قيل

فما معنى قوله تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ
فاستعذ بالله الآية فقد قال بعض المفسرين إنها راجعة
إلى قوله وأعرض عن الجاهلين ثم قال وإما ينزغنك أي
يستخفنك غضب يحملك على ترك الإعراض عنهم فاستعذ
بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال تعالى من بعد أن نزغ
الشيطان بيني وبين إخوتي وقيل ينزغنك يغرينك ويحركنك
والنزغ أدنى الوسوسة فأمر الله تعالى متى تحرك عليه غضب
على عدوه أو رام الشيطان من إغرائه به وخواطر أدنى وساوسه
ما لم يجعل له سبيل إليه أن يستعيذ منه فيكفى أمره ويكون
سبب تمام عصمته إذ لم يسلط عليه بأكثر من التعرض له
ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل في هذه الآية غير هذا وكذلك
لا يصح أن يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه
لا في أول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة
بل لا يشك النبي أن ما يأتيه من الله الملك ورسوله حقيقة
إما بعلم ضروري يخلقه الله له أو ببرهان يظهره الله لديه
لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فإن قيل
فما معنى قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى
ألقى الشيطان في أمنيته الآية فاعلم أن للناس في معنى هذه الآية
أقاويل منها السهل والوعث والسمين والغث وأولى ما يقال

فيها

فيها ما عليه الجمهور من المفسرين أن التمني هاهنا التلاوة
وإلقاء الشيطان فيها إشغاله بخواطر وأذكار من أمور الدنيا
للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه أو يدخل
غير ذلك على أفهام السامعين من التحريف وسوء التأويل
ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم آياته وسيأتي
الكلام على هذه الآية بعد بأشبع من هذا إن شاء الله وقد حكى
السمرقندي إنكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمن
وغلبته عليه وأن مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمن
مبينة بعد هذا ومن قال إن الجسد هو الولد الذي ولد له
وقد قال أبو محمد مكي في قصة أيوب عليه السلام وقوله أني
مسني الشيطان بنصب وعذاب أنه لا يجوز لأحد أن يتأول
أن الشيطان هو الذي أمرضه وألقى الضر في بدنه ولا يكون
ذلك إلا بفعل الله وأمره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقيل
إن الذي أصابه الشيطان ما وسوس به إلى أهله فإن قلت
فما معنى قوله تعالى عن يوشع عليه السلام وما أنسانيه
إلا الشيطان أن أذكره وقوله تعالى عن يوسف عليه السلام
فأنسيه الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه السلام حين نام
عن الصلاة يوم الوادي أن هذا واد به شيطان وقول موسى
عليه السلام في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم أن

هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب
في وصفهم كل قبيح من شخص أو فعل بالشيطان أو فعله كما
قال تعالى كأنه رؤوس الشياطين • وقال صلى الله تعالى عليه
وسلم فليقاتله فإنما هو شيطان وأيضا فإن قول يوشع عليه
السلام لا يلزمنا الجواب عنه إذ لم تثبت له في ذلك الوقت
نبوة مع موسى عليه السلام قال الله تعالى وإذ قال موسى
لفتيه والمروي أنه إنما نبئ بعد موت موسى وقيل قبيل موته
وقول موسى عليه السلام كان قبل نبوته بدليل القرآن
وقصة يوسف عليه السلام قد ذكر أنها كانت قبل نبوته
وقد قال المفسرون في قوله أنسيه الشيطان قولين أحدهما
أن الذي أنسيه الشيطان ذكر ربه أحد صاحبي السجن
وربه الملك أي أنسيه أن يذكر للملك شأن يوسف عليه السلام
وأيضا فإن مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط
على يوسف عليه السلام ويوشع بوساوس ونزغ وإنما
هو بشغل خواطرهما بأمور أخر وتذكرهما من أمورهما
ما ينسيهما ما نسياه • وأما قوله عليه السلام إن هذا واد
به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل
إن كان بمقتضى ظاهره فقد بين أمر ذلك الشيطان بقوله
إن الشيطان أتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدئ الصبي حتى نام

فاعلم

فاعلم أن تسلط الشيطان في ذلك الوادي إنما كان على بلال
الموكل بكلاءة الفجر هذا إن جعلنا قوله إن هذا واد به شيطان
تنبيها على سبب النوم عن الصلاة وأما إن جعلناه تنبيها
على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلوة به وهو
دليل مساق حديث زيد بن أسلم فلا اعتراض به في هذا الباب
لبيانه وارتفاع إشكاله فصل وأما أقواله عليه السلام
فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه وأجمعت
الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار
عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا
أو غلطا أما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة
القائمة مقام قول الله صدق فيما قال اتفاقا وبإطباق
أهل الملة إجماعا وأما وقوعه على جهة الغلط في ذلك
فبهذه السبيل عند الأستاذ أبي إسحق الإسفرايني ومن
قال بقوله ومن جهة الإجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك
وعصمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة
نفسها عند القاضي أبي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف
بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج
عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه إجماع المسلمين
أنه لا يجوز عليه خلف في القول في إبلاغ الشريعة

والاعلام بما اخبر عن ربه وبما اوحاه اليه من وحيه
لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حال الرضا
والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو
قلت يا رسول الله اكتب كلما اسمع منك قال نعم قلت
الرضا وفي الغضب قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا
ولنزد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول
اذا قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ
عن الله الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت
فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم
ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق
من ربكم وما آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا
فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره
على اي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا
من غيره ولا اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة
على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا
واجماعا كما قاله ابو اسحق

فصل

وقد توجهت ههنا
لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي من ان النبي صلى الله

تعالى

تعالى عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم قال افرأيتم اللات
والعزى ومنوة الثالثة الاخرى قال تلك غرانيق العلى
وان شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية ان شفاعتها
لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفي رواية اخرى والغرانقة
العلى قال تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد
وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على آلهتهم
وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها على لسانه
وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يتمنى ان لو نزل
عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية اخرى
الا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة
وان جبرائيل جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين
قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي الآية وقوله وان كادوا ليفتنونك
الآية فاعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث
مأخذين احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه
اما المأخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه
احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل
وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون

بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل يقول انه في الصلوة وآخر يقول قالها في نادي قومه حين انزلت عليه السورة وآخر يقول قالها وقد اصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه فسها وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقرأتك وآخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك قال والله ما هكذا نزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنها فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة قال ابو بكر البزاز هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باسناد

منتصل

متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية ابن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله تعالى والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس هذا توهينه من طريق النقل فاما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح الهة غير الله وهو كفر او يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع في حقه عليه او يقول ذلك النبي من قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا

بالبرهان والإجماع عصمته عليه السلام من جريان الكفر
على قلبه او لسانه لا عمداً ولا سهواً وان يتشبه عليه
ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون للشيطان عليه
سبيل او ان يتقول على الله لا عمداً ولا سهواً ما لم ينزل عليه
وقال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية
وقال تعالى اذاً لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات
الآية ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظراً وعرفاً
وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتيام
متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التاليف
والنظم ولما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا من
بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك
وهذا لا يخفى على ادنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع
في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث
انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين
وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم
لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة
بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام
لادنى شبهة ولم يحك احد في هذه القصة شيئاً

سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك لوجدت
قريش بها على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود
عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء حتى كانت
في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قصة القضية
ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب
للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما روي
عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل
على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس
والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به
على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية
ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الآيتين وهاتان الآيتان
تردان الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا
يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان ثبته لكاد يركن اليهم
فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان يفتري وثبته
حتى لم يركن اليهم شيئاً قليلاً فكيف كثيراً وهم يروون
في اخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء بمدح الهتهم
وانه قال عليه السلام افتريت على الله وقلت ما لم يقل
وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف
ولا صحة له وهذا مثل قوله تعالى في الآية الاخرى

وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ
أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ
وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ كَادَ فَهُوَ مَا لَا يَكُونُ
قَالَ اللهُ تَعَالَى يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ وَلَمْ يَذْهَبْ
وَأَكَادُ أُخْفِيهَا وَلَمْ يَفْعَلْ. قَالَ الْقُشَيْرِيُّ الْقَاضِي وَلَقَدْ طَالَبَهُ
قُرَيْشٌ وَثَقِيفٌ إِذْ مَرَّ بِآلِهَتِهِمْ أَنْ يُقْبِلَ بِوَجْهِهِ إِلَيْهَا وَوَعَدُوهُ
الْإِيمَانَ بِهِ إِنْ فَعَلَ فَمَا فَعَلَ وَمَا كَانَ لِيَفْعَلَ قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ
مَا قَارَبَ الرَّسُولُ وَلَا رَكَنَ وَقَدْ ذُكِرَتْ فِي مَعْنَى الْآيَةِ تَفَاسِيرُ أُخَرُ
مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ نَصِّ اللهِ تَعَالَى عَلَى عِصْمَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرُدُّ سَفْسَافَهَا فَلَمْ يَبْقَ فِي الْآيَةِ إِلَّا أَنَّ اللهَ تَعَالَى
امْتَنَّ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعِصْمَتِهِ وَتَثْبِيتِهِ
بِمَا كَادَهُ بِهِ الْكُفَّارُ وَرَامُوا مِنْ فِتْنَتِهِ وَمُرَادُنَا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ
تَنْزِيهُهُ وَعِصْمَتُهُ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مَفْهُومُ الْآيَةِ
وَأَمَّا الْمَأْخَذُ الثَّانِي فَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى تَسْلِيمِ الْحَدِيثِ لَوْ صَحَّ وَقَدْ
أَعَاذَنَا اللهُ مِنْ صِحَّتِهِ وَلَكِنْ عَلَى كُلِّ حَالٍ فَقَدْ أَجَابَ عَنْ ذَلِكَ
أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ بِأَجْوِبَةٍ مِنْهَا الْغَثُّ وَالسَّمِينُ فَمِنْهَا مَا رَوَى
قَتَادَةُ وَمُقَاتِلٌ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابَتْهُ
سِنَةٌ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ هَذِهِ السُّورَةَ فَجَرَى هَذَا الْكَلَامُ عَلَى لِسَانِهِ
بِحُكْمِ النَّوْمِ وَهَذَا لَا يَصِحُّ إِذْ لَا يَجُوزُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مِثْلُهُ فِي حَالَةٍ مِنْ أَحْوَالِهِ وَلَا يَخْلُقُهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِهِ
وَلَا يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ فِي نَوْمٍ وَلَا يَقَظَةٍ لِعِصْمَتِهِ
فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ جَمِيعِ الْعَمْدِ وَالسَّهْوِ وَفِي قَوْلِ الْكَلْبِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَ نَفْسَهُ فَقَالَ ذَلِكَ الشَّيْطَانُ
عَلَى لِسَانِهِ وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ
وَسَهَا فَلَمَّا أُخْبِرَ بِذَلِكَ قَالَ إِنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَكُلُّ هَذَا
لَا يَصِحُّ أَنْ يَقُولَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا سَهْوًا وَلَا قَصْدًا وَلَا يَتَقَوَّلُهُ
الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ وَقِيلَ لَعَلَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَهُ أَثْنَاءَ تِلَاوَتِهِ عَلَى تَقْدِيرِ التَّقْرِيرِ وَالتَّوْبِيخِ لِلْكُفَّارِ كَقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا رَبِّي عَلَى إِحْدَى التَّأْوِيلَاتِ وَقَوْلِهِ بَلْ فَعَلَهُ
كَبِيرُهُمْ هَذَا بَعْدَ السَّكْتِ وَبَيَانِ الْفَصْلِ بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ ثُمَّ رَجَعَ
إِلَى تِلَاوَتِهِ وَهَذَا مُمْكِنٌ مَعَ بَيَانِ الْفَصْلِ وَقَرِينَةٍ تَدُلُّ عَلَى الْمُرَادِ
وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَتْلُوِّ وَهُوَ أَحَدُ مَا ذَكَرَهُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ
وَلَا يُعْتَرَضُ عَلَى هَذَا بِمَا رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي الصَّلَاةِ وَقَدْ كَانَ الْكَلَامُ
قَبْلُ فِيهَا غَيْرَ مَمْنُوعٍ وَالَّذِي يَظْهَرُ وَيَتَرَجَّحُ فِي تَأْوِيلِهِ عِنْدَهُ
وَعِنْدَ غَيْرِهِ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ عَلَى تَسْلِيمِهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ كَمَا أَمَرَهُ رَبُّهُ يُرَتِّلُ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا وَيُفَصِّلُ
الْآيَ تَفْصِيلًا فِي قِرَاءَتِهِ كَمَا رَوَاهُ الثِّقَاتُ عَنْهُ فَيُمْكِنُ تَرَصُّدُ الشَّيْطَانِ
لِتِلْكَ السَّكَتَاتِ وَدَسُّهُ فِيهَا مَا اخْتَلَقَهُ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ

محاكياً نغمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بحيث يسمعه
من دنى اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين
لحفظ السورة قبل ذلك على ما انزلها الله وتحققهم
من حال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ذم الاوثان
وعيبها ما عرف منه وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا
وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك
في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة
وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الاية فمعنى تمنى تلا
قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة
وقوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل
اللبس به ويحكم اياته وقيل معنى الاية هو ما يقع للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم من السهو اذا قرأ فينتبه لذلك ويرجع
عنه وهذا نحو قول الكلبي في الاية انه حدث فيها نفسه وقال
اذا تمنى اي حدث نفسه في رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه
وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني
وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القران بل السهو

عن اسقاط اية

عن اسقاط اية منه او كلمة ولكنه لا يقرأ على هذا السهو
بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز
عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تأويله ايضا ان
مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى فان سلمنا القصة
قلنا لا يبعد ان هذا كان قرانا والمراد بالغرانقة العلى وان
شفاعتهن لترتجى الملئكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي
الغرانقة انها الملئكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون
الاوثان والملئكة بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم
في هذه السورة بقوله تعالى الكم الذكر وله الانثى فانكر الله
تعالى كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملئكة صحيح فلما
تأوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر الهتهم ولبس عليهم
الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله
ما القى الشيطان واحكم اياته ورفع تلك اللفظتين اللتين
وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس كما نسخ كثير من القران
ورفعت تلاوته فكان في انزال الله تعالى حكمة ليضل به
من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل
ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية
قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين
اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الاية

وقيل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما قرأ
هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
خاف الكفار ان ياتي بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها
بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم ويشغبوا عليه على عاداتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان
لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه
فسلاه الله تعالى بقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الاية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن
واحكم اياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه تعالى بقوله تعالى
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون. ومن ذلك ما روت
من قصة يونس عليه السلام انه وعد قومه العذاب عن ربه
فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا
ابدا فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله ان ليس في خبر من الاخبار
الواردة في هذا الباب ان يونس عليه السلام قال لهم ان الله
مهلكهم وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر
يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا
وكذا فكان ذلك كما قال ثم دفع الله عنهم العذاب وتداركهم

قال الله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم
عذاب الخزي الاية وروي في الاخبار انهم راوا دلائل العذاب
ومخائله قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب
كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله
ابن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم ارتد مشركا وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا
حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول
نعم كل صواب وفي حديث اخر فيقول له النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت
ويقول اكتب عليما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب
كيف شئت وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد وكان
يقول ما يدري محمد الا كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك
على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا
سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا
اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم
المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسوله
ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل
بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين

مفتر على الله ورسوله ولم ترد عن احد من المسلمين ولا ذكر
احد من الصحابة انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله وانما
يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون
وما وقع من ذكرها في حديث انس وظاهر حكايتها فليس فيه
ما يدل انها شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد علل البزار
حديثه ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه
حميد عن انس قال واظن حميدا انما سمعه من ثابت قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح
حديث ثابت ولا حميد والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع
عن انس الذي خرجه اهل الصحة وذكرناه وليس فيه عن انس
قول شيء من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته عن المرتد النصراني
ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه
والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن وانه
من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم
حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل
على الرسول عليه السلام قبل اظهار الرسول لها اذ كان
ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها

بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه
وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق
الى قافيته او مبتدا الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق
ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة
وكذلك قوله عليه السلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا
فيما كان فيه من مقاطع الآي وجهان وقراءتان انزلتا
جميعا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاملى احديهما
وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام
الى الاخرى فذكرها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد
ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله تعالى ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
وهذه قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة فانك انت الغفور
الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت
على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معا الجمهور •
وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشزها
وننشرها ويقضي الحق ويقص الحق وكل هذا لا يوجب ريبا
ولا يسبب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم غلطا

ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم الى الناس غير القرآن
فيصف الله ويسميه في ذلك كيف يشاء **فصل** هذا القول
فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار
التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف
الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه • فالذي يجب
اعتقاده تنزيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ان يقع
خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا
ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه
وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف
واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم
ومبادرتهم الى تصديق جميع احواله والثقة بجميع اخباره
في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف
ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك
هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي
على عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله تعالى
عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي
كانت هزيلة من ابي القاسم فقال كذبت يا عدو الله وايضا

فان

فان اخباره وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها
مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه
عليه السلام لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في شيء
اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه السلام
رجوعه عما اشار به على الانصار في تلقيح النخل وكان ذلك
رأيا لا خبرا وغير ذلك من الامور التي ليست من هذا الباب
كقوله عليه السلام والله لا احلف على يمين فأرى غيرها
خيرا منها الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني
وقوله انكم تختصمون الي الحديث وقوله اسق يا زبير حتى
يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب
والذي بعده ان شاء الله تعالى مع اشباهها وايضا
فان الكذب متى عرف من احد في شيء من الاخبار بخلاف ما هو
على اي وجه كان استريب في خبره واتهم في حديثه ولم يقع
قوله في النفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدثون
والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ
وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب
في امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط
للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة
منه فيما يستشنع ويشيع مما يخل بصاحبها ويزري

بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع فان عددناها
من الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه
والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده
اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين والتصديق
ما جاء به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتجويز شيء
من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع
عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء خلف في القول في وجه
من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من سامح
في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم
وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به
في امورهم واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم
وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر احوال عصر النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم من قريش وغيرها من الامم
وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك
واعترفوا به مما عرف واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار
فيه في الباب الثاني اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا
اليه **فصل** فان قلت فما معنى قوله عليه السلام في حديث السهو
الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحق ابرهيم بن جعفر قال حدثنا

القاضي ابو الاصبغ بن سهل حدثنا حاتم بن محمد حدثنا
ابو عبد الله بن الفخار حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله
حدثنا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن ابي سفيان
مولى بن ابي احمد انه قال سمعت ابا هريرة يقول صلى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين
فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلوة ام نسيت
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كل ذلك لم يكن
وفي الرواية الاخرى ما قصرت الصلوة ولا نسيت الحديث
بقصته فاخبر بنفي الحالتين وانهما لم تكن وقد كان احد ذلك
كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله • فاعلم
وفقنا الله واياك ان للعلماء في ذلك اجوبة بعضها
بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف
وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس
طريقه من القول البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين
فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما على مذهب من
يمنع السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا
عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق في خبره لانه
لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل
في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب

عنه نذكره في موضعه واما على احالة السهو عليه
في الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما
سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق
وصدق باطنا وظاهرا واما النسيان فاخبر صلى الله
تعالى عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكانه
قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا
ووجه ثان ان قوله عليه السلام ولم انس راجع الى السلام
اي اني سلمت قصدا وسهوت عن العدد اي لم اسه في نفس السلام
وهذا محتمل وفيه بعد ووجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب
اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اي
لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ
خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت
الصلاة وما نسيت هذا ما رايت فيه لائمتنا وكل
من هذه الوجوه محتمل للفظ على بعد بعضها وتعسف الاخر
منها قال القاضي ابو الفضل رحمه الله والذي اقول ويظهر
لي انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار
للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله بئس
ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسي

وبقوله

وبقوله في بعض روايات الحديث الاخر لست انسى ولكن انسى
فلما قال له السائل اقصرت الصلاة ام نسيت انكر قصرها
كما كان ونسيانه من قبل نفسه وانه ان كان جرى شيء من ذلك
فقد نسي حتى سال غيره فتحقق انه نسي واجري عليه ذلك
ليسن فقوله على هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن
صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي ووجه اخر
استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك انه قال ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى
عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وافة والسهو
انما هو شغل قال فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلوة
ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق
على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت ولا نسيت خلف
في قول وعندي ان قوله عليه السلام ما قصرت وما نسيت
بمعنى الترك الذي هو احد وجهي النسيان اراد والله اعلم
اني لم اسلم من ركعتين تاركا لاكمال الصلاة ولكني
نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسي والدليل على ذلك
قوله عليه السلام في الحديث الصحيح اني لانسى او انسى
لاسن واما قصة كلمات ابرهيم عليه السلام المذكورة

في الحديث انها كذبات الثلاث المنصوصة في القرآن منها
اثنتان قوله اني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك
عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها
خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة
في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب اما قوله
اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه ساسقم اي ان كل مخلوق
معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم
بهذا وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل سقيم القلب
بما اشاهد من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تاخذه
عند طلوع نجم معلوم فلما راه اعتذر بعادته وكل هذا ليس
فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم حجته
عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا
يشتغلون بها وانه اثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته
عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه
ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة
سقيمة ونظر معلول حتى الهمه الله باستدلاله وصحة حجته
عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله تعالى
وقدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية فانه
علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله

على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه
واما قوله اختي فقد بين في الحديث وقال فانك اختي
في الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون
اخوة فان قلت فهذا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد سماها
كذبات وقال لم يكذب ابرهيم الا ثلث كذبات وقال
في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم
بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن
الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها
اشفق ابرهيم عليه السلام بمؤاخذته واما الحديث
كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اراد غزوة
ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول انما هو ستر مقصده
لئلا ياخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال
عن موضع اخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه
يقول تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا
خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله
الخلف فان قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل
اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك اذ لم يرد
العلم اليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين
اعلم منك وهذا خبر قد انبا الله انه ليس كذلك فاعلم

انه وقع في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس
هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر
حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الاخر
فحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لان حاله في النبوة
والاصطفاء يقتضي ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا
عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله
انا اعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد
وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه
بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله تعالى
من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى
أعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم
ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله
ذلك عليه فيما قاله العلماء انكاره هذا القول عليه لانه
لم يرد العلم اليه كما قالت الملئكة لا علم لنا الا ما علمتنا
او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدى به
فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته
من امته فيهلك لما تضمنه في مدح الانسان نفسه
ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى
وان نزه عن هذه الرذائل الانبياء فغيرهم

بعد درجة

بمدرجة سبيلها ودرك نيلها الا من عصمه تعالى
فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال
عليه السلام تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا
سيد ولد ادم ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج القائلين
بنبوة الخضر لقوله فيه انه اعلم من موسى ولا يكون الولي
اعلم من النبي واما الانبياء فيتفاضلون في المعارف وبقوله
وما فعلته عن امري فدل انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي
قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي اخر وهذا يضعف لانه
ما علمنا كان في زمن موسى عليه السلام نبي غيره الا اخاه
هرون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيئا يعول
عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو
على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة الخضر
ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ
عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال اخر
انما الجئ موسى الى الخضر للتاديب لا للتعليم **فصل**
واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها
القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام
ولا الاعتقاد بالقلب في ما عدا التوحيد وما قدمناه
من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء

من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور
في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر
ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة
واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك لا خلاف انهم
معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان
كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك
من الكافة والجمهور قائل بانهم معصومون من ذلك
من قبل الله معتصمون باختيارهم وكسبهم الا حسين النجار
فانه قال لا قدرة لهم على المعاصي اصلا واما الصغائر
فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء وهو
مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين
والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة
اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم
ولم يات في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طائفة
اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم
من الصغائر كعصمتهم من الكبائر قالوا لاختلاف الناس
في الصغائر وتعيينها من الكبائر واشكال ذلك وقول ابن عباس
وغيره رضي الله تعالى عنهم ان كل ما عصي الله تعالى به
فهو كبيرة وانه انما سمي منها الصغير بالاضافة الى ما هو

اكبر منه ومخالفة الباري في اي امر كان يوجب كونه كبيرة
قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال في معاصي الله
صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون
لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها لا يحبطها
شيء والمشيئة في العفو عنها الى الله وهو قول القاضي
ابي بكر رحمه الله وجماعة ائمة الاشعرية وكثير
من ائمة الفقهاء . وقال بعض ائمتنا ولا يجب على القولين
ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها
اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة
واسقطت المروءة واوجبت الازراء والخساسة فهذا ايضا
مما يعصم عنه الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم
به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبياء منزهون
عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله
لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد ذهب
بعضهم الى عصمتهم عن مواقعة المكروه قصدا وقد استدل
بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى
امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا
وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك والشافعي
وابو حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم

وإذا اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداذ وأبو الفرج
عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الأبهري وابن القصار
وأكثر أصحابنا وقول أكثر أهل العراق وابن سريج
والإصطخري وابن خيران من الشافعية على أن ذلك ندب
وذهبت طائفة إلى الإباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان
من الأمور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال بالإباحة
في أفعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن
الاقتداء بهم في أفعالهم إذ ليس كل فعل من أفعاله يتميز
مقصده به من القربة أو الإباحة أو الحظر أو المعصية
ولا يصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية لا سيما
على من يرى تقديم الفعل على القول إذا تعارضا ونزيد هذا
حجة بأن نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا عليه السلام
مجمعون على أنه لا يقر على منكر من قول أو فعل وأنه متى رأى
شيئا فسكت عنه صلى الله تعالى عليه وسلم دل على جوازه
فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه
في نفسه وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم عن مواقعة المكروه
كما قيل وإذا الحظر أو الندب على الاقتداء بفعله ينافي
الزجر والنهي عن فعل المكروه وأيضا قد علم من دين الصحابة
قطعا الاقتداء بأفعال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

كيف

كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء بأقواله فقد نبذوا
خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع
واحتجاجهم برؤية ابن عمر إياه جالسا لقضاء حاجته
مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد منهم في غير شيء
مما بابه العبادة أو العادة بقوله رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يفعله وقال عليه السلام هلا خبرتيها أني
أقبل وأنا صائم وقالت عائشة محتجة كنت أفعله أنا
ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغضب عليه السلام
على الذي أخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله
ما يشاء وقال إني لأخشاكم لله وأعلمكم بحدوده والآثار
في هذا أعظم من أن نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها
على القطع اتباعهم أفعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا
عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم
وظهر بحثهم عن ذلك ولما أنكر عليه السلام على الآخر
قوله واعتذاره بما ذكرناه. وأما المباحات فجائز
وقوعها منهم إذ ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها
وأيديهم كأيدي غيرهم مسلطة عليها إلا أنهم بما خصوا به
من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من أنوار المعرفة
واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار الآخرة لا يأخذون

من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم
وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذا السبيل
التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب طرفا
في خصال نبينا عليه السلام فبان لك عظيم فضل الله
على نبينا وسائر انبيائه عليهم السلام بان جعل افعالهم
قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية

فصل وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة
فمنعها قوم وجوزها اخرون والصحيح ان شاء الله تنزيههم
من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف
والمسئلة تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي
انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا
عليه السلام قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا للشرع
قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور
فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه
حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهي
وتقرر الشريعة ثم اختلف حجج القائلين بهذه المقالة
عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الامة القاضي
ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر
من طريق السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن

كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره واولى
ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة
ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة
وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد
ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين
والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك
الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر وقالت
فرقة اخرى بالوقف في امره عليه السلام وترك قطع الحكم
عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منهما العقل
ولا استبان عندها في احدهما طريق النقل وهو
مذهب ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا
بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا
فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين
وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح
وقيل ابرهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم
فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والاظهر ما ذهب
اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان
شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم
في ان عيسى اخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها

إذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح أنه لم يكن لنبي دعوة
عامة إلا لنبينا عليه السلام ولا حجة أيضا للآخر
في قوله أن اتبع ملة إبرهيم حنيفا وللآخرين في قوله تعالى
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فتحمل هذه الآية على اتباعهم
في التوحيد كقوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهديهم
اقتده وقد سمى الله فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة
تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول أنه ليس برسول
وقد سمى الله جماعة منهم في هذه الآية شرايعهم مختلفة
لا يمكن الجمع بينها فدل على أن المراد ما اجتمعوا عليه
من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال
بمنع الاتباع هذا القول في سائر الأنبياء غير نبينا أو يخالفون
بينهم أما من منع الاتباع عقلا فيطرد أصله في كل رسول
بلا مرية وأما من مال إلى النقل فأينما تصور له وتقرر اتبعه
ومن قال بالوقف فعلى أصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن
قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي فصل هذا
حكم ما تكون المخالفة فيه من الأعمال عن قصد وهو
ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف وأما ما يكون بغير قصد
وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما
تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب وترك المؤاخذة عليه

فأحوال الأنبياء

فأحوال الأنبياء في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية
لهم مع أممهم سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ
وتقرير الشرع وتعلق الأحكام وتعليم الأمة بالفعل
وأخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه
أما الأول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول
في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه
قصدا أو سهوا فكذلك قالوا الأفعال في هذا الباب لا يجوز
طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لأنها بمعنى القول
من جهة التبليغ والأداء وطرو هذه العوارض عليها
يوجب التشكيك ويسبب المطاعن واعتذروا عن أحاديث السهو
بتوجيهات نذكرها بعد هذا وإلى هذا مال أبو إسحق
وذهب الأكثر من الفقهاء والمتكلمين إلى أن المخالفة
في الأفعال البلاغية والأحكام الشرعية سهوا
وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من أحاديث السهو
في الصلوة وفرقوا بين ذلك وبين الأقوال البلاغية
لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة ذلك تناقضها
وأما السهو في الأفعال فغير مناقض لها ولا قادح
في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر

كما قال عليه السلام انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون
فاذا نسيت فذكرونى نعم بل حالة النسيان والسهو هنا
فى حقه عليه السلام سبب افادة علم وتقرير شرع كما
قال عليه السلام انى لا انسى او انسى لاسن بل قد روى
لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له
فى التبليغ وتمام عليه فى النعمة بعيدة عن سمات النقص
واغراض الطعن فان القائلين بتجويز ذلك يشترطون
ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه
ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح
وقبل انقراضهم على قول الاخر واما ما ليس طريقه البلاغ
ولا بيان الاحكام من افعاله عليه السلام وما يختص به
من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر
من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها
ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه
من مقاسات الخلق وسياسات الامة ومعانات الاهل
وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال
بل على سبيل الندور كما قال عليه السلام انه ليغان على قلبى
فاستغفر الله وليس فى هذا شئ يحط من رتبته ويناقض
معجزته وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان

والغفلات والفترات فى حقه عليه السلام جملة
وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب
والمقامات ولهم فى هذه الاحاديث مذاهب نذكرها
بعد هذا ان شاء الله تعالى فصل فى الكلام على الاحاديث
المذكور فيها السهو منه عليه السلام قد قدمنا فى الفصول
ما يجوز فيه عليه السهو عليه السلام وما يمتنع واحلناه
فى الاخبار جملة وفى الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه
فى الافعال الدينية على الوجه الذى رتبناه واشرنا
الى ما ورد فى ذلك ونحن نبسط القول فيه الصحيح
من الاحاديث الواردة فى سهوه عليه السلام فى الصلاة
ثلثة احاديث اولها حديث ذى اليدين فى السلام
من اثنتين الثانى حديث ابن بحينة فى القيام من اثنتين
الثالث حديث ابن مسعود ان النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على السهو
فى الفعل الذى قررناه وحكمة الله فيه ليستن به
اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال
وشرطه انه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع
الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان
والسهو فى الفعل فى حقه عليه السلام غير مضاد للمعجزة

ولا قادح في التصديق وقد قال عليه السلام انما انا بشر
انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني . وقال رحم الله فلانا
لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت اسقطهن ويروى انسيتهن
وقال عليه السلام اني لا انسى او انسى لاسن قيل هذا اللفظ
شك من الراوي وقد روي اني لا انسى ولكن انسى لاسن
وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان معناه
التقسيم اي انا انسى او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد
الباجي يحتمل ما قالاه ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى
في النوم او انسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء
والسهو او انسى مع اقبالي وتفرغي له فاضاف
احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه
ونفى الاخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت
طائفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسهو في الصلاة
ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وافة قال
والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عنها والسهو
شغل فكان عليه السلام يسهو في صلاته ويشغله
عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة
عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى اني لا انسى وذهبت

طائفة

طائفة الى منع هذا كله عنه عليه السلام وقالوا ان
سهوه عليه السلام كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول
مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه
كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم
انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله عليه السلام
اني لا انسى او انسى وقد اثبت احد الوصفين ونفى
مناقضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم
انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين
من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرايني ولم يرتضه غيره
منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين
في قوله اني لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان
بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله
بئسما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا ولكنه نسي
او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلوة عن قلبه
لكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلوة
يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو
عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق
اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء
وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلوة في الخوف

إذا لم يتمكن من أدائها إلى وقت الأمن وهو مذهب الشاميين
والصحيح أن حكم صلوة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ
له فإن قلت فما تقول في نومه عليه السلام عن الصلوة
يوم الوادي وقد قال عليه السلام إن عيني تنامان
ولا ينام قلبي فاعلم أن للعلماء عن ذلك أجوبة منها
أن المراد بأن هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه
في غالب الأوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر
من غيره خلاف عادته ويصحح هذا التأويل قوله عليه
السلام في الحديث نفسه إن الله قبض أرواحنا
وقول بلال فيه ما ألقيت على نومة مثلها قط ولكن
مثل هذا إنما يكون منه عليه السلام لأمر يريده الله
من إثبات حكم وتأسيس سنة وإظهار شرع وكما قال
في الحديث الآخر لو شاء الله لأيقظنا ولكن أراد لمن يكون
بعدكم الثاني إن قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون
منه الحدث فيه لما روي أنه كان محروسا وأنه كان ينام
حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ
وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه عليه السلام
عند قيامه من النوم فيه نومه مع أهله فلا يمكن الاحتجاج
به على وضوئه بمجرد النوم إذ لعل ذلك لملامسة الأهل

أو الحدث

أو لحدث آخر فكيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى
سمعت غطيطه ثم أقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضأ وقيل
لا ينام قلبه لأجل أنه يوحى إليه في النوم وليس في
قصة الوادي إلا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس
هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام إن الله قبض
أرواحنا ولو شاء لردها إلينا في حين غير هذا فإن قيل
فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا
الصبح فقيل في الجواب إنه كان من شأنه عليه السلام
التغليس بالصبح ومراعاة أول الفجر لا يصح ممن نامت
عينه إذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل
بلالا لمراعاة أوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل
غير النوم عن مراعاته فإن قيل فما معنى نهيه عليه السلام
عن القول نسيت فقد قال عليه السلام إني أنسى كما
تنسون فإذا نسيت فذكروني وقال لقد أذكرني كذا
وكذا آية أنسيتها فاعلم أكرمك الله أنه لا تعارض
في هذه الألفاظ أما نهيه عن أن يقال نسيت آية كذا
فمحمول على ما نسخ حفظه من القرآن أي أن الغفلة
في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره إليها ليمحو ما يشاء
ويثبت وما كان من سهو أو غفلة من قبله تذكرها صلح

ان يقال فيه انسى وقد قيل ان هذا منه صلى الله تعالى
عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل
الى خالقه والاخر على طريق الجواز لاكتساب العبد
فيه واسقاطه عليه السلام لما اسقط من هذه الايات
جائز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله
الى عباده ثم يستذكرها من امته او من قبل نفسه
الا ما قضى الله سبحانه نسخه ومحوه من القلوب
وترك استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسيه منه
قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل
خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه
له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه. **فصل** في الرد على من
اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم
ان المجوزين للصغائر على الانبياء من الفقهاء والمحدثين
ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك
بظواهر كثيرة من القران والحديث ان التزموا ظواهرها
افضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به
مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون
في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت

اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك
فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا
به قديما وقامت الدلالة على خطاء قولهم وصحة غيره
وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن ناخذ في النظر
فيها ان شاء الله ومن ذلك **قوله تعالى** لنبينا محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر **وقوله تعالى** واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات **وقوله** ووضعنا عنك وزرك الذي انقض
ظهرك **وقوله** عفا الله عنك لم اذنت لهم **وقوله** لولا كتاب
من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم **وقوله** عبس
وتولى ان جاءه الاعمى الاية. وما قص من قصص غيره
من الانبياء كقوله وعصى ادم ربه فغوى **وقوله** فلما اتيهما
صالحا جعلا له شركاء الاية. **وقوله** ربنا ظلمنا انفسنا
الاية وقوله عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين.
وما ذكره من قصته وقصة داود وقوله وظن داود
انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الى قوله
ماب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته
مع اخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه
قال هذا من عمل الشيطان. وقول النبي عليه السلام

فى دعائه اغفر لى ما قدمت وما اخرت وما اسررت
وما اعلنت ونحوه من ادعيته عليه السلام .
وذكر الانبياء فى الموقف ذنوبهم فى حديث الشفاعة
وقوله انه ليغان على قلبى فاستغفر الله وفى حديث
ابى هريرة رضى الله عنه انى لاستغفر الله واتوب اليه
فى اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله عن نوح والا تغفر لى
الاية وقد كان قال الله له ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا
انهم مغرقون . وقال عن ابرهيم والذى اطمع ان يغفر لى
خطيئتى يوم الدين . وقوله عن موسى تبت اليك .
وقوله ولقد فتنا سليمن الى ما اشبه هذه الظواهر .
قال القاضى رحمه الله فاما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك هذا قد اختلف فيه المفسرون فقيل
المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع
لك من ذنب وما لم يقع لك اعلمه انه مغفور له . وقيل
المتقدم ما كان قبل النبوة والمتاخر عصمتك بعدها
حكاه احمد بن نصر . وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة
وتاويل حكاه الطبرى واختاره القشيرى . وقيل
ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب امتك
حكاه السمرقندى والسلمى عن ابن عطاء وبمثله

والذى

والذى قبله يتأول قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات قال مكى مخاطبة النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم هٰهنا هى مخاطبة لامته . وقيل ان النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادرى ما يفعل بى
ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر الاية . وبمال المؤمنين
فى الاية الاخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد الاية انك
مغفور لك غير مؤاخذ بذنبك ان لو كان قال بعضهم
المغفرة هٰهنا تبرئة من العيوب واما قوله ووضعنا
عنك وزرك الذى انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك
قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة
وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم
ولولا ذلك لاثقلت ظهره حكى معناه السمرقندى
وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة
حتى بلغها حكاه الماوردى والسلمى وقيل حططنا
ثقل ايام الجاهلية حكاه مكى وقيل ثقل شغل سرك
وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك حكى
معناه القشيرى وقيل معناه خففنا عليك
ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك

ومعنى انقض اى كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل
ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه
بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق
منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب
لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة
او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله
له بحفظ ما استحفظه من وحيه. واما قوله تعالى
عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية
بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى
ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان
مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما
لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله تعالى فاذن
لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع
عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم
وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا ههنا بمعنى غفر
بل كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عفا الله
لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم يجب عليهم قط

اى

اى لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول
العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب
قال ومعنى عفا الله عنك اى لم يلزمك ذنبا قال
الداودي روي انها تكرمة له قال مكي هو استفتاح كلام
مثل اصلحك الله واعزك الله وحكى السمرقندي ان
معناه عافاك الله واما قوله تعالى في اسارى بدر
ما كان لنبي ان يكون له اسرى الايتين فليس فيه الزام ذنب
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به
وفضل من بين سائر الانبياء فكانه قال ما كان هذا لنبي
غيرك كما قال عليه السلام احلت لي الغنائم ولم تحل
لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تعالى تريدون عرض الدنيا
والله يريد الاخرة الاية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك
منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار
منها وليس المراد بهذا النبي عليه السلام ولا علية اصحابه
بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون
يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال
حتى خشي عمر رضي الله عنه ان يعطف عليهم العدو ثم
قال تعالى لولا كتاب من الله سبق فاختلف المفسرون
في معنى الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب

احداً الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون
امر الاسرا معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن
وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم
على الغنائم ويزداد هذا القول تفسيراً وبياناً بان يقال
لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن احلت لهم
الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق
في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله
ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص
قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً وقيل بل كان
عليه السلام قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله
عنه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك
في الاسارى ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء على ان يقتل
منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا
دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم
فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان
الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك
وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم
وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري

وقوله عليه السلام في هذه القصة لو نزل من السماء عذاب
ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رأيه
ورأي من اخذ بمأخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته
وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت عذاباً
نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار
بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذاباً لحله
لهم فيما سبق قال الداودي والخبر بهذا لا يثبت
ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر
اليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك • وقال القاضي
بكر بن العلاء اخبر الله نبيه عليه السلام في هذه الاية
ان تأويله وافق ما كتبه له من احلال الغنائم والفداء
وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي
قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه •
فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام
فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم في شأن الاسرا كان على تأويل وبصيرة وعلى ما
تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله اراد
لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم

باظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه
في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب
وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه. واما قوله تعالى عبس
وتولى ان جاءه الاعمى الايات فليس فيه اثبات ذنب له
عليه السلام بل اعلام الله ان ذلك المتصدى له ممن
لا يتزكى وان الصواب والاولى كان . لو كشف لك
حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر
كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما
شرعه الله له لا معصية ومخالفة له وما قصه الله
عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر
عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله تعالى
وما عليك الا يزكى وقيل اراد بعبس وتولى الكافر الذي
كان مع النبي عليه السلام قاله ابو تمام واما قصة ادم
عليه السلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . وقوله
الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه
بالمعصية بقوله وعصى ادم فغوى اي جهل وقيل
اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد

عهدنا

عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما
قال ابن زيد نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه
من ذلك بقوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك الاية
قيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمي
الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد
المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس
لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف
بالله حانثا وقد روي عذر ادم بمثل هذا في بعض الاثار
وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن
يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال
ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين
على ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند اكله
سكران وهذا فيه ضعف لان الله تعالى وصف
خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن معصية
وكذلك ان كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق
على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف
وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون
ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى ادم ربه
فغوى ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى فذكر

ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل
اكلها متأولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها
لانه تأول نهى الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس
ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة
وقيل تأول ان الله لم ينهه عنها نهي تحريم فان قيل
فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى
وقال فتاب عليه وقوله في حديث الشفاعة ويذكر
ذنبه واني نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسيأتي الجواب
عنه وعن اشباهه مجملا آخر الفصل ان شاء الله تعالى
واما قصة يونس عليه السلام فقد مضى الكلام على بعضها
آنفا وليس في قصة يونس عليه السلام نص على ذنب
وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل
انما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب
وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال
والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون
من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة
وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص
على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله تعالى ابق
الى الفلك المشحون. قال المفسرون تباعد واما قوله

اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه
فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون
لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او
لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه
فلم يؤاخذ وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم
واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا
قول آدم وحوى ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب
في وضعهما غير الموضع الذي انزلا فيه واخراجهما
من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة داود
عليه السلام فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره فيها
الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروه
ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك
ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله وظن
داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب. الى قوله
وحسن مآب وقوله فيه اواب فمعنى فتناه اي اختبرناه
واواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى. قال
ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على ان قال للرجل انزل
لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه
عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي

ان يعول عليه من امره وقد قيل خطبها على خطبته وقيل
بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندي ان ذنبه
الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك
فظلمه بقول خصمه والى نفي ما اضيف اليه في الاخبار
الى داود من ذلك ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما
من المحققين قال الداودي ليس في قصة داود واوريا خبر
يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل ان الخصمين
اللذين اختصما اليه رجلان في نتاج غنم على ظاهر الاية
واما قصة يوسف واخوته فليس على يوسف منها تعقب
واما اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم
وذكر الاسباط وعدهم في القران عند ذكر الانبياء
قال المفسرون يريد من نبئ من ابناء الاسباط وقد قيل
انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا صغار الاسنان
ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا ولهذا قالوا ارسله
معنا غدا يرتع ويلعب وان ثبت لهم نبوة فبعد هذا
والله اعلم واما قول الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها
لولا ان رأى برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء
والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة
لقوله عليه السلام عن ربه تعالى اذا هم عبدي بسيئة

فلم يعملها

فلم يعملها كتبت له حسنة ولا معصية في همه اذا
واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم
اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس
من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق
فيكون ان شاء الله تعالى هم يوسف عليه السلام من هذا
ويكون قوله وما ابرئ نفسي الاية اي ما ابرئها من هذا الهم
او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف
بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى
ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف لم يهم وانما الكلام
فيه تقديم وتاخير اي ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه
لهم بها وقد قال تبارك وتعالى عن المرأة ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء
والفحشاء وقال تعالى وغلقت الابواب وقالت هيت لك
قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الاية قيل في ربي الله
وقيل الملك وقيل هم بها اي بزجرها ووعظها وقيل هم
بها اي غمها امتناعه عنها وقيل هم بها نظر اليها
وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته
وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف
ميل شهوة حتى نبأه الله فالقى عليه هيبة النبوة

فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه وأما خبر موسى
مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى على أنه من عدوه
قال وكان من القبط الذي كان على دين فرعون ودليل السورة
في هذا كله أنه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا
ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله تعالى
هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي
قال ابن جريج قال ذلك من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل
حتى يؤمر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل
وإنما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل إن
هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى
في قصته وفتناك فتونا أي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء
قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل إلقاؤه
في التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه أخلصناك
إخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة
في النار إذا خلصتها وأصل الفتنة معنى الاختبار
وإظهار ما بطن إلا أنه استعمل في عرف الشرع في اختبار
أدى إلى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من أن
ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه
ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب له

إذ هو

إذ هو ظاهر الأمر بين الوجه جائز الفعل لأن موسى
عليه السلام دافع عن نفسه من أتاه لإتلافها وقد
تصور له في صورة آدمي ولا يمكن أنه علم حينئذ أنه
ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة أدت إلى ذهاب
عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله
فلما جاءه بعد وأعلمه أنه رسوله إليه استسلم وللمتقدمين
والمتأخرين على هذا الحديث أجوبة هذا أسدها عندي
وهو تأويل شيخنا الإمام أبي عبد الله المازري وقد تأوله
قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة
وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب
في اللغة معروف وأما قصة سليمن وما حكى فيها
أهل التفسير من ذنبه وقوله تعالى ولقد فتنا سليمن
فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم أنه قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة
أو تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله
تعالى فقال له صاحبه يعني الملك قل إن شاء الله فلم يقل
فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل
قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده
لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال أصحاب المعاني

والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه حين عرض عليه
وهو عقوبته ومحنته وقيل بل مات فألقي على كرسيه
ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل
لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني
وقيل عقوبته أن سلب ملكه وذنبه إن أحب بقلبه
أن يكون الحق لأختانه على خصمهم وقيل أخذ بذنب قارفه
بعض نسائه ولا يصح ما نقله الأخباريون من تشبه الشيطان
به وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه
لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الله
الأنبياء من مثله وإن سئل لم لم يقل سليمن في القصة
المذكورة إن شاء الله تعالى فعنه أجوبة أحدها
ما روي في الحديث في الصحيح أنه نسي أن يقولها وذلك
لينفذ مراد الله تعالى والثاني أنه لم يسمع صاحبه وشغل
عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي لم يفعل
هذا سليمن غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده
في ذلك على ما ذكره المفسرون أن لا يسلط عليه أحد كما
سلط عليه الشيطان الذي سلبه إياه مدة امتحانه
على قول من قال ذلك وقيل بل أراد أن يكون له من الله فضيلة
وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من أنبياء الله ورسله

بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته
كالانة الحديد لأبيه وإحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم بالشفاعة ونحو ذلك
وأما قصة نوح عليه السلام فظاهره العذر وأنه أخذ
فيها بالتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى وأهلك فطلب
مقتضى هذا اللفظ وأراد علم ما طوي عنه من ذلك لا أنه
شك في وعد الله فبين الله له أنه ليس من أهله الذين
وعده الله بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح
وقد أعلمه الله أنه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته
فيهم فووخذ بهذا التأويل وعتب عليه وأشفق هو
من إقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه
وكان نوح عليه السلام فيما حكاه النقاش لا يعلم
بكفر ابنه وقيل في الآية غير هذا وكل هذا لا يقضي
على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تأويله وإقدامه
فيمن لم يؤذن فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح
من أن نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فأوحى الله
إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح
فليس في هذا الحديث أن هذا الذي أتى معصية بل فعل
ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع

المنفعة بما اباح الله الا ترى ان هذا النبي كان نازلا
تحت الشجرة فلما اذته النملة تحول برجله عنها
مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله اليه
ما يوجب عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر
وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته
هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة
يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يات في كل هذا
امرا نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى الله اليه
بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم
فان قيل فما معنى قوله عليه السلام ما من احد الا الم
بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا او كما قال عليه السلام
فالجواب كما تقدم في ذنوب الانبياء التي وقعت عن غير قصد
وعن سهو وغفلة والله اعلم **فصل** فان قلت فاذا نفيت
عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته
من اختلاف المفسرين وتاويل المحققين فما معنى قوله
تعالى وعصى ادم ربه فغوى وما تكرر في القران
والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم
وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم

واشفاقهم

واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء فاعلم
وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو
والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظيم سلطانه
وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله
والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤخذ به غيرهم وانهم
في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم
اوخذوا عليها وعوتبوا بسببها وحذروا من المؤاخذة
بها واتوها على وجه التاويل او السهو او تزيد
من امور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب
بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص بالنسبة الى
كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم
فان الذنب ماخوذ من الشيء الدني الرذل ومنه ذنب كل شيء
اي اخره واذناب الناس رذالهم فكان هذا ادنى افعالهم
واسوء ما يجري من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم
وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح
والكلم الطيب وذكر الظاهر والخفي والخشية لله
واعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث
من الكبائر والقبائح والفواحش ما يكون بالاضافة
اليه هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل

حسنات الابرار سيئات المقربين • اى يرونها
بالاضافة الى علي احوالهم كالسيئات وكذلك
العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة
كيف ما كانت من سهو او تاويل فهي مخالفة وترك
وقوله غوى اى جهل ان تلك الشجرة هي التي نهى عنها
والغى الجهل وقيل اخطأ ما طلب من الخلود اذ اكلها
وخابت منيته وهذا يوسف عليه السلام قد اوخذ
بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فانسيه الشيطان
ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين • قيل انسى
يوسف عليه السلام ذكر الله وقيل انسى صاحبه
ان يذكره لسيده الملك قال النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال
ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني
وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى
وقال بعضهم يؤاخذ الانبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم
عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم
في اضعاف ما اتوا به من سوء الادب وقد قال المحتج
للفرقة الاولى على سياق ما قلناه اذا كان الانبياء
يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو

والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا
في هذا اسوء حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله
انا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم
بل نقول انهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك
زيادة في درجاتهم ويبتلون ليكون استغفارهم
له سببا لمنماة رتبتهم كما قال الله تعالى ثم اجتبيه ربه
فتاب عليه وهدى وقال تعالى لداود فغفرنا له ذلك
الاية وقال بعد قول موسى تبت اليك انى اصطفيتك
على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمن وانابته
فسخرنا له الريح الى وحسن ماب • قال بعض المتكلمين
زلات الانبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات
وزلف واشار الى نحو مما قدمنا وايضا فلينبه غيرهم
من البشر منهم او ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم
بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة
ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن
بملاحظة ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم
فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المرى ذكر داود
بسطة للتوابين قال ابن عطاء لم يكن ما نص الله
من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزاده

من نبينا عليه السلام وايضا فيقال لهم فانكم ومن
وافقكم تقولون يغفر ان الصغائر باجتناب الكبائر
ولا خلاف بعصمة الانبياء من الكبائر فما جوزتم
من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا •
فما معنى المؤاخذة بها اذا عندكم وخوف الانبياء
وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا به فهو
جوابنا عن المؤاخذة بافعال السهو والتاويل وقد
قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وتوبته وغيره من الانبياء على وجه ملازمة الخضوع
والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه
كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد امن
من المؤاخذة بما تقدم وتاخر افلا اكون عبدا
شكورا • وقال اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي قال
الحارث بن اسد خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام
وتعبد لله لانهم امنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم
وليستن بهم اممهم كما قال عليه السلام لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان
في التوبة والاستغفار معنى اخر لطيفا اشار اليه
بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله قال الله تعالى ان الله

يحب

يحب التوابين ويحب المتطهرين • فاحداث الرسل
والانبياء الاستغفار والتوبة والاوبة في كل حين
استدعاء لمحبة الله والاستغفار فيه معنى التوبة
وقد قال لنبيه بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
وقال تعالى لنبيه فسبح بحمد ربك واستغفره
انه كان توابا **فصل** قد استبان لك ايها الناظر بما
قررناه ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل
بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم بشيء
من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها
سمعا ونقلا ولا بشيء مما قررناه من امور الشرع
واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته
عن الكذب وخلف القول مذ نباه الله وارسله قصدا
وغير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا
وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه
عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو
والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما
شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضا وغضب
وجد ومزح فيجب عليك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه

يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم
عظيم فائدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي
او يجوز او يستحيل ولا يعرف صور احكامه لا يأمن
ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما
لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري
ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل
به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار
ولهذا ما احتاط النبي عليه السلام على الرجلين اللذين
رأياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما
انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن ادم
مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا
فتهلكا هذه اكرمك الله احدى فوائد ما تكلمنا عليه
في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع
شيئا منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول العلم
وان السكوت اولى وقد استبان لك انه متعين
للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها
في اصول الفقه وتبنى عليها مسائل لا تتعد
من الفقه ويتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقهاء
في عدة منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله تعالى

عليه

267

عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير
من اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي
في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه
وعصمته من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم
في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل
بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به
وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن
اضاف الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا
من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز
وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف
كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين تدري هل ما قاله
فيه نص او مدح فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم
حرام او يسقط حقا ويضيع حرمة للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ولسبيل هذا ما قد اختلف
ارباب الاصول وائمة العلماء والمحققين
في عصمة الملئكة فصل في القول في عصمة الملئكة
اجمع المسلمون على ان الملئكة مؤمنون فضلاء
واتفق ائمة ان حكم المرسلين منهم
حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه

وانهم في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء
مع الامم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت
طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا
بقول الله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون وبقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم
وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وبقوله تعالى
ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
وبقوله تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون
عن عبادته الاية وقوله كرام بررة لا يمسه الا المطهرون
ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة الى ان هذا
خصوص للمرسلين منهم والمقربين . واحتجوا
باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير . نحن
نذكرها ان شاء الله تعالى والصواب عصمة جميعهم
وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم
ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورايت بعض شيوخنا
اشار الى ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم
وانا اقول ان الكلام في ذلك كالكلام في عصمة الانبياء
من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام
في الاقوال والافعال فهي ساقطة ههنا فمما احتج به

من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت
وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقلة المفسرين .
وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما
فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء
لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم . وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن
اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه
كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار
من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله اول الايات
من افترائهم بذلك على سليمن وتكفيرهم اياه .
وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر
في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله
تعالى . فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما
ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا
وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما انزل
على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان
من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين ان الله
امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه
وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه امن

قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمها الناس
له تعليم انذار اى يقولان لمن جاء يطلب تعلمه
لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه
ولا تتحيلوا بكذا فانه سحر ولا تكفروا فعلى هذا
فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية
وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران
انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان
السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرأ بعضهم
وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما
فهذا خالد على جلالته وعلمه ينزههما عن تعليم السحر
الذي قد ذكر غيره انهما ماذون لهما في تعليمه
بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله
وابتلاء فكيف لا ننزههما عن كبائر المعاصي
والكفر المذكورة في الاخبار وقول خالد لم ينزل
يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكي
وتقدير الكلام وما كفر سليمن يريد بالسحر الذي
افتعلته عليه الشياطين واتبعته في ذلك اليهود
وما انزل على الملكين قال مكي هما جبريل وميكائيل
ادعا اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا على سليمن

فاكذبهم

فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون
الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان
تعلماه قال الحسن هاروت وماروت هما علجان
من اهل بابل وقرأ وما انزل على الملكين بكسر اللام
وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن بن ابزى
بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمن
وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين
من بني اسرائيل فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراءة
بكسر اللام شاذة فحمل الاية على تقدير ابي محمد
مكي حسن ينزه الملئكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم
تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم مطهرون وكرام بررة
ولا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه قصة ابليس
وانه كان من الملئكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة
الى اخر ما حكوه وانه استثناه من الملئكة بقوله تعالى
فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر
ينفون ذلك وانه ابو الجن كما ان ادم ابو الانس وهو
قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب
كان من الجن الذين طردتهم الملئكة في الارض حين
افسدوا والاستثناء من غير الجنس شائع

في كلام العرب سائغ وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم
الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار ان خلقا
من الملائكة عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا لآدم
فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له من ذكره الله
الا ابليس في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار
فلا يشتغل بها والله الموفق للصواب

الباب الثاني

فيما يخصهم من الامور الدنيوية ويطرؤ عليهم
من العوارض البشرية قد قدمنا انه عليه السلام
وسائر الانبياء والرسل من البشر وان جسمه وظاهره
خالص للبشر يجوز عليه من الآفات والتغيرات والآلام
والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز على البشر
وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمى
ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه
وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها تحيون وفيها
تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير
فقد مرض عليه السلام واشتكى واصابه الحر
والقر وادركه الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر
وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر
وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته

وسقى

وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ
ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله تعالى عليه وسلم
ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان
والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها
واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم منها ورموا
في النار ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله
في بعض الاوقات ومنهم من عصمه الله كما عصم
بعد نبينا من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة
يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته
اهل الطائف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه
الى جبل ثور وامسك عنه سيف غورث وحجر ابي جهل
وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم
فلقد وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا
سائر الانبياء مبتلى ومعافا وذلك من تمام حكمته
ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين امرهم
ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم
ويرتفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا
بما يظهر من العجائب على ايديهم ضلال النصارى
بعيسى بن مريم وليكون في محنهم تسلية لاممهم

ووفور لأجورهم عند ربهم تماما على الذي أحسن
إليهم • قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات
المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها
مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس وأما
بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه
متعلقة بالملأ الأعلى والملائكة لأخذها عنهم
وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال عليه السلام إن عيني
تنامان ولا ينام قلبي وقال إني لست كهيئتكم إني أبيت
يطعمني ربي ويسقين وقال لست أنسى ولكن أنسى
ليستن بي فأخبر عليه السلام أن سره وباطنه
وروحه بخلاف جسمه وظاهره • وأن الآفات التي تحل
ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء
بباطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لأن
غيره إذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام
في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء
في بعض الآثار أنه كان محروسا من الحدث في نومه
لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره إذا جاع
ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية
جملته وهو عليه السلام قد أخبر أنه لا يعتريه ذلك

وأنه

وأنه بخلافهم بقوله لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني
ربي ويسقيني وكذلك أقول إنه في هذه الأحوال كلها
من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه
ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق
به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه •
فصل فإن قلت فقد جاءت الأخبار الصحيحة
أنه عليه السلام سحر كما حدثنا الشيخ أبو محمد
العتابي بقراءتي عليه قال حدثنا حاتم بن محمد
حدثنا أبو الحسن علي بن خلف حدثنا محمد بن أحمد
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبيد
ابن إسمعيل قال حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة
عن أبيه عن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء
وما فعله وفي رواية أخرى حتى كان يخيل إليه أنه كان
يأتي النساء ولا يأتيهن الحديث وإذا كان هذا
من الالتباس الأمر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله
صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه
وهو معصوم فاعلم وفقنا الله وإياك أن هذا الحديث
صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به

لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك
في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي عما يدخل
في امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض
من العلل يجوز عليه كانواع الامراض مما لا ينكر
ولا يقدح في نبوته واما ما ورد انه كان يخيل اليه
انه يفعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه
داخلة في شيء من تبليغه او شريعته او يقدح
في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته
من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه عليه في امور دنياه
التي لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها
عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل اليه
من امورها ما لا حقيقة لها ثم ينجلي عنه كما كان
وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله
حتى يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن وقد قال
سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يات في خبر
منها انه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر
انه فعله ولم يفعله وانما كان خواطر وتخيلات
وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشيء
انه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته

وتكون

وتكون اعتقاداته كلها على السداد واقواله على الصحة
هذا ما وقفت عليه لائمتنا من الاجوبة عن هذا الحديث
مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا
من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي
في الحديث تاويل اجلى وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل
يستفاد من نفس الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى
هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال
فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله الله
على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وروى نحوه عن الواقدي
وعن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم وذكر
عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو
نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والآخر
عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة
حتى انكر بصره • وروى محمد بن سعد عن ابن عباس
مرض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فحبس

عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان
وذكر القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات
ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه
واعتقاده وعقله وانه انما اثر في بصره وحبسه
عن وطء نسائه وطعامه واضعف جسمه وامرضه
ويكون معنى قوله يخيل اليه انه يأتي اهله ولا يأتيهن
اي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة
على النساء فاذا دنى منهن اصابته اخذة السحر
فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من اخذ واعترض
ولعله لمثل هذا اشار سفيان بقوله وهذا اشد ما يكون
من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الاخرى
انه يخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل
من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه رأى شخصا
من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما
يخيل اليه لما اصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء
طرأ عليه في ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر
من اصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد
به الملحد المعترض انسا **فصل** هذا حاله في جسمه فاما
احواله في امور الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها المتقدم

بالعقد

بالعقد والقول والفعل اما العقد منها فقد يعتقد
في امور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه او يكون
منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع كما حدثنا
ابو بحر سفيان بن العاصي وغير واحد سماعا وقراءة
قالوا حدثنا ابو العباس احمد بن عمر قال حدثنا
ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد بن عمرويه حدثنا
ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا عبد الله بن الرومي
وعباس العنبري واحمد المعقري قالوا حدثنا النضر
ابن محمد قال حدثنا عكرمة قال حدثنا ابو النجاشي حدثنا
رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال ما تصنعون
قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه
فنقصت فذكروا له ذلك فقال انما انا بشر اذا امرتكم
بشيء من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رأيي فانما انا بشر
وفي رواية انس انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث آخر
انما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس
في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق
وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر اخطئ

واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه
في امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه
واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى
ابن اسحق انه عليه السلام لما نزل بادنى مياه البدر قال
له الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا
ان نتقدمه ام هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل
هو الرأي والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض
حتى نأتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه
من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت بالرأي
وفعل ما قاله وقد قال الله له وشاورهم في الامر واراد
مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار
الانصار فلما اخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا
واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة
ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرنا
اذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وانما هي امور
اعتبارية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه
بها والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مشحون القلب
بمعرفة الربوبية ملآن الجوارح بعلوم الشريعة مقيد البال
بمصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون

في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق
في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن
بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام
من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة
فرق اهلها ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا
في باب معجزاته من هذا الكتاب **فصل** واما ما يعتقد
في امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم
ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد
فبهذه السبيل لقوله عليه السلام انما انا بشر
وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته
من بعض فاقضي له على نحو مما اسمع فمن قضيت له
من حق اخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا فانما اقطع له
قطعة من النار **حدثنا** الفقيه ابو الوليد رحمه الله
حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر
حدثنا ابو محمد حدثنا ابو بكر حدثنا ابو داود
حدثنا محمد بن كثير حدثنا سفيان عن هشام بن عروة
عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة قالت
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث
وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ابلغ من بعض

فاخبر انه صادق فاقضى له وتجرى احكامه عليه السلام
على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد
ويمين الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص
والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فانه تعالى لو شاء
لاطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى
الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجته الى اعتراف
او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته
باتباعه والاقتداء به في افعاله واحواله وقضاياه
وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به
لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شىء من ذلك
ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته
لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية بحكمه
هو اذا في ذلك بالمكنون من اعلام الله له بما اطلعه
عليه من سرائرهم وهذا مما لا تعلمه الامة فاجرى الله
احكامه على ظواهرهم التى يستوى في ذلك هو وغيره
من البشر ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه
وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين
من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع
لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول فكان حكمه على الظاهر

أجلى

اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة
لموجبات التشاجر والخصام وليقتدى بذلك كله
حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته
وطى ذلك عنه من علم الغيب الذى استأثر به عالم الغيب
فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه
منه بما شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته
ولا يفصم عروة من عصمته فصل واما اقواله الدنيوية
من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله
فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال
وعلى اى وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او رضى
او غضب وانه معصوم منه صلى الله تعالى عليه وسلم
هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب
فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز
ورودها منه في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة
كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره
وكما روى من ممازحته ودعابته لبسط امته
وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا
في تحبيبهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك
على ابن الناقة وقوله للمرأة التى سألته عن زوجها

اهو الذى بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل
ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض وقال عليه السلام
انى لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر
فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهى
فى الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه
ان يامر احدا بشىء او ينهى احدا عن شىء وهو يبطن خلافه
وقد قال عليه السلام ما كان لنبى ان يكون له خائنة الاعين
فكيف ان تكون له خيانة قلب فان قلت فما معنى اذا قوله
تعالى فى قصة زيد واذ تقول للذى انعم الله عليه
وانعمت عليه امسك عليك زوجك الاية • فاعلم
اكرمك الله ولا تسترب فى تنزيه النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يامر زيدا بامساكها
وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين
واصح ما فى هذا ما حكاه اهل التفسير عن على بن حسين
ان الله تعالى كان اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه
فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك زوجك
واتق الله واخفى منه فى نفسه ما اعلمه الله به
من انه سيزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج
وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو ابن فائد عن الزهرى

قال نزل

قال نزل جبريل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
يعلمه ان الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذى اخفى
فى نفسه ويصحح هذا قول المفسرين فى قوله تعالى بعد هذا
وكان امر الله مفعولا • اى لا بد لك ان تتزوجها ويوضح
هذا ان الله لم يبد من امره معها غير زواجه لها فدل انه
الذى اخفاه عليه السلام مما كان اعلمه به تعالى
وقوله تعالى فى القصة ما كان على النبى من حرج فيما
فرض الله له سنة الله الاية فدل انه لم يكن عليه حرج
فى الامر قال الطبرى ما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل
مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله
فى الذين خلوا من قبل اى من النبيين فيما احل لهم ولو كان
على ما روى فى حديث قتادة من وقوعها من قلب النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم عندما اعجبته ومحبته
طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق له
من مدة عينيه لما نهى عنه من زهرة الحيوة الدنيا
ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذى لا يرضاه
ولا يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء • قال
القشيرى وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة
بحق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبفضله •

وكيف يقال رآها فأعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها
منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه عليه السلام
وهو زوجها لزيد وإنما جعل الله طلاق زيد لها
وتزويج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إياها
لإزالة حرمة التبني وإبطال سنته كما قال تعالى
ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقال تعالى لكي لا يكون
على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم ونحوه لابن فورك
وقال أبو الليث السمرقندي فإن قيل فما الفائدة
في أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لزيد بإمساكها
فهو أن الله أعلم نبيه أنها زوجته فنهاه النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم عن طلاقها إذ لم تكن بينهما ألفة
وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي
قول الناس يتزوج امرأة ابنه فأمره الله بزواجها ليباح
مثل ذلك لأمته كما قال تعالى لكي لا يكون
على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم وقد قيل كان أمره
لزيد بإمساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها
وهذا إذا جوزنا عليه أنه رآها فجأة واستحسنها ومثل هذا
لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسان الحسن
ونظرة الفجأة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وأمر زيدا

بإمساكها

بإمساكها وإنما تنكر تلك الزيادات التي في القصة
والتعويل والأولى ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه
السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي
القشيري وعليه عول أبو بكر بن فورك وقال إنه
معنى ذلك عند المحققين من أهل التفسير قال والنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق
في ذلك وإظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله عن ذلك
بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له
قال ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقد أخطأ قال وليس معنى الخشية ههنا الخوف وإنما
معناه الاستحياء أي يستحيي منهم أن يقولوا تزوج
زوجة ابنه وأن خشيته عليه السلام من الناس كانت
من إرجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين
بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الأبناء
كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات إليهم
فيما أحله له كما عتبه على مراعات رضاء أزواجه
في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما أحل الله لك الآية
كذلك قوله ههنا وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه
وقد روي عن الحسن وعائشة لو كتم رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا لكتم هذه الآية
لما فيها من عتبه وإبداء ما أخفاه **فصل** فإن قلت
قد تقررت عصمته عليه السلام في أقواله في جميع أحواله
وأنه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد
ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى
ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه السلام
الذي **حدثنا** به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله قال
حدثنا القاضي أبو الوليد قال حدثنا أبو ذر قال حدثنا
أبو محمد وأبو الهيثم وأبو إسحق قالوا حدثنا محمد بن يوسف
قال حدثنا محمد بن إسمعيل قال حدثنا علي بن عبد الله
قال حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري
عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لما حضر
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي البيت رجال
فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هلموا أكتب لكم
كتابا لن تضلوا بعده أبدا فقال بعضهم إن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث
وفي رواية ايتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي أبدا
فتنازعوا فقالوا ما له أهجر استفهموه فقال دعوني
فإن الذي أنا فيه خير وفي بعض طرقه أن النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم يهجر

278

عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى أهجر ويروى
أهجرا وفيه فقال عمر إن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا
وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف
أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا ومنهم من
يقول ما قال عمر قال أئمتنا في هذا الحديث أن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم غير معصوم من الأمراض
وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما
يطرأ على جسمه معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك
ما يطعن في معجزته ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان
واختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية
من روى في الحديث هجر إذ معناه هذى يقال هجر هجرا
وأهجر هجرا إذا أفحش وأهجر تعدية هجر وإنما الأصح
والأولى أهجر على طريق الإنكار على من قال لا يكتب
وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة
في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام
عن ابن عيينة وكذا ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه
وغيره من هذه الطرق وكذلك رويناه عن مسلم

في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من
رواه هجر على حذف ألف الاستفهام والتقدير أهجر
أو أن يحمل قول القائل هجر أو أهجر دهشة من قائل ذلك
وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله تعالى
عليه وسلم وشدة وجعه وهو المقام الذي اختلف
فيه عليه والأمر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط
هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع
لا أنه اعتقد أنه يجوز عليه الهجر كما حملهم الإشفاق
على حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا
وأما على رواية أهجرا وهي رواية أبي إسحق المستملي
في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة
فقد يكون هذا راجعا إلى المختلفين عنده صلى الله
تعالى عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم أي جئتم
باختلافكم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء
الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث
وكيف اختلفوا بعد أمره لهم عليه السلام أن يأتوه
بالكتاب فقال بعضهم أوامر النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم يفهم إيجابها من ندبها من إباحتها بقرائن فلعل

قد ظهر

قد ظهر من قرائن قوله عليه السلام لبعضهم ما فهموا
أنه لم يكن منه عزمة بل أمر رده إلى اختيارهم وبعضهم
لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف
عنه إذ لم يكن عزمة ولما رأوه من صواب رأي عمر ثم
هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر إما إشفاقا على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال
إملاء الكتاب وأن يدخل عليه مشقة من ذلك كما قال
إن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اشتد به الوجع
وقيل خشي عمر أن يكتب أمورا يعجزون عنها فيحصلون
في الحرج بالمخالفة ورأى أن الأرفق بالأمة في تلك الأمور
سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون
المخطئ والمصيب مأجورا وقد علم عمر تقرر الشرع
وتأسيس الملة وأن الله تعالى قال اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتي وقوله عليه السلام أوصيكم بكتاب الله
تعالى وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من
نازعه لا على أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وقد قيل أن عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه
مرض لما كتب ذلك الكتاب في الخلوة وأن يتقولوا
في ذلك الأقاويل كالدعاء الروافضة الوصية

وغير ذلك وقيل انه كان من النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لهم على طريق المشورة والاختيار
هل يتفقون على ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا
تركه وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب
لما طلب منه لا انه ابتدأ بالامر به بل اقتضاه منه
بعض اصحابه فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم
للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة
بقول العباس لعلي انطلق بنا الى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه
وكراهة علي هذا وقوله لا والله لا افعل الحديث
واستدل بقوله دعوني فان الذي انا فيه خير
اي الذي انا فيه خير من ارسال الامر وترككم وكتاب الله
وان تدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي طلب
كتابة امر الخلافة بعده وتعيين ذلك **فصل** فان قيل
فما وجه حديثه ايضا الذي حدثنا الفقيه ابو محمد الخشني
بقراءتي عليه حدثنا ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر
الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا ابرهيم
ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا قتيبة

حدثنا ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم مولى البصريين
قال سمعت ابا هريرة يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما
يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه
فايما مؤمن اذيته او سببته او جلدته فاجعلها له
كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفي رواية فايما
احد دعوت عليه دعوة • وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية
فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها
له زكوة وصلاة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب
من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد او يفعل
مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله
فاعلم شرح الله صدرك ان قوله اولا ليس لها باهل اي
عندك يا رب في باطن امره فان حكمه عليه السلام على الظاهر
كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم عليه السلام بجلده
او ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره
ثم دعا عليه السلام له لشفقته على امته ورأفته ورحمته
للمؤمنين التي وصفه الله بها وحذره ان يتقبل فيمن دعا
عليه دعوته ان يجعل دعاءه ولعنه له رحمة فهو
معنى قوله ليس لها باهل لا انه عليه السلام يحمله الغضب

وَيستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه
من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما
يغضب البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب ويجوز
ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله على معاقبته
بلعنه او سبه وانه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه
او كان مما خير بين المعاقبة فيه او العفو عنه وقد يحمل
على انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف
والحذر من تعدى حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه
هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن على غير العقد
والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد بها
الاجابة كقوله تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك
وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته
في غير حديث انه عليه السلام لم يكن فحاشا وقال
لم يكن سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا
عند المعتبة ماله ترب جبينه فيكون حمل الحديث
على هذا المعنى ثم اشفق عليه السلام من موافقة امثالها
اجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث ان يجعل ذلك
للمقول له زكوة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا
على المدعو عليه وتانيسا لئلا يلحقه من استشعار الخوف

والحذر

والحذر من لعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون
ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده او سبه على حق
وبوجه صحيح ان يجعل ذلك له كفارة لما اصاب
وتمحية لما اجترم وان يكون عقوبته له في الدنيا
سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الاخر
ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة له فان قلت
فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم له حين تخاصمه مع الانصاري في شراج الحره
اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري
ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس
الماء حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم
منه في هذه القصة امر يريب ولكنه صلى الله تعالى
عليه وسلم ندب الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه
على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الاخر
ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث

باب إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم
وذكر في آخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله عليه
وسلم للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث أصلا
في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم
في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وأنه وإن نهى أن يقضي
القاضي وهو غضبان فإنه في حال الغضب والرضاء سواء
لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم في هذا إنما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث
الصحيح وكذلك الحديث في إقادته عكاشة من نفسه
لم يكن لتعمد حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه
أن عكاشة قال له وضربتني بالقضيب فلا أدري أعمدا
أم أردت ضرب الناقة فقال له النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم أعيذك بالله يا عكاشة أن يتعمدك
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذلك
في حديثه الآخر مع الأعرابي حين طلب عليه السلام
الاقتصاص منه فقال الأعرابي قد عفوت عنك
وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد ضربه
بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد أخرى والنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك

حاجتك

حاجتك وهو يأبى فضربه بعد ثلث مرات وهذا منه
عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع أدب
لكنه عليه السلام أشفق إذ كان حق نفسه من الأمر حتى
عفى عنه وأما حديث سواد بن عمرو أتيت النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وأنا متخلق فقال ورس ورس حط حط
وغشيني بقضيب في يده في بطني فأوجعني قلت القصاص
يا رسول الله فكشف لي عن بطنه إنما ضربه عليه السلام
لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب إلا تنبيهه
فلما كان منه إيجاع لم يقصده طلب التحلل منه
على ما قدمناه فصل وأما أفعاله عليه السلام الدنيوية
فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه
ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله
غير قادح في النبوة بل إن هذا فيها على الندور
إذ عامة أفعاله على السداد والصواب بل أكثرها أو كلها
جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه إذ كان
عليه السلام لا يأخذ منها لنفسه إلا ضرورته وما يقيم
رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم
شريعته ويسوس أمته وما كان فيما بينه وبين الناس
من ذلك فبين معروف يصنعه أو بر يوسعه أو كلام حسن

يقوله او يسمعه او تألف شارد او قهر معاند
او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله
منتظم في زاكي وظائف عباداته وقد كان يخالف
في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال ويعد
للامور اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار
وفي اسفاره الراحلة ويركب البغلة في معارك الحرب
دليلا على الثبوت ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع
واجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر احواله
بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل
الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية
لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل
لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية
مما له الخيرة في احد وجهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان
مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو
على يقين من امرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين
من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس ان محمدا يقتل
اصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة
على قواعد ابرهيم عليه السلام مراعاة لقلوب قريش
وتعظيمهم لتغيرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك

وتحريك

وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله فقال لعائشة
رضى الله عنها في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك
بالكفر لاتممت البيت على قواعد ابرهيم ويفعل الفعل
ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى مياه بدر
الى قربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت من امرى
ما استدبرت ما سقت الهدى ويبسط وجهه للكافر
والعدو رجاء استيلافه ويصبر للجاهل ويقول ان
من شرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له
الرغائب ليحبب اليه شريعته ودين ربه ويتولى
في منزله ما يتولى الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه
حتى لا يبدو منه شيء من اطرافه وحتى كان على رؤس جلسائه
الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب
مما يتعجبون ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس
بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق
ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي ان تكون له
خائنة الاعين فان قلت فما معنى قوله لعائشة رضى الله
عنها في الداخل عليه بئس ابن العشيرة هو فلما دخل
الان له القول وضحك معه فلما خرج سألته عن ذلك
قال ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف

جاز له أن يظهر خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال
فالجواب أن فعله عليه السلام كان استيلافا لمثله
وتطييبا لنفسه ليتمكن إيمانه ويدخل في الإسلام
بسببه أتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك إلى الإسلام
ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا
إلى السياسة الدينية وقد كان يستألفهم بأموال الله
العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد
أعطاني وهو أبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى صار
أحب الخلق إلي وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة
بل هو تعريف بما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله
ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما
وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا إذا كان لضرورة ودفع مضرة
لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض الأحيان
كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود
فإن قيل فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله
عليه السلام لعائشة وقد أخبرته أن موالي بريرة أبوا
بيعها إلا أن يكون لهم الولاء فقال لها عليه السلام
اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال
ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط

ليس

ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم قد أمرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله
أعلم لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا
ذلك عليها ثم أبطله عليه السلام وهو قد حرم الغش
والخديعة • فاعلم أكرمك الله تعالى أن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا
ولتنزيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك
ما قد أنكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء
إذ ليست في أكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض
بها إذ تقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى أولئك لهم اللعنة
ولهم سوء الدار وقال تعالى وإن أسأتم فلها • فعلى هذا
اشترطي لهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لأنفسهم
قبل ذلك • ووجه ثان أن قوله عليه السلام اشترطي
لهم الولاء ليس على معنى التسوية والإعلام بأن شرطه
لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم لهم قبل أن الولاء لمن أعتق فكأنه قال اشترطي
أو لا تشترطي فإنه شرط غير نافع وإلى هذا ذهب الداودي
وغيره وتوبيخ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهم

وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث
ان معنى قوله عليه السلام اشترطي اي اظهري لهم حكمه
وبيني عندهم سنته ان الولاء انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا
قام هو صلى الله تعالى عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا
على مخالفة ما تقدم منه فان قيل فما معنى فعل يوسف
عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية في رحله واخذه
باسم سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك وقوله انكم
لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك الله ان الاية تدل
ان فعل يوسف عليه السلام كان من امر الله لقوله تعالى
كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك
الا ان يشاء الله الاية فاذا كان كذلك فلا اعتراض به
كان فيه ما فيه وايضا فان يوسف عليه السلام كان اعلم
اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا
من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به
وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك • واما قوله
ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف عليه
السلام فيلزم عليه جواب يحل شبهة ولعل قائله
ان حسن له التاويل كائنا من كان ظن على صورة الحال
ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم

له

له وقيل غيره هذا ولا يلزم ان يقول الانبياء ما لم يات
انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار
عن زلات غيرهم **فصل** فان قيل فما الحكمة
في اجراء الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء
على جميعهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله به
من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب ويعقوب
ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابرهيم ويوسف
وغيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه
واحباؤه واصفياؤه • فاعلم وفقنا الله واياك ان
افعال الله تعالى كلها عدل وكلماته كلها جميعها صدق
لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لننظر كيف
تعملون • وليبلوكم ايكم احسن عملا • وليعلم الذين جاهدوا
منكم ويعلم الصبرين • ويعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلو اخباركم • فامتحانه اياهم بضروب المحن زيادة
في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسبابا لاستخراج
حالات الصبر والرضاء والشكر والتسليم والتوكل
والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتاكيدا لبصائرهم
في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة
لغيرهم وموعظة لسواهم ليتاسوا في البلاء بهم

ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر
ومحوا الهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم
ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم
اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضي ابو علي
الحافظ حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل
ابن خيرون قالوا حدثنا ابو يعلى البغدادي قال
حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا
ابو عيسى الترمذي حدثنا قتيبة حدثنا حماد
ابن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد
عن ابيه قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء
قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل
على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه
يمشي على الارض ما عليه خطيئة وكما قال تعالى
وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير الايات الثلث
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما يزال البلاء بالمؤمن
في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة
وعن انس رضي الله عنه عنه عليه السلام اذا اراد الله
بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله
بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة

وفي حديث

وفي حديث اخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه
وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله كان
بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما
روي عن لقمان انه قال يا بني الذهب والفضة يختبران
بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب
عليه السلام بيوسف عليه السلام كان سببه التفاته
في صلاته اليه ويوسف نائم محبة له وقيل بل اجتمع
يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوي وهما
يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه
وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار
ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء
اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه
من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يامر مناديا
ينادي على سطحه الا من كان مفطرا فليتغد عند ال يعقوب
وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها وروي
عن الليث ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته
على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب
فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه
ومحنة سليمن لما ذكرناه من نيته في كون الحق

في جنبة اصهاره او للعمل بالمعصية في داره ولا علم
عنده وهذه فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قالت عائشة ما رايت الوجع على احد
اشد منه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وعن عبد الله رايت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك لتوعك
وعكا شديدا قال اجل اني اوعك كما يوعك رجلان منكم
قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك
وفي حديث ابي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي عليك
من شدة حماك فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان النبي
ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى بالفقر
وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء وعن انس
رضي الله عنه عنه عليه السلام ان عظم الجزاء
مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن
رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط • وقد قال
المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم
يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروى هذا

عن عائشة وابي ومجاهد وقال ابو هريرة رضي الله
عنه عنه عليه السلام من يرد الله به خيرا يصب منه
وقال في رواية عائشة رضي الله عنها ما من مصيبة
تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة
يشاكها • وقال في رواية ابي سعيد ما يصيب المؤمن
من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم
حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه •
وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه ما من مسلم يصيبه
اذى الا حات الله عنه خطاياه كما تحت ورق الشجر
وحكمة اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم
وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف
قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم ويخف عليهم
مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم
والنفس لذلك وهذا خلاف موت الفجاءة والاخذ
كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين
والصعوبة والسهولة وقد قال عليه السلام مثل المؤمن
مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا
وفي رواية ابي هريرة من حيث اتتها الريح تكفئها
فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء

ومثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله
معناه ان المؤمن مرزء مصاب بالبلاء والامراض
راض بتصريفه بين اقدار الله منطاع لذلك لين الجانب
برضاه وقلة تسخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها
للريح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها
فاذا ازاح الله عن المؤمن رياح البلاء واعتدل صحيحا
كما اعتدل خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع
الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا
رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب
عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته
ونزعه لعادته بما تقدمه من الالام ومعرفة ما له فيها
من الاجر وتوطينه نفسه عن المصائب ورقتها وضعفها
بتوالي المرض او شدته والكافر بخلاف هذا معافا
في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى
اذا اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة واخذه بغتة
من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة
ومقاسات نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما
وعذابا ولعذاب الاخرة اشد كانجعاف الارزة
وكما قال تعالى . فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون

وكذلك

وكذلك عادة الله في اعدائه كما قال تعالى فكلا اخذنا
بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته
الصيحة الاية فنجأ جميعهم بالموت على حال عتو
وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا
ما كره السلف موت الفجاءة ومنه في حديث ابرهيم كانوا
يكرهون اخذة كاخذة الاسف اي الغضب يريد موت الفجاءة
وحكمة ثانية ان الامراض نذير الممات وبقدر شدتها
شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته
وعلم تعاهدها له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا
الكثيرة الانكاد فيكون قلبه معلقا بالمعاد
فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله تعالى
وقبل العباد ويؤدي الحقوق الى اهلها وينظر فيما
يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه او امر يعهده
وهذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم المغفور له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر قد طلب التنصل في مرضه
ممن كان له عليه مال او حق في بدن واقاد من نفسه وماله
وامكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل
وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله
وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل

أمته بعده اما في النص على الخلافة او الله اعلم بمراده
ثم رأى الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله
المؤمنين واوليائه المتقين وهذا كله يحرمه غالبا
الكفار لإملاء الله لهم ليزدادوا إثما وليستدرجهم
من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون إلا صيحة
واحدة تأخذهم وهم يخصمون. فلا يستطيعون توصية
ولا الى اهلهم يرجعون. ولذلك قال عليه السلام
في رجل مات فجأة سبحان الله كأنه على غضب المحروم
من حرم وصيته وقال موت الفجأة راحة للمؤمن
واخذة أسف للكافر او الفاجر وذلك لان الموت يأتي
المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان امره
عليه كيف ما جاء وافضى الى راحته من نصب الدنيا
واذاها كما قال عليه السلام مستريح ومستراح منه
ويأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد
ولا أهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة. بل تأتيهم
بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون
فكان الموت اشد شيء عليه وفراق الدنيا افظع امر
صدمه واكره شيء له ولهذا المعنى اشار عليه السلام
بقوله من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله

كره الله لقاءه القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام فيمن
تنقصه او سبه عليه السلام قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة
ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا
حرم الله اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل منتقصه
من المسلمين وسابه قال الله تعالى إن الذين يؤذون الله
ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا
مهينا والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى
وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما. وقال تعالى
في تحريم التعريض له يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا الآية
وذلك ان اليهود لعنهم الله كانوا يقولون راعنا يا محمد
اي ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة
يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم
وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها
الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل بل
لما فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع
لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار
بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه
الا برعايته لهم وهو عليه السلام واجب الرعاية بكل حال
هذا هو عليه السلام قد نهى عن التكني بكنيته وقال
سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية
عن اذاه اذ كان صلى الله تعالى عليه وسلم استجاب
لرجل قال يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا
فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتاذى باجابة دعوة غيره
لمن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزؤن ذريعة
الى اذاه والازراء به فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا
هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان
والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى اذاه بكل وجه
فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا مدة حياته واجازوه
بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث
مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور
والصواب ان شاء الله تعالى وان ذلك على طريق تعظيمه
وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم
ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله منع من ندائه
بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم

بعضا

290

بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله
وقد يدعونه بكنيته يا ابا القاسم بعضهم في بعض الاحوال
وقد روى انس رضي الله عنه عنه عليه السلام ما يدل
على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر
فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروى ان
عمر رضي الله عنه كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد
باسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حكاه ابو جعفر
الطبري وحكى محمد بن سعد انه نظر الى رجل اسمه
محمد ورجل يسبه ويقول فعل الله بك يا محمد وصنع
فقال عمر لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب لا ارى
محمدا عليه السلام يسب بك والله لا يدعى محمدا ما دمت
حيا وسماه عبد الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان يسمى
احد باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك وغير
اسماءهم وقال لا تسموا باسماء الانبياء عليهم السلام
ثم امسك والصواب جواز هذا كله بعده عليه
بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم
ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروى ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رضي الله
عنه وقد اخبر عليه السلام ان ذلك اسم المهدي

وكنيته وقد سمي به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت
ابن قيس وغير واحد وقال ما ضر احدكم ان يكون
في بيته محمد ومحمدان وثلثة وقد فصلت الكلام
في هذا القسم على بابين كما قدمناه

الباب الاول

في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب او نقص
من تعريض او نص اعلم وفقنا الله وإياك ان جميع من
سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او عابه او الحق به
نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله
او عرض به او شبهه بشيء على طريق السب له والازراء
عليه او التصغير لشانه او الغض منه او العيب له فهو
ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه
ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد
ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او
دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه
على طريق الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام
وهجر ومنكر من القول وزور او عيره بشيء مما جرى
من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية
الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء

والائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم
الى هلم جرا قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم
على ان من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقتل
وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق
وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل
توبته عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه
والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم لكنهم
قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك
وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة واصحابه فيمن تنقصه
صلى الله تعالى عليه وسلم او برئ منه او كذبه
وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا
وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد
او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى
ولا نعلم في استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الامة
وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار
بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي
الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه
قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله

تعالى عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد عليه جار
بعذاب الله له وحكمه عند الامة القتل ومن شك فى كفره
وعذابه كفر واحتج ابرهيم بن حسين بن خالد الفقيه
فى مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة بقوله
عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صاحبكم وقال
ابو سليمن الخطابى لا اعلم احدا من المسلمين اختلف
فى وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك
فى كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف
عن مالك فى كتاب ابن حبيب من سب النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم
فى العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل
وحكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره
وبره وفى المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا
ولم يستتب والامام مخير فى صلبه حيا او قتله
ومن رواية ابى المصعب وابن ابى اويس سمعنا مالكا يقول
من سب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او شتمه
او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب
وفى كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبى

صلى الله

صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم
او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال
اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف
وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبرى
مثله عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال
ان رداء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويروى زر النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال
بعض علمائنا اجمع العلماء على ان من دعى على نبى من الانبياء
بالويل او بشىء من المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى
ابو الحسن القابسى فيمن قال فى النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم الجمال يتيم ابى طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن ابى زيد
بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال
لهم تريدون تعرفون صفته هى فى صفة هذا المار فى خلقه
ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله
وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابى سليمن
صاحب سحنون من قال ان النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم كان اسود يقتل وقال فى رجل قيل له لا وحق رسول الله

فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا وذكر كلاما قبيحا
فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال أشد من كلامه الأول
ثم قال إنما أردت برسول الله العقرب فقال ابن أبي سليمن
للذي سأله اشهد عليه وأنا شريكك يريد في قتله
وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لأن ادعاءه التأويل
في لفظ صراح لا يقبل لأنه امتهان وهو غير معزر لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ولا موقر له فوجب إباحة دمه
وأفتى أبو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل أد واشك
إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال إن سألت أو جهلت
فقد جهل وسأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالقتل
وأفتى فقهاء الأندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي
وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وتسميته إياه أثناء مناظرته باليتيم
وختن حيدرة وزعمه أن زهده لم يكن قصدا ولو قدر
على الطيبات أكلها إلى أشباه هذا وأفتى فقهاء القيروان
وأصحاب سحنون بقتل إبرهيم الفزاري وكان شاعرا
متفننا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي
أبي العباس بن طالب للمناظرة ورفعت عليه أمور
منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وأنبيائه

ونبينا عليه السلام فأحضر له القاضي يحيى بن عمر
وغيره من الفقهاء وأمر بقتله وصلبه فطعن بسكين
وصلب منكسا ثم أنزل وأحرق بالنار وحكى
بعض المؤرخين أنه لما رفعت خشبته وزالت عنها الأيدي
استدارت وحولته عن القبلة فكان آية للجميع
وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر
صدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر
حديثا عنه عليه السلام قال لا يلغ الكلب في دم مسلم
وقال القاضي أبو عبد الله بن المرابط من قال إن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم هزم يستتاب فإن تاب
وإلا قتل لأنه تنقص إذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته
إذ هو على بصيرة من أمره ويقين من عصمته وقال
حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك وأصحابه أن من قال
فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل دون استتابة
وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان أن من قصد
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بأذى أو نقص معرضا
أو مصرحا وإن قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما
عده العلماء سبا أو تنقيصا يجب قتل قائله
لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم وإن اختلفوا

في حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد وكذلك
اقول حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو
او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة
لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمنه
او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل
وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك ويأتي ما يدل
عليه **فصل** في الحجة في ايجاب قتل من سبه او عابه
عليه السلام فمن القرآن لعنه تعالى لمؤذيه في الدنيا
والآخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه ولا خلاف في قتل من
سب الله وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر
وحكم الكافر القتل فقال ان الذين يؤذون الله
ورسوله الآية وقال في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته
في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا
اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم
ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن
قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله اي لعنهم
ولانه فرق بين اذاهما واذى المؤمنين وفي اذى المؤمنين
ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم مؤذي الله
ونبيه اشد من ذلك وهو القتل قال تعالى فلا وربك

لا يؤمنون

294

لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فسلب
اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه
ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر
والكافر يقتل وقال تعالى واذا جاؤك حيوك بما
لم يحيك به ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير
وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن
ثم قال تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم
وقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب
الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم
بقولكم في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واما
الاجماع فقد ذكرناه واما الآثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله
احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة
قال حدثنا ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيويه
حدثنا محمد بن نوح حدثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن
ابن زبالة حدثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى
عن ابيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن الحسين
ابن علي عن ابيه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

قال من سب نبيا من الانبياء فاقتلوه ومن سب اصحابي
فاضربوه وفي الحديث الصحيح امر النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وقوله من لكعب بن الاشرف
فانه قد اذى الله ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة
دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه
فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل
ابا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امره يوم الفتح
بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه
صلى الله تعالى عليه وسلم وفي حديث اخر ان رجلا كان
يسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فقال
خالد انا فبعثه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقتله وكذلك امر بقتل جماعة ممن كان يؤذيه
من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط
وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا
الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى
البزار عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط نادى
يا معاشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بكفرك وافترائك

على رسول الله

على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر
عبد الرزاق ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
سبه رجل فقال الزبير انا فبارزه فقتله الزبير
وروى ايضا ان امرأة كانت تسبه عليه السلام فقال
من يكفيني عدوتي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها
وروى ان رجلا كذب على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه وروى
ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فقال يا رسول الله سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا
فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وبلغ المهاجر بن ابي امية امير اليمن لابي بكر
رضي الله عنه ان امرأة هناك في الردة غنت بسب النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها
فبلغ ابا بكر ذلك فقال لولا ما فعلت لامرتك
بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه الحدود
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هجت امرأة من خطمة النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل
من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعمى كانت له ام ولد
تسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيزجرها
فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فاهدر دمها
وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند ابي بكر
الصديق رضي الله عنه فغضب على رجل من المسلمين
وحكى القاضي اسمعيل وغير واحد من الائمة في هذا الحديث
انه سب ابا بكر ورواه النسائي اتيت ابا بكر وقد اغلظ
لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني
اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر
ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة بهذا الحديث
على قتل من اغضب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بكل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر
ابن عبد العزيز رحمه الله على عامله بالكوفة
وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه
فكتب اليه عمر انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد
من الناس الا رجلا سب رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم

وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكا في رجل
شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر له ان
فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب مالك وقال
يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد نبيها من شتم
الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم جلد قال القاضي ابو الفضل كذا وقع
في هذه الحكاية ورواها غير واحد من اصحاب مالك
ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء
بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا
مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشهر بعلم او
ممن لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله
يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب
او يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقله لمالك على اصله
والا فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه ويدل
على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او
تنقصه عليه السلام فقد ظهرت علامة مرض قلبه
وبرهان سر طويته وكفره ولهذا ما حكم له كثير
من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك
والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين

والقول الآخر دليل على الكفر فيقتل حداً وإن لم يحكم
له بالكفر إلا أن يكون متمادياً على قوله غير منكر له
ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله إما صريح كفر كالتكذيب
ونحوه أو من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها
وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر
أيضاً فهذا كافر بلا خلاف قال تعالى في مثله يحلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم
قال أهل التفسير هي قولهم إن كان ما يقول محمد حقاً
لنحن شر من الحمير وقيل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد
إلا كقول القائل سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا إلى المدينة
ليخرجن الأعز منها الأذل وقد قيل إن قائل مثل هذا
إن كان مستتراً به أن حكمه حكم الزنديق يقتل ولأنه
قد غير دينه وقد قال عليه السلام من غير دينه فاضربوا
عنقه ولأن لحكم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في الحرمة مزية على أمته وساب الحر من أمته يحد
فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل
لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره. فصل
فإن قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اليهودي الذي قال السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل

الآخر

الآخر الذي قال له إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله
وقد تأذى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك
وقال قد أوذي موسى عليه السلام بأكثر من هذا فصبر
ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في أكثر الأحيان
فاعلم وفقنا الله وإياك أن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم كان أول الإسلام يستألف عليه الناس ويميل
قلوبهم إليه ويحبب إليهم الإيمان ويزينه في قلوبهم
ويداريهم ويقول لأصحابه إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا
منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا
ويقول لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه وكان
صلى الله تعالى عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين
ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من أذاهم ويصبر
على جفاهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان
يرفقهم بالعطاء والإحسان وبذلك أمره الله تعالى
فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم
فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين وقال تعالى
ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة
كأنه ولي حميم • وذلك لحاجة الناس للتأليف
أول الإسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر وأظهر الله

على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر أمره كفعله
بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن أمكنه
قتله غيلة من يهود وغيرهم أو غلبة ممن لم ينظمه
قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الإيمان
به ممن كان يؤذيه كابن الأشرف وأبي رافع والنضر
وعقبة وكذلك ندد دم جماعة سواهم ككعب بن زهير
وابن الزبعرى وغيرهما ممن آذاه حتى ألقوا بأيديهم
ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه
عليه السلام على الظاهر وأكثر تلك الكلمات إنما
كان يقولها القائل منهم خفية ومع أمثاله ويحلفون
عليها إذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا وكان مع هذا
يطمع في فيئتهم ورجوعهم إلى الإسلام وتوبتهم
فيصبر عليه السلام على هناتهم وجفوتهم كما
صبر أولو العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا
كما فاء ظاهرا وأخلص سرا كما أخلص جهرا ونفع الله
بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء وأعوان
وحماة وأنصار كما جاءت به الأخبار وبهذا أجاب
بعض أئمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال وقال

لعله

لعله لم يثبت عنده عليه السلام من أقوالهم ما وقع
وإنما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة
في هذا الباب من صبي أو عبد أو امرأة والدماء لا تستباح
إلا بعدلين وعلى هذا يحمل قول اليهود في السلام وأنهم
لووا به ألسنتهم ولم يبينوه ألا ترى كيف نبهت عليه
عائشة رضي الله عنها ولو كان صرح بذلك لم تنفرد
بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
أصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم
في ذلك ليا بألسنتهم وطعنا في الدين فقال إن اليهود
إذا سلم أحدهم فإنما يقول السام عليكم فقولوا عليكم
وكذلك قال بعض أصحابنا البغداديون إن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم
ولم يأت أنه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم
وأيضا فإن الأمر كان سرا وباطنا وظاهرهم الإسلام
والإيمان وإن كان من أهل الذمة بالعهد والجوار
والناس قريب عهدهم بالإسلام ولم يتميز بعد الخبيث
من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم
بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين
وأنصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله

تعالى عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه
بما أسروا في أنفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب
الشارد وأرجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم والدخول في الإسلام غير واحد
ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم أن القتل إنما كان
للعداوة وطلب أخذ الترة وقد رأيت ما حررته
منسوبا إلى مالك بن أنس رحمه الله ولهذا قال عليه
السلام لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه
وقال أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا
بخلاف إجراء الأحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا
والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها
وقد قال محمد بن المواز لو أظهر المنافقون نفاقهم
لقتلهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقاله
القاضي أبو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله
تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم
إلى قوله تبديلا قال معناه إذا أظهروا النفاق
وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن أسلم أن
قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
نسخت ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه

قسمة ما أريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة
له وإنما رآها من وجه الغلطة في الرأي وأمور الدنيا
والاجتهاد في مصالح أهلها فلم ير ذلك سبا ورأى أنه
من الأذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك
لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود إذا قالوا السام عليكم
ليس فيه صريح سب ولا دعاء إلا بما لا بد منه من الموت
الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل المراد تسأمون
دينكم والسام والسآمة الملال وهذا دعاء على سآمة الدين
ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث
باب إذا عرض الذمي أو غيره بسب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب
وإنما هو تعريض بالأذى قال القاضي أبو الفضل رحمه الله
قد قدمنا أن الأذى والسب في حقه عليه السلام
سواء وقال القاضي أبو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث
ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث هل كان
هذا اليهودي من أهل العهد والذمة أو الحرب
ولا يترك موجب الأدلة للأمر المحتمل والأولى في ذلك
كله والأظهر من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف

والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولهذا ترجم البخاري
على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج
للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه
عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه السلام
على سحره وسمه وهو اعظم من سبه الى ان نصره الله عليهم
واذن له في قتل من عينه منهم وانزلهم من صياصيهم
وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء
واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم
وايدي المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة
والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين واجلاهم
من جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم
لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى
فان قلت قد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله
عنها انه عليه السلام ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى
اليه قط الا ان ينتهك حرمة الله فينتقم الله فاعلم
ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او آذاه او كذبه
فان هذه من حرمات الله انتقم لها وانما يكون ما
لا ينتقم له فيما يتعلق بسوء ادب او معاملة من القول
والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن

مما جبلت عليه الاعراب من الجفاء والجهل او جبل عليه
البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي بردائه حتى اثر في عنقه
وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الاعرابي شراءه منه
فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجيه
عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه وقد قال
بعض علمائنا ان اذى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره واما غيره من الناس
فيجوز بفعل مباح ولا يجوز للانسان فعله وان تأذى به
غيره واحتج بعموم قوله تعالى ان الذين يؤذون الله
وبقوله عليه السلام انها بضعة مني يؤذيني ما آذاها
الا واني لا احرم ما احل الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله
وابنة عدو الله عند رجل ابدا او يكون هذا مما
آذاه به كافر رجا بعد ذلك اسلامه كعفوه عن اليهودي
الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية
التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه
من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم
رجاء استئلافهم واستئلاف غيرهم بهم كما قررناه
قبل وبالله تعالى التوفيق فصل تقدم الكلام
في قتل القاصد لسبه والازراء به وغمصه باي وجه كان

من ممكن او محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه
الوجه الثانى لاحق به فى البيان والجلاء وهو
ان يقول القائل لما قال فى جهته عليه السلام غير قاصد
للسب والازراء ولا معتقد له ولكنه تكلم فى جهته
صلى الله تعالى عليه وسلم بكلمة الكفر من لعنه
او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه او
نفى ما يجب له مما هو فى حقه عليه السلام نقيصة
مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة
فى تبليغ الرسالة او فى حكم بين الناس او يغض من مرتبته
او شرف نسبه او وفور علمه او زهده او تكذيب بما اشتهر
من امور اخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عنه
عن قصد لرد خبره او يأتى بسفه من القول او قبيح من الكلام
ونوع من السب فى جهته وان ظهر بدليل حاله انه
لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته
على ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة
وضبط للسانه وعجرفة وتهور فى كلامه فحكم هذا الوجه
حكم الوجه الاول دون تعلثم اذ لا يعذر احد فى الكفر
بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشىء مما ذكرنا
اذ كان عقله فى فطرته سليما الا من اكره وقلبه مطمئن

بالإيمان وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم فى بقية
الزهد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الذى قدمناه وقال محمد بن سحنون فى المأسور يسب النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم فى ايدى العدو يقتل
الا ان يعلم تنصره او اكراهه وعن ابى محمد بن ابى زيد
لا يعذر احد بدعوى زلل اللسان فى مثل هذا وافتى
ابو الحسن القابسى فيمن شتم النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم فى سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا
ويفعله فى صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر
كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله
على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله
به واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه
وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص
والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله
للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهل انتم الا عبيد
لابى فعرف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه ثمل
فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن
فى جناياها اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه
كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون

فصل الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله
او اتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به
صلى الله تعالى عليه وسلم انتقل بقوله ذلك الى دين
اخر غير ملته ام لا فهو كافر باجماع يجب قتله
ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه
بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول
الاخر لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب
او غيره وان كان متسترا بذلك فحكمه حكم الزنديق
لا يسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة
واصحابه من برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال الدم
الا ان يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا
ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قران وانما
هو شيء يقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وانكره من المسلمين فهو
بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه انه كالمرتد
يستتاب. وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه
قاله سحنون وقال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا
قال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية

على الله

302

على الله تعالى. وقال اشهب في يهودي تنبأ او زعم
انه ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب
ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه مكذب
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي
مفتر على الله في دعواه عليه الرسالة والنبوة. وقال
محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان حكمه عند الامة
القتل. وقال احمد بن ابي سليمن صاحب سحنون من قال
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اسود قتل
لم يكن عليه السلام باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد
قال ولو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت
ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع
تبديل صفته ومواضعه كفر ونفي والمظهر له
كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل
دون استتابة **فصل** الوجه الرابع ان ياتي من الكلام
بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد
به من سلامته من المكروه او شره فههنا متردد النظر

وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة
استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى
من حى عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل
ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة
لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا فى رجل اغضبه
غريمه فقال صل على النبى محمد فقال له الطالب
لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او شتم الملئكة الذين
يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب
لانه لم يكن مضمر الشتم وقال ابو اسحق البرقى واصبغ
ابن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا
نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب فى شتم النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده
ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم او شتم الملئكة صلوات الله عليهم
ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده
الناس غير هؤلاء لاجل قول الآخر له صل على النبى محمد
فحمل قوله وسبه لمن يصلى عليه الآن لاجل امر الآخر له

بهذا

بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق
لعلة صاحبيه وذهب الحارث بن مسكين القاضى وغيره
فى مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن القابسى
فى قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا
مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى
يستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده
هل اراد اصحاب الفنادق الآن فمعلوم انه ليس فيهم
نبى مرسل فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه
العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين
والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل
من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر
بين وما ترد اليه التاويلات لا بد من امعان النظر فيه
هذا معنى كلامه وحكى عن ابى محمد بن ابى زيد رحمه الله
فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بنى اسرائيل ولعن الله
بنى آدم وذكر انه لم يرد الانبياء وانما اردت الظالمين
منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك
افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من
حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن الله من جاء به
انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الادب

الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله تعالى
ولا سب رسوله وانما لعن من حرمه من الناس على نحو
فتوى سحنون واصحابه في المسئلة المتقدمة ومثل هذا
ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض
يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول
ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد من ابائه واجداده
جماعة من الانبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع الى ادم
عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله
منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد سب من في ابائه
من الانبياء على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا
لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين
منهم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم قولا قبيحا في ابائه او من نسله او ولده على علم منه
انه من ذرية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم تكن
قرينة في المسئلتين تقتضي تخصيص بعض ابائه واخراج النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ممن سبه منهم وقد رايت
لابي موسى بن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله الى ادم
انه ان ثبت ذلك عليه قتل قال القاضي رحمه الله
وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه

بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الاخر الانبياء يتهمون
فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحق بن جعفر يرى قتله
لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور
يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا
عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله
ابن الحجاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده
واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به
عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم
اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله بن عيسى
ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم هاتر رجلا
اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال قم يا محمد
فانكر الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس
فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب
بدينه فلما لم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه
بالسوط واطلقه **فصل** الوجه الخامس ان لا يقصد
نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه
او يستشهد ببعض احواله عليه السلام الجائزة عليه
في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره
او على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته

ليس على طريق التأسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع
لنفسه أو لغيره أو سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه
عليه السلام أو قصد الهزل والتنذير بقوله كقول القائل
إن قيل في السوء فقد قيل في النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وإن كذبت فقد كذب الأنبياء وإن أذنبت فقد أذنبوا
أو أنا أسلم من ألسنة الناس ولم يسلم منهم أنبياء الله ورسله
أو قد صبرت كما صبر أولو العزم من الرسل أو كصبر أيوب أو
قد صبر نبي الله من عداه وحلم على أكثر مما صبرت وكقول المتنبي
أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود ونحوه
من أشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام
كقول المعري كنت موسى وافته بنت شعيب غير أن ليس فيكما
من فقير على أن آخر البيت شديد عند تدبره وداخل
في باب الإزراء والتحقير بالنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله
لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد من أبيه بديل
هو مثله في الفضل إلا أنه لم يأته برسالة جبريل
فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيه غير النبي
في فضله بالنبي والعجز محتمل لوجهين أحدهما أن
هذه الفضيلة نقصت الممدوح والآخر استغناؤه عنها

وهذه

وهذه أشد ونحو منه قول الآخر وإذا ما رفعت راياته
صفقت بين جناحي جبريل وقول الآخر من أهل العصر
فر من الخلد واستجار بنا فصبر الله قلب رضوان
وكقول حسان المصيصي من شعراء الأندلس في محمد بن عباد
المعروف بالمعتمد ووزيره أبي بكر بن زيدون كان أبا بكر
أبو بكر الرضا وحسان حسان وأنت محمد إلى مثل هذا وإنما
كثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف أمثلتها
ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك
واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم
بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم
ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء
وأشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الأندلسي
وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما
إلى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد أجبنا
عنه وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي سقنا
أمثلته فإن هذه كلها وإن لم تتضمن سبا ولا أضافت
إلى الملائكة والأنبياء نقصا ولست أعني عجزي بيتي المعري
ولا قصد قائلها إزراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم
الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة

حتى شبه من شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء
منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اعلاء في وصف
لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره
والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت
عنده فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب والسجن
وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به
ومالوف عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه او ندمه
على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا
ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله فان يك
باقي سحر فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب
وقال له يا ابن اللخناء انت المستهزئ بعصا موسى
وامر باخراجه من عسكره من ليلته وذكر القتيبي
ان مما اخذ عليه ايضا وكفره به او قارب قوله في محمد
الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخلقا
كما قد الشراكان وقد انكروا عليه ايضا قوله كيف
لا يدنيك من امل من رسول الله صلى الله من نفره لان
حق الرسول وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف
اليه ولا يضاف الى احد فالحكم في امثال هذا ما بسطناه

في طريق الفتيا على هذا المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا
مالك بن انس رحمه الله واصحابه ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم
عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر
وقد رعى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الغنم فقال
مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في غير موضعه ارى ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب
اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطات الانبياء قبلنا وقال
عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا
فقال كاتب له قد كان ابو النبي كافرا فقال جعلت هذا
مثلا فعزله وقال لا تكتب لي ابدا وقد كره سحنون ان يصلى
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند التعجب
الا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما
كما امرنا الله وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح
كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان
فقال اي شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما
ملكان فما الذي اراد اروع دخل عليه حين راه من وجهه
ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو
شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد
عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما السب

واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن نكال
للسفهاء قال واما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي
ذكره عندما انكر من عبوس لآخر الا ان يكون المعبس له
يد فيرهب بعبسه فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا
في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه
في فعله فيقول كانه لله يغضب غضب مالك فيكون اخف
وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان اثنى
على العبوس بعبسه واحتج بصفة مالك كان اشد
ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد
ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شاب معروف بالخير
قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فانك امي فقال الشاب
اليس كان النبي اميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس
واشفق الشاب مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن
اما اطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده
بصفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكون النبي اميا
اية له وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته
احتجاجه بصفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكنه
اذا استغفر الله وتاب واعترف ولجأ الى الله فيترك
لان قوله لا ينتهي الى حد القتل وما طريقه الادب

فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت
ايضا مسئلة استفتى فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا
القاضي ابا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه اخر
بشيء فقال انما تريد نقصي بقولك وانا بشر وجميع البشر
يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب
وكان بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله **فصل**
الوجه السادس ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره
واثرا له عن سواه فهذا ينظر في صوره حكايته وقرينة مقالته
ويختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة وجوه الوجوب
والندب والكراهة والتحريم فان كان اخبر به
على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار
والاعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما
ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه في كتاب
او في مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا
بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب
حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان القائل
لذلك ممن تصدى لان يؤخذ عنه العلم او رواية الحديث
او يقطع بحكمه او بشهادته او فتياه في الحقوق وجب

على سامعه الإشادة بما سمع منه والتنفير للناس
عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه
ذلك من أئمة المسلمين إنكاره وبيان كفره وفساد قوله
لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين
وكذلك إن كان ممن يعظ العامة أو يؤدب الصبيان
فإن من هذه سريرته لا يؤمن على إلقاء مثل ذلك في قلوبهم
فيتأكد في هؤلاء الإيجاب لحق النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ولحق شريعته وإن لم يكن القائل بهذه السبيل
فالقيام لحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجب
وحماية عرضه متعين ونصرته عن الأذى حيا وميتا
مستحق على كل مؤمن لكنه إذا قام بهذا من ظهر به الحق
وفصلت به القضية وبان به الأمر سقط عن الباقي الفرض
وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة عليه وعضد التحذير
منه وقد أجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث
فكيف بمثل هذا وقد سئل أبو محمد بن أبي زيد عن الشاهد
يسمع مثل هذا في حق الله تعالى أيسعه أن لا يؤدي شهادته
قال إن رجا نفاذ الحكم بشهادته فيشهد وكذلك إن علم
أن الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والأدب
فليشهد ويلزمه ذلك . وأما الإباحة لحكاية قوله

لغير هذين المقصدين فلا أرى لهما مدخلا في الباب
فليس التفكه بعرض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
والتمضمض بسوء ذكره لأحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض
شرعي بمباح وأما الأغراض المتقدمة فمتردد
بين الإيجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى
مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه
على وجه الإنكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد
عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه
وكذلك وقع من أمثاله في أحاديث النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة وأجمع السلف
والخلف من أئمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة
والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس
وينقضوا شبهها عليهم وإن كان ورد لأحمد بن حنبل
إنكار لبعض هذا على الحارث بن أسد فقد صنع أحمد
مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق
هذه الوجوه السائغة الحكاية عنها فأما ذكرها
على غير هذا من حكاية سبه والإزراء بمنصبه
على وجه الحكايات والأسمار والطرف وأحاديث الناس
ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان

ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني
فكل هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع والعقوبة
من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد او معرفة
بمقدار ما حكاه او لم تكن عادته او لم يكن الكلام
من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه
واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة اليه
وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه
من البشاعة حيث هو كان الادب اشد وقد حكي ان
رجلا سأل مالكا رحمه الله عمن يقول القران مخلوق
فقال مالك هو كافر فاقتلوه فقال انما حكيته
عن غيري فقال مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك
رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل انه
لم ينفذ قتله فان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه
اختلقه ونسبه الى غيره لو كانت تلك عادة له
او اظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله
والاستخفاف له والتحفظ لمثله وطلبه ورواية
اشعار هجوه عليه السلام وسبه فحكم هذا حكم الساب
نفسه يؤاخذ بقوله ولا ينفعه نسبته الى غيره فيبادر
بقتله ويعجل الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القاسم

ابن سلام

ابن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من الف
في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكتابه وتركه متى وجد
دون محو ورحم الله اسلافنا المتحرزين لدينهم فقد
اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله
وتركوا روايته الا اشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة
على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله من قائلها واخذه
المفتري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام
رحمه الله قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به
من اهاجي اشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو
بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد
بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد المرسلين
صلى الله تعالى عليه وسلم

فصل

الوجه السابع
ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
او يختلف في جوازه عليه وما يطرأ من الامور البشرية
ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر
في ذات الله على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له
ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه

ومر عليه من معاناة عيشه كل ذلك على طريق الرواية
ومذاكرة العلم ومعرفة ما صح منه العصمة للأنبياء
وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة
إذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا إزراء ولا استخفاف
لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب أن يكون
الكلام فيه مع أهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم
مقاصده ويحققون فوائده ويجنب ذلك من عساه
لا يفقهه أو يخشى به فتنته فقد كره بعض السلف
تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك
القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وإدراكهن
فقد قال عليه السلام مخبرا عن نفسه باستئجاره
لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي إلا وقد
رعى الغنم وأخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام
وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه
بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت
عادة جميع العرب نعم في ذلك للأنبياء حكمة بالغة
وتدريج لله لهم إلى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة أممهم
من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الأزل ومتقدم العلم
وكذلك قد ذكر الله يتمه وعيلته على طريق المنة عليه

والتعريف

والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله
والخبر عن مبتدائه والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته
عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته
وصحة دعوته إذ أظهره الله بعد هذا على صناديد العرب
ومن ناواه من أشرافهم شيئا فشيئا ونمى أمره حتى قهرهم
وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الأمم
غيرهم بإظهار الله تعالى له وتأييده بنصره وبالمؤمنين
وألف بين قلوبهم وإمداده بالملائكة المسومين ولو كان
ابن ملك أو ذا أشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال
أن ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا هرقل
حين سأل أبا سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال
ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك أبيه وإذا اليتم
من صفته وإحدى علاماته في الكتب المتقدمة وأخبار الأمم
السالفة وكذلك وقع ذكره في كتاب أرميا وبهذا
وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لأبي طالب
وكذلك إذا وصف بأنه أمي كما وصفه الله به فهي مدحة
له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته إذ معجزته العظمى
من القرآن العظيم إنما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم
مع ما منح به صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل به

من ذلك كما قدمناه في القسم الأول ووجود مثل ذلك
من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب
ومنتهى العبر ومعجزة للبشر وليس في ذلك نقيصة
إذ المطلوب من الكتاب والقراءة المعرفة وإنما هي آلة لها
وواسطة موصلة لها غير مرادة في نفسها فإذا حصلت
الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والأمية
في غيره نقيصة لأنها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من
باين أمره صلى الله تعالى عليه وسلم من أمر غيره وجعل
شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه
هذا شق قلبه وإخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه
وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته
وفنائه وهلم جرا إلى سائر ما روي من أخباره وسيره وتقلله
من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته
نفسه في أموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا
وتسوية بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء أمورها
وتقلب أحوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما
ذكرناه فمن أورد شيئا منها مورده وقصد بها مقصده كان
حسنا ومن أورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك
سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد

من أخباره وأخبار سائر الأنبياء عليهم السلام في الأحاديث
مما في ظاهره إشكال تقتضي أمورا لا تليق بهم بحال
وتحتاج إلى تأويل وتردد احتمال ولا يجب أن يتحدث
منها إلا بالصحيح ولا يروى منها إلا المعلوم الثابت
ورحم الله مالكا فقد كره التحدث بمثل ذلك من الأحاديث
الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس
إلى التحدث بمثل هذا فقيل له إن ابن عجلان يحدث بها
فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه
على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها فأكثرها ليس
تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة
أنهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم أوردها على قوم عرب يفهمون
كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه
واستعارته وبليغه وإيجازه فلم تكن في حقهم مشكلة
ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الأمية فلا يكاد
يفهم من مقاصد العرب إلا نصها وصريحها ولا يتحقق
إشارتها إلى غرض الإيجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها
فتفرقوا في تأويلها شذر مذر فمنهم من آمن به ومنهم من
كفر فأما ما لا يصح من هذه الأحاديث فواجب أن لا يذكر منها

شيء في حق الله تعالى ولا في حق انبيائه ولا يتحدث بها
ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها
وترك الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها
ضعيفة المعاني واهية الاسناد وقد انكر الاشياخ
على ابي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على احاديث
ضعيفة موضوعة لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب
الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه
عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود بالكلام
على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها
وطرحها اكشف للبس واشفى للنفس **فصل** ومما يجب
على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل
قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه
عند ذكره عليه السلام وذكر تلك الاحوال الواجب
من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر
عليه علامات الادب عند ذكره عليه السلام فاذا ذكر
ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض
والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته واذا اخذ

في ابواب العصمة وتكلم في مجاري اعماله واقواله عليه السلام
تحرى احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب
بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل
والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال هل يجوز
عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا
او غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب
جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم
الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء
حتى يوحى اليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ وبشاعته
واذا تكلم في الافعال قال هل تجوز منه المخالفة
في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة الصغائر فهو اولى
وادب من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا
من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه السلام
وما يجب له من تعزير واعظام وقد رايت بعض العلماء
لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم استصوب عبارته فيه
ووجدت بعض الجائرين قوله لاجل ترك تحفظه
في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر
قائله واذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا في ادابهم
وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه

عليه السلام أوجب والتزامه آكد فجودة العبارة
يقبح الشيء أو تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم
الأمر أو يهونه ولهذا قال عليه السلام إن من البيان
لسحراً فأما ما أورده المتكلم على جهة النفي عنه
والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه
كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا إتيان الكبائر بوجه
ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره
وتعظيمه وتعزيزه عند ذكره مجرداً فكيف عند ذكر مثل هذا
وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره
عليه السلام كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم
يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن حكى الله فيها
مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب فكان
يخفض صوته إعظاماً لربه وإجلالاً له وإشفاقاً من التشبه
بمن كفر به

الباب الثاني في حكم سابه وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله قد قدمنا ما هو سب وأذى
في حقه عليه السلام وذكرنا إجماع العلماء على قتل فاعل ذلك
وقائله أو تخيير الإمام في قتله أو صلبه على ما ذكرناه
وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم أن مشهور مذهب مالك

وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حداً
لا كفراً إن أظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم
توبته ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه
قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء
كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة
على قوله أو جاء تائباً من قبل نفسه لأنه حد وجب
لا تسقطه التوبة كسائر الحدود قال الشيخ أبو الحسن
القابسي رحمه الله إذا أقر بالسب وتاب منه وأظهر
التوبة قتل بالسب إذ هو حده وقال أبو محمد بن أبي زيد
مثله وأما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه •
وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل
وكذلك قد اختلف في الزنديق إذ جاء تائباً فحكى القاضي
أبو الحسن بن القطان في ذلك قولين قال من شيوخنا من
قال أقتله بإقراره لأنه كان يقدر على ستر نفسه فلما
اعترف خفنا أنه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم
من قال أقبل توبته لأني أستدل على صحتها بمجيئه تائباً
فكأننا وقفنا على باطنه بخلاف من أسرته البينة •
قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه وهذا قول أصبغ

ومسئلة ساب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اقوى
لا يتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته بسببه
لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين والزنديق
اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث واسحق
واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف
فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه يستتاب قال محمد بن سحنون
ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه السلام
لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا
القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر
الى ظاهر قال القاضي ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته
والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول
باستتابته ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بشر
والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله بنبوته
والباري تعالى منزه عن جميع المعائب قطعا وليس
من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه السلام
كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد
به المرتد لا حق فيه لغيره من الادميين فقبلت توبته

ومن سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تعلق فيه حق
للادمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف
فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف ايضا
فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة
وغيرهما ولم يقتل ساب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به
وذلك لا تسقطه التوبة قال القاضي ابو الفضل يريد
والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن
بمعنى الازراء والاستخفاف او لان بتوبته
واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله
اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وقال ابو عمران القاضي
من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد
عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب من حقوق الادميين
التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هؤلاء مبني
على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل
واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه
على ذلك ممن ذكرناه وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه
ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى قتل فحكم
له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر

واظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره
ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وانما نقول ذلك
مع فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه به واظهاره الاقلاع
والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه
في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله
من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق
اذا ظهر عليه وانكر او تاب فان قيل فكيف يثبتون
عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه
بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له
حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره
بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد عليه به او زعمه
ان ذلك منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم
عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص
وان لم تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلاة • واما
من علم منه انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره
بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره
ونحوه فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا
لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره
وامره بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره

وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم
عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله
وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذا التفصيلات
خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج
عليها واجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها
تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى فصل اذا قلنا
بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف
في توبة المرتد اذ لا فرق وقد اختلف السلف في وجوبها
وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد
يستتاب • وحكى ابن القصار انه اجماع من الصحابة
على تصويب قول عمر رضي الله عنه في الاستتابة
ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود
رضي الله عنهم وبه قال عطاء بن ابي رباح والنخعي
والثوري ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد
واسحق واصحاب الرأي وذهب طاوس وعبيد بن عمير
والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله
عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره عن معاذ وانكره
سحنون عنه وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو
قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن

لا ندرأ القتل عنه لقوله عليه السلام من بدل دينه
فاقتلوه وحكى ايضا عن عطاء انه ان كان ممن ولد
في الاسلام لم يستتب ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء
على ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء وروي عن علي
رضي الله عنه لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء
وقتادة وروي عن ابن عباس لا تقتل النساء في الردة
وبه قال ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى
في ذلك سواء • واما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر
انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه
عن عمر وهو احد قولي الشافعي وقول احمد واسحق واستحسنه
مالك وقال لا ياتي الاستظهار الا بخير وليس عليه
جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد
في الاستيناء ثلاثا وقال مالك ايضا الذي اخذ به في المرتد
قول عمر يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب
والا قتل • وقال ابو الحسن بن القصار في تاخيره ثلاثا
روايتان عن مالك هل ذلك واجب او مستحب واستحسن
الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب الرأي وروي
عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب امرأة فلم تتب
فقتلها • وقال الشافعي مرة ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه

المزني

المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلث مرات
فان ابى قتل وروي عن علي يستتاب شهرين وقال النخعي
يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته وحكى
ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلث مرات
في ثلاثة ايام او ثلث جمع كل يوم او جمعة مرة
وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام
ثلاث مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد
او يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك
ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام
بما لا يضره • وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل
ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي
يوعظ في تلك الايام ويذكر في الجنة ويخوف بالنار
قال اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس
او وحده اذا استوثق منه سواء ويوقف ماله اذا خيف
ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك
يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا
قال ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع وهو
قول الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم قال اسحق يقتل

في الرابعة وقال اصحاب الرأي ان لم يتب في الرابعة قتل
دون استتابة فان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج
من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر
لا نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع
وهو مذهب مالك والشافعي والكوفي فصل قال القاضي
ابو الفضل هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته
من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة
عليه انما شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت
قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب
على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط
عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة
عليها وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله
من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي امره
اذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود
الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام
لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب
عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به
لاشكال وعائق اقتضاه امره وحالات الشدة في نكاله
تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك

والاوزاعي انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية
وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة
عليه قاله سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل
احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر
توبته • وقال القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره
القتل فعاق عائق اشكل في القتل لم ينبغ ان تطلق من السجن
ويطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل
عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره يشد
في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب
عليه وقال في مسألة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء
الا بالامر الواضح وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء
ويعاقب عقوبة فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين
فاثبت من عداوتهما او جرحهما ما اسقطهما عنه
ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم
عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك
ويكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما بعداوة
فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن
بصدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع الاجتهاد

والله ولي الإرشاد فصل هذا حكم المسلم فأما الذمي
إذا صرح بسبه أو عرض أو استخف بقدره أو وصفه
بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله
إن لم يسلم لأنا لم نعطه الذمة أو العهد على هذا وهو
قول عامة العلماء إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما
من أهل الكوفة فإنهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك
أعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله
بقوله تعالى وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم
وطعنوا في دينكم الآية ويستدل أيضا بقتل النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم لابن الأشرف وأشباهه ولأنا لم نعاهدهم
ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا أن نفعل ذلك معهم
فإذا أتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا
ذمتهم وصاروا أهل حرب يقتلون لكفرهم وأيضا فإن
ذمتهم لا تسقط حدود الإسلام عنهم من القطع في سرقة أموالهم
والقتل لمن قتلوه منهم وإن كان ذلك حلالا عندهم
فكذلك سبهم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقتلون
به ووردت لأصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف إذا ذكره الذمي
بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن قاسم وابن سحنون
بعد وحكى أبو المصعب الخلاف فيها عن أصحابه المدنيين

واختلفوا

واختلفوا إذا سبه ثم أسلم فقيل يسقط إسلامه قتله
لأن الإسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم إذا سبه ثم
تاب لأنا نعلم باطنة الكافر في بغضه له وتنقصه له
بقلبه لكنا منعناه من إظهاره فلم يزدنا ما أظهره إلا مخالفة
للأمر ونقضا للعهد فإذا رجع عن دينه الأول إلى الإسلام
سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه إذ كان ظننا بباطنه
حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل بعد رجوعه
ولا استأمنا إلى باطنه إذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه
من الأحكام باقية عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط
إسلام الذمي الساب قتله لأنه حق للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده
إلحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه إلى الإسلام
بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين
من قبل إسلامه من قتل وقذف وإذا كنا لا نقبل توبة المسلم
فأن لا نقبل توبة الكافر أولى وقال مالك في كتاب ابن حبيب
والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم
وأصبغ فيمن شتم نبيا من أهل الذمة أو أحدا من الأنبياء
عليهم السلام قتل إلا أن يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية

وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال له
اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة وفي كتاب محمد
اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب
وروي لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن وهب
عن ابن عمر ان راهبا تناول النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم
في ذمي قال ان محمدا لم يرسل الينا وانما ارسل اليكم
وانما نبينا موسى او عيسى ونحوه هذا لا شيء عليهم لان الله
اقرهم على مثله واما ان سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل
او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله او نحو هذا
فيقتل قال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير
من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح او
سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك
يعطيكم الله ففي هذا الادب الموجع والسجن الطويل قال
اما ان شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شتما يعرف
فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل
يستتاب قال ابن القاسم ومحمد قوله عندي ان اسلم طائعا
وقال سحنون في سؤالات سليمن بن سالم في اليهودي يقول

للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة
مع السجن الطويل وفي النوادر من رواية سحنون
عنه من شتم الانبياء من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي كفروا به ضربت عنقه الا ان يسلم
وقال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته في سب النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه
قيل لانا نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا
واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان
من دينه استحلاله فكذلك اظهاره لسب نبينا قال
سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم
على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل كذلك ينتقض
عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن
الاسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة
قال القاضي ابو الفضل ما ذكره ابن سحنون عن نفسه
وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم
فيه مما به كفروا فتأمله ويدل على انه خلاف ما روي
عن المدنيين في ذلك ما حكى ابو المصعب الزهري قال
اتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد
فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته او عاش يوما

وليلة وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته
الكلاب . وسئل ابو المصعب عن نصراني قال عيسى
خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القاسم سألنا
مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد
يخبركم انه في الجنة ماله لم ينفع نفسه اذ كانت
الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس
قال مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد كدت
ان لا اتكلم فيها ثم رايت انه لا يسعني الصمت قال
ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من اليهود والنصارى فارى للامام ان يحرقه
بالنار وان شاء قتله ثم حرق جثته وان شاء احرقه
بالنار حيا اذا تهافتوا في سبه ولقد كتب الى مالك
من مصر وذكر مسئلة ابن القاسم المتقدمة قال فامرني
مالك فكتبت بان يقتل وتضرب عنقه فكتبت ثم
قلت يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال
انه لحقيق بذلك وما اولاه به فكتبته بيدي
بين يديه فما انكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك
فقتل وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة
في جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية

استهلت

استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى لله وتكذيب محمد
في النبوة وبقبول الاسلام منها ودرء القتل عنها به
وقال غير واحد من المتاخرين منهم القابسي وابن الكاتب
وقال ابو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب الله تعالى
ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي
ابو محمد في الذمي يسب روايتين في درء القتل عنه
باسلامه . وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه
من حقوق العباد ولا يسقطه عن الذمي اسلامه
وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله فاما حد القذف
فحق للعباد كان ذلك لنبي او غيره فاوجب على الذمي
اذا قذف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم اسلم
حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف
في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو القتل
لزيادة حرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره
ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين فتأمله

فصل في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وغسله والصلاة عليه

اختلف العلماء
في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فذهب سحنون الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق
وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستترا
بذلك وان كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين
ويقتل على كل حال ولا يستتاب. قال ابو الحسن القابسي
ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما اظهر
من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث
في شيء وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل
اذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام
ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل
على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى
ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار
وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن
الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو
مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق
يتمادى على قوله ومثله لابن القاسم في العتبية ولجماعة
من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن اعلن كفره
مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا ترثه ورثته
من المسلمين ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا تجوز
وصاياه ولا عتقه وقال اصبغ قتل على ذلك او مات عليه

وقال

وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف في ميراث الزنديق الذي
يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف
انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات
ولم تعدل عليه بينة او لم تقبل انه يصلى عليه وروى
اصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم او اعلن دينا مما يفارق
به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان
ميراث المرتد للمسلمين ولا ترثه ورثته ربيعة والشافعي
وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف فيه عن احمد وقال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابن المسيب
والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي
والليث واسحق وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين
وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه في الارتداد
فللمسلمين وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه حسن بين
وهو على رأي اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما
على قولي مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته
من المسلمين قامت عليه بينة بذلك فانكرها او اعترف
بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد
من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته وحكمه

حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية
وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه
وقال به ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة
وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن القاسم في العتبية
الى انه ان اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث
وان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كل من
اسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل
ابو القاسم ابن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون
فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه
لا توارث بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه
العهد هذا معنى قوله واختصاره

الباب الثالث

في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبياءه وكتبه
وآل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وازواجه وصحبه
لا خلاف ان ساب الله كافر حلال الدم واختلف في استتابته
فقال ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون
ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحق بن يحيى
من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون

افترى على الله بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب
وان لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوطة مطرف
وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة
وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك
اليهودي والنصراني فان تابوا قبل منهم فان لم يتوبوا
قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي
حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب وافتى ابو محمد بن ابي زيد
فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال انما اردت
ان العن الشيطان فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره
ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله فمعذور
واختلف فقهاء قرطبة في مسئلة هرون بن ابي حبيب
اخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم
وكان قد شهد عليه بشهادات منها انه قال عند استقلاله
من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر
لم استوجب هذا كله فافتى ابرهيم بن حسين بن خالد
بقتله وان مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه
والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك
ابن حبيب وابرهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمن
القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي راى عليه

التنكيل في السجن والشدة في الأدب لاحتمال كلامه
وصرفه إلى الشكوى فوجه من قال في ساب الله تعالى
بالاستتابة أنه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق
لغير الله فأشبه قصد الكفر بغير سب الله تعالى
وإظهار الانتقال إلى دين آخر من الأديان المخالفة
للإسلام ووجه ترك استتابته أنه لما ظهر منه ذلك
بعد إظهار الإسلام قبل اتهمناه وظننا أن لسانه
لم ينطق به إلا وهو معتقد له إذ لا يتساهل في هذا أحد
فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته وإذا انتقل
من دين إلى آخر وأظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد علم
أنه خلع ربقة الإسلام من عنقه بخلاف الأول المتمسك
به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب أكثر العلماء
وهو مذهب مالك وأصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا
الخلاف في فصوله فصل وأما من أضاف إلى الله تعالى
ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر
ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفضي
إلى الهوى والبدعة من تشبيه أو نعت بجارحة
أو نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف
في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك وأصحابه

في ذلك

في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم إذا تحيزوا فئة
وأنهم يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا وإنما اختلفوا
في المنفرد منهم فأكثر قول مالك وأصحابه ترك القول
بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم
وإطالة سجنهم حتى يظهر إقلاعهم وتستبين توبتهم
كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج
وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع أهل الأهواء
وبه فسر قول مالك في الموطأ وما رواه عن عمر بن عبد العزيز
وجده وعمه من قولهم في القدرية يستتابون فإن تابوا
وإلا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم في أهل الأهواء
من الإباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة
من أهل البدع والتحريف لتأويل كتاب الله يستتابون
أظهروا ذلك أو أسروه فإن تابوا وإلا قتلوا وميراثهم
لورثتهم وقال مثله أيضا ابن القاسم في كتاب محمد
في أهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم أن يقال
لهم اتركوا ما أنتم عليه ومثله له في المبسوط
في الإباضية والقدرية وسائر أهل البدع قال وهم
مسلمون وإنما قتلوا لرأيهم السوء وبهذا عمل عمر
ابن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال إن الله لم يكلم موسى

تكليما استتيب فإن تاب وإلا قتل وابن حبيب وغيره
من أصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير أمثالهم من الخوارج
والقدرية والمرجئة . وقد روي أيضا عن سحنون مثله
فيمن قال ليس لله كلام أنه كافر واختلفت الروايات
عن مالك فأطلق في رواية الشاميين أبي مسهر ومروان
ابن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري
فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك
وروي عنه أيضا أهل الأهواء كلهم كفار وقال من وصف
شيئا من ذات الله تعالى وأشار إلى شيء من جسده يد أو
سمع أو بصر قطع ذلك منه لأنه شبه الله بنفسه
وقال فيمن قال القرآن مخلوق كافر فاقتلوه وقال أيضا
في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب
وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل
توبته . قال القاضي أبو عبد الله البرنكاني والقاضي
أبو عبد الله التستري من أئمة العراقيين جوابه مختلف
يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله
في إعادة الصلاة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي
لا يستتاب القدري وأكثر أقوال السلف تكفيرهم
وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة روي عنهم ذلك

فيمن قال

فيمن قال بخلق القرآن وقاله ابن المبارك والأودي ووكيع
وحفص بن غياث وأبو إسحاق الفزاري وهشيم وعلي
ابن عاصم في آخرين وهو من قول أكثر المحدثين والفقهاء
والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية وأهل الأهواء
المضلة وأصحاب البدع المتأولين وهو قول أحمد بن حنبل
وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الأصول
وممن روي عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي بن أبي طالب
رضي الله عنه وابن عمر والحسن البصري وهو رأي جماعة
من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة
والتابعين ورثة أهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات
منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري أحكام الإسلام
عليهم . قال إسماعيل القاضي وإنما قال مالك في القدرية
وسائر أهل البدع يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا
لأنه من الفساد في الأرض كما قال في المحارب إن رأى
الإمام قتله وإن لم يقتل قتله وفساد المحارب إنما
هو في الأموال ومصالح الدنيا وإن كان قد يدخل أيضا
في أمر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد أهل البدع
معظمه على الدين وقد يدخل في أمر الدنيا بما يلقون
بين المسلمين من العداوة **فصل** في تحقيق القول

في اكفار المتأولين قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع
والاهواء المتأولين ممن قال قولا يؤديه مساقه الى الكفر
هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى
اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم
من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم
من اباه ولم ير اخراجهم من سواد المؤمنين وهو
قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة
وضلال ونوارثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا
قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع اصحاب
مالك المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه
لم يخرجه من الاسلام واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا
عن القول بالتكفير او ضده واختلاف قولي مالك في ذلك
وتوقفه عن اعادة الصلوة خلفهم منه والى نحو من هذا
ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انها
من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا
قولا يؤدي اليه واضطرب قوله في المسئلة على نحو
اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال في بعض كلامه
انهم على رأي من كفرهم بالتأويل لا تحل مناكحتهم
ولا اكل ذبائحهم ولا الصلوة على ميتهم ويختلف

في موارثيهم

في موارثيهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث
ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين
واكثر ميله الى ترك التكفير بالمآل وكذلك اضطرب
فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير
وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري تعالى
وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح او بعض من يلقاه
في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب
ابو المعالي رحمه الله في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان
سأله عن المسئلة فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب
لان ادخال كافر في الملة واخراج مسلم عنها عظيم في الدين
وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير
في اهل التأويل فان استباحة دماء المصلين الموحدين
خطر والخطاء في ترك الف كافر اهون من الخطاء
في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال عليه السلام
فاذا قالوها يعني الشهادة عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها
مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع
ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث
الواردة في الباب معرضة للتأويل فما جاء منها

في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام
وتسميته الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم
وكذلك في الخوارج وغيرهم من اهل الهواء فقد يحتج بها
من يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر عنها بانه قد ورد
مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ
وكفر دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله
في الريا وعقوق الوالدين والزور وغير معصية واذا كان
محتملا للامرين فلا يقطع الا بدليل قاطع وقوله في الخوارج
هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل
تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال فاذا
وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما
مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له
الاخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم
عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام
فقتلهم ههنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل
وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره
ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني اضرب عنقه
يا رسول الله فقال لعله يصلي فان احتجوا بقوله عليه السلام
يقرؤن القران لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان الايمان

لم يدخل

لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق السهم
من الرمية لا يعودون اليه حتى يعود السهم الى فوقه
وبقوله سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق
من الاسلام بشيء اجابه الاخرون ان معنى لا يجاوز حناجرهم
لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم
ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله ويتمارى
في الفوق وهذا يقتضي التشكيك في حاله وان احتجوا
بقول ابي سعيد الخدري في هذا الحديث سمعت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة
ولم يقل من هذه الامة وتحرير ابي سعيد الرواية
واتقانه اللفظ اجابهم الاخرون بان العبارة بفي
لا يقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة من
التي هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه روي
عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم في هذا الحديث
يخرج من امتي وسيكون من امتي وحروف المعاني مشتركة
فلا تعويل على اخراجهم من الامة بفي ولا على ادخالهم فيها
بمن لكن ابا سعيد رضي الله عنه اجاد ما شاء في التنبيه
الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة
وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم لها

وتوفيقهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة
ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة
اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله هو الجهل به
لا يكفر احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متأول كان
تأويله تشبيها لله بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا
لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو
كافر وقال بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبنى عليه
وكان فيما هو من اوصاف الله فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب
ففاسق الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر
وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري الى تصويب اقوال المجتهدين
في اصول الدين فيما كان عرضة للتاويل وفارق في ذلك
فرق الامة اذ اجمعوا سواه على ان الحق في اصول الدين
في واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره
وقد حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله
عن داود الاصبهاني قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك
في كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق
من اهل ملتنا او من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ
وثمامة في ان كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى
واليهود وغيرهم ممن لا حجة لله عليهم اذ لم تكن لهم طباع

يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحا
في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من
لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من فارق
دين المسلمين او وقف في تكفيرهم او شك . قال القاضي
ابو بكر لان التوقيف والاجماع على كفرهم فمن وقف
في ذلك فقد كذب النص او شك فيه والتكذيب والشك
فيه لا يقع الا من كافر فصل في بيان ما هو من المقالات
كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم ان
تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع
ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة
صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية او عبادة احد
غير الله او مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية
وسائر فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية
واشباههم من الصابئين والنصارى واليهود والمجوس
والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة
او الشياطين او النجوم او النار او احد غير الله
من مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان
وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة
واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة

من الروافض وكذلك من اعترف بالهية الله ووحدانيته
ولكنه اعتقد انه غير حي او غير قديم وانه محدث
او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا او انه
متولد من شيء او كائن او ان معه في الازل شيئا قديما
غيره او ان ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك
كله كفر باجماع المسلمين كقول الالهيين من الفلاسفة
والمنجمين والطبايعيين . وكذلك من ادعى مجالسة الله
والعروج اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص
كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة
وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقائه
او شك في ذلك على بعض الفلاسفة والدهرية او قال
بتناسخ الارواح وانتقالها ابدا الاباد في الاشخاص
وتعذيبها او تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها
وكذلك من اعترف بالالهية والوحدانية ولكنه جحد
النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا خصوصا
من الانبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك
فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود
والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض
الزاعمين ان عليا كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة

وكالقرامطة

وكالقرامطة والاسماعلية والعنبرية من الرافضة
وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا في كفر اخر مع من قبلهم
وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا
عليه السلام ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به
ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع
كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة
واصحاب الاباحة فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع
واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون
من امور الاخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها
شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا
بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح
لقصور افهامهم فضمن مقالتهم ابطال الشرايع
وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب
فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى نبينا تعمد الكذب
فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه او قال انه
لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء او ازرى عليهم
او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك
نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في ان كل جنس
من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب

والدود ويحتج بقوله تعالى وإن من أمة إلا خلا فيها
نذير • إذ ذلك يؤدي إلى أن يوصف أنبياء هذه الأجناس
بصفاتهم المذمومة وفيه من الإزراء على هذا المنصب
المنيف ما فيه مع إجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله
وكذلك نكفر من اعترف من الأصول الصحيحة بما تقدم
ونبوة نبينا عليه السلام ولكن قال كان أسود أو مات
قبل أن يلتحي أو ليس الذي كان بمكة والحجاز أو ليس بقرشي
لأن وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له أو تكذيب به وكذلك
من ادعى نبوة أحد مع نبينا عليه السلام أو بعده
كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته
إلى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكأكثر الرافضة
القائلين بمشاركة في الرسالة للنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وبعده وكذلك كل إمام عند هؤلاء يقوم مقامه
في النبوة والحجة وكالبزيعية والبيانية منهم القائلين
بنبوة بزيع وبيان وأشباه هؤلاء أو من ادعى النبوة
لنفسه أو جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب
إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك
من ادعى منهم أنه يوحى إليه وإن لم يدع النبوة أو أنه
يصعد إلى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها

ويعانق

ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه عليه السلام أخبر
أنه خاتم النبيين ولا نبي بعده وأخبر عن الله أنه
خاتم النبيين وأنه أرسل كافة للناس واجتمعت الأمة
على حمل هذا الكلام على ظاهره وأن مفهومه المراد به
دون تأويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف
كلها قطعا إجماعا وسمعا وكذلك وقع الإجماع
على تكفير كل من دافع نص الكتاب أو خص حديثا مجمعا
على نقله مقطوعا به مجمعا على ظاهره كتكفير الخوارج
بإبطال الرجم ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين
من الملل أو وقف فيهم أو شك أو صحح مذهبهم وإن أظهر
مع ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب
سواه فهو كافر بإظهاره ما أظهره من خلاف ذلك
وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به إلى
تضليل الأمة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية
من الرافضة بتكفير جميع الأمة بعد النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم إذ لم تقدم عليا وكفرت عليا
إذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء
قد كفروا من وجوه لأنهم أبطلوا الشريعة بأسرها

اذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن اذ نا قلوه كفرة
على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار مالك في احد قوليه
بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه
عهد الى علي وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله
عليهم وصلى الله على رسوله وآله وكذلك نكفر بكل فعل
اجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر وان كان
صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود
للصنم والشمس والقمر والصليب والنار والسعي
الى الكنايس والبيع مع اهلها بزيهم من شد الزنانير
وفحص الرؤس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد
الا من كافر وان هذه الافعال علامة الكفر وان صرح
فاعلها بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من
استحل القتل او شرب الخمر والزنا مما حرم الله بعد علمه
بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة
وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة
من قواعد الشرع وما عرف يقينا من نقل المتواتر
من فعل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ووقع الاجماع
المتصل عليه كمن انكر وجوب الخمس الصلوات

وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله
علينا في كتابه الصلوة على الجملة وكونها خمسا
على هذه الصفات والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه
في القرآن نص جلي والخبر به عن عليه السلام خبر واحد
وكذلك جمع على تكفير من قال من الخوارج ان الصلوة
طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرائض
اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال
امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة
وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها
واباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرايع عنهم وكذلك
ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج
وقال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك
ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة
هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل هي تلك او
غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا ومثله
لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط
المسلمين وامتدت صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد
بالاسلام فيقال له سبيلك ان تسأل عن هذا الذي

لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة
عن كافة الى معاصري الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة
والبيت الذي فيها هي الكعبة والقبلة التي صلى لها
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها
وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج
والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بها والمسلمون وان صفات الصلوة المذكورة هي التي
فعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشرح مراد الله
تعالى بذلك وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم
ولا يرتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك او المنكر
بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق لا يعذر بقوله
لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب
اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة
الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول الرسول
عليه السلام وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاسترابة
في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقران وانحلت
عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القران
او حرفا او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية

والاسماعيلية

والاسماعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة
كقول هشام الفوطي ومعمر الضميري انه لا يدل
على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب
ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول
وكذلك نكفرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم حجة له او في خلق السموات
والارض دليل على الله لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله
وتصريح القران به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه القران
بعد علمه انه من القران الذي في ايدي الناس
ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد
بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده
ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره
بالطريقين المتقدمين لانه مكذب للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر
الجنة او النار او البعث والحساب والقيمة فهو كافر
باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة نقله متواترا
وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة

والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى
غير ظاهره وأنها لذات روحانية ومعان باطنة
كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة
وزعم أن معنى القيامة الموت أو فناء محض
وانتقاض هيئة الأفلاك وتحليل العالم كقول
بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة
في قولهم إن الأئمة أفضل من الأنبياء فأما من أنكر
ما عرف بالتواتر من الأخبار والسير والبلاد التي
لا ترجع إلى إبطال شريعة ولا تفضي إلى إنكار قاعدة
من الدين كإنكار غزوة تبوك أو مؤتة أو وجود أبي بكر
وعمر أو قتل عثمان أو خلافة علي مما علم بالنقل ضرورة
وليس في إنكاره جحد شريعة ولا سبيل إلى تكفيره
بجحد ذلك وإنكار وقوع العلم له إذ ليس في ذلك أكثر
من المباهتة كإنكار هشام وعباد وقعة الجمل
ومحاربة علي من خالفه فأما إن ضعف ذلك
من أجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين أجمع فنكفره
بذلك لسريانه إلى إبطال الشريعة فأما من أنكر الإجماع
المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع
فأكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب

قالوا

قالوا بتكفير كل من خالف الإجماع الصحيح الجامع
لشروط الإجماع المتفق عليه عموما وحجتهم
قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له
الهدى الآية وقوله عليه السلام من خالف الجماعة
قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وحكوا
الإجماع على تكفير من خالف الإجماع وذهب آخرون
إلى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الإجماع الذي
يختص بنقله العلماء وذهب آخرون إلى التوقف
في تكفير من خالف الإجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام
بإنكاره الإجماع لأنه بقوله هذا مخالف إجماع السلف
على احتجاجهم به خارق للإجماع قال القاضي أبو بكر
القول عندي أن الكفر بالله هو الجهل بوجوده والإيمان
بالله هو العلم بوجوده وأنه لا يكفر أحد بقول ولا رأي
إلا أن يكون هو الجهل بالله فإن عصى بقول أو فعل
نص الله ورسوله أو أجمع المسلمون أنه لا يوجد إلا من كافر
أو يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لأجل قوله أو فعله
لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون
إلا بأحد ثلاثة أمور أحدها الجهل بالله تعالى والثاني
أن يأتي فعلا أو يقول قولا يخبر الله ورسوله أو يجمع

المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم
والمشي الى الكنايس بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم
او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن معه العلم
بالله قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله
فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما من
نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها
مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد
ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى
فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفاها عنه تعالى
الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون
من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتاولين
كما قدمناه فاما من جهل صفة من هذه الصفات
فاختلف العلماء ههنا فكفره بعضهم • وحكى ذلك
عن ابي جعفر الطبري وغيره • وقال به ابو الحسن الاشعري
مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان
واليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع
بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما نكفر من اعتقد ان
مقاله حق واحتج هؤلاء بحديث السوداء وان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم انما طلب منها التوحيد

لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله علي وفي رواية فيه
لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث
اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد
ولو وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخر
عن هذا الحديث بوجوه منها ان قدر بمعنى قدر ولا يكون
شكه في القدرة على احيائه بل في نفس البعث الذي
لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع
يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا فاما ما لم يرد
به شرع فهو من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى
ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا
لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه
ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع
والخشية التي اذهلت لبه فلم يؤاخذ به • وقيل كان
هذا في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد وقيل
بل هذا من مجاز كلام العرب التي صورته الشك ومعناه
التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم
كقوله تعالى لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا او اياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين • فاما من اثبت الوصف ونفى
الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن

لا كلام له وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة
فمن قال بالمآل لما يؤديه إليه قوله ويسوقه إليه مذهبه
كفّره لأنه إذا نفى العلم انتفى وصف عالم إذ لا يوصف
بعالم إلا من له علم فكأنهم صرّحوا عنده بما أدّى إليه
قولهم ومن لم ير أخذهم بمآل قولهم ولا ألزمهم
موجب مذهبهم لم ير إكفارهم قال لأنهم إذا وقفوا
على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول
بالمآل الذي ألزمتموه لنا ونعتقد نحن وأنتم أنه كفر
بل نقول إن قولنا لا يؤول إليه على ما أصّلناه فعلى هذين
المأخذين اختلف الناس في إكفار أهل التأويل وإذا فهمته
اتّضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب
ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم عليهم بالخسران
وإجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثتهم
ومناكحتهم ودياتهم والصلوة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين
وسائر معاملاتهم لكنهم يغلّظ عليهم بوجيع الأدب
وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه
كانت سيرة الصدر الأول فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة
وبعدهم في التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر
ورأي الخوارج والاعتزال فما أزاحوا لهم قبرا ولا قطعوا

لأحد

لأحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وأدّبوهم بالضرب
والنفي والقتل على قدر أحوالهم لأنهم فسّاق ضلّال
عصاة أصحاب كبائر عند المحقّقين وأهل السنّة ممّن
لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق
للصواب. قال القاضي أبو بكر وأمّا مسائل الوعد والوعيد
والرؤية والمخلوق وخلق الأفعال وبقاء الأعراض
والتولّد وشبهها من الدقائق فالمنع في إكفار المتأوّلين
فيها أوضح إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى
ولا أجمع المسلمون على إكفار من جهل شيئا منها وقد قدّمنا
في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما أغنى
عن إعادته بحول الله تعالى **فصل** هذا حكم المسلم السابّ
لله تعالى وأمّا الذمّي فروي عن عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما في ذمّي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه
من دينه وحاجّ فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه
فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة
وابن القاسم في المبسوطة وكتاب محمّد من شتم الله تعالى
من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي كفروا به قتل
ولم يستتب قال ابن القاسم إلا أن يسلم قال في المبسوطة
طوعا قال أصبغ لأن الوجه الذي به كفروا هو دينهم

وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد
واما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو
نقض للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم
من غير اهل الاديان الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر
في كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد
ابن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما
كان او كافرا فان تاب والا قتل وقال مطرف وعبد الملك
مثل قول مالك وقال ابو محمد بن ابي زيد من سب الله تعالى
بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا
قول ابن الجلاب وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة
وشيوخ الاندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها
لسبها بالوجه الذي كفرت به لله والنبي واجماعهم
على ذلك وهو نحو القول الاخر فيمن سب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك
بين سب الله تعالى به وبين سب نبيه لانا عاهدناهم
على ان لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم وان لا يسمعونا شيئا
من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض لعهدهم واختلف
العلماء في الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم
واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر قال عبد الملك

ابن الماجشون

ابن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد
ولا تؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب وما اعلم من قاله غيره

فصل هذا حكم من صرح بسبه تعالى واضافة ما لا يليق
بجلاله والهيته فاما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى
بادعاء الالهية او الرسالة او النافي ان يكون الله خالقه
او ربه او قال ليس رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك
في سكره او غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قائل ذلك
ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته
على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فيئته
لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب
ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره
او جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما
اتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار
كالزنديق الذي لا نامن باطنه ولا نقبل رجوعه
وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي واما المجنون
والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك في حال غمرته
وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك
في حال ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب
على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبايح الافعال

وبوالى ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة
على سوء الخلق حتى ترتاض وقد حرق علي بن ابي طالب رضي الله
عنه من ادعى الالهية وقد قتل عبد الملك بن مروان
الحارث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء
والملوك باشباههم واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم
والمخالف في ذلك من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد
ايام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي
على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول
وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا
توبته وكذلك حكموا في ابن الغراقيد وكان على نحو مذهب الحلاج
بعد هذا في ايام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ
ابو الحسين بن ابي عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط
من تنبأ قتل وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله
خالقه او ربه او قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم
في كتاب ابن حبيب ومحمد في العتبية فيمن تنبأ يستتاب
اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره
وقاله اشهب في يهودي تنبأ وادعى انه رسول الينا
ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال
ابو محمد بن ابي زيد فيمن لعن بارئه وادعى ان لسانه زل وانما

اراد

اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا
على القول الآخر من انه لا تقبل توبته • وقال ابو الحسن
القابسي في سكران قال انا الله ان تاب ادب
فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا
كفر المتلاعبين فصل واما من تكلم من سقط القول
وسخف اللفظ ممن لا يضبط كلامه واهمل لسانه بما
يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل
في بعض الاشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته او نزع
من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد
للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا
منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه
وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه
وكذلك ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقص
لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة
بقتل المعروف بابن اخي عجب وكان قد خرج يوما فاخذه
المطر فقال بدأ الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها
ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى بن وهب وابان
ابن عيسى قد توقفوا في سفك دمه واشاروا الى انه عبث
من القول يكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي حينئذ

موسى بن زياد. فقال ابن حبيب دمه في عنقي أيشتم ربٌّ
عبدناه ثم لا ننتصر له إنا إذاً لعبيد سوء ما نحن له بعابدين
وبكى ورفع المجلس إلى الأمير بها عبد الرحمن بن الحكم
الأموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من خطاياه وأعلم
باختلاف الفقهاء فخرج الإذن من عنده بالأخذ بقول
ابن حبيب وصاحبه وأمر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين
وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ
بقية الفقهاء وسبّهم. وأما من صدرت عنه من ذلك
الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصاً وإزراء
فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها
وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل
ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلاً باسمه فأجابه
لبيك اللهم لبيك قال إن كان جاهلاً أو قاله على وجه سفه
فلا شيء عليه. قال أبو الفضل رحمه الله وشرح قوله أنه
لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب
ولو قالها على اعتقاد إنزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله
وقد أسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب
واستخفوا عظيم هذه الحرمة فأتوا من ذلك بما ننزه كتابنا
ولساننا وأقلامنا عن ذكره ولولا أنا قصدنا نص

مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئاً مما يثقل ذكره علينا مما
حكيناه في هذه الفصول وأما ما ورد في هذا من أهل الجهالة
وأغاليط اللسان كقول بعض الأعراب رب العباد
ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا أنزل علينا الغيث
لا أبا لكا وفي أشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقمه
ثقاف تأديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقل
ما يصدر إلا من جاهل يجب تعليمه وزجره والإغلاظ له
عن العودة إلى مثله قال أبو سليمان الخطابي وهذا تهور
من القول والله تعالى منزه عن هذه الأمور وقد روينا
عن عون بن عبد الله أنه قال ليعظم أحدكم ربه
أن يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول أخزى الله الكلب
وفعل به كذا وكذا وكان بعض من أدركنا من مشايخنا قل
ما يذكر اسم الله تعالى إلا فيما يتصل بطاعته وكان يقول
للإنسان جزيت خيراً وقل ما يقول جزاك الله خيراً إعظاماً
لاسمه تعالى أن يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة
أن الإمام أبا بكر الشاشي كان يعيب على أهل الكلام
كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته إجلالاً
لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون بالله عز وجل
وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها
والله الموفق. فصل وحكم من سب سائر انبياء الله تعالى
وملئكته واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم
او جحدهم حكم نبينا عليه السلام على مساق ما قدمناه
قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون
ان يفرقوا بين الله ورسله الاية وقال الله تعالى قولوا امنا
بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم الى قوله لا نفرق
بين احد منهم وقال كل امن بالله وملئكته وكتبه ورسله
لا نفرق بين احد من رسله قال مالك في كتاب ابن حبيب
ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم
واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبياء او واحدا منهم
او تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة
قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب
الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر
فاضرب عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف
في هذا الاصل وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمن
في بعض اجوبته من سب الله وملئكته ورسله قتل
وقال سحنون من شتم ملكا من الملئكة فعليه القتل
وفي النوادر عن مالك فيمن قال ان جبريل اخطأ بالوحي

وانما

وانما كان النبي علي بن ابي طالب يستتاب فان تاب
والا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية
من الروافض سموا بذلك لقولهم كان النبي اشبه بعلي
من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم
من كذب باحد من الانبياء او تنقص احدا منهم او برئ
منه فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسي في الذي قال
لاخر كانه وجه مالك الغضبان لو عرف انه قد قصد
ذم الملك قتل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وهذا كله
فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملئكة والنبيين
او على معين ممن حققنا كونه من الملئكة والنبيين ممن
نص الله عليه في كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر
والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل وميكائيل
ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش
المذكورين في القران من الملئكة ومن سمي فيه من الانبياء
وكعزرائل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير
من الملئكة المتفق على قبول الخبر بهما فاما من لم تثبت
الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملئكة
والانبياء كهاروت وماروت في الملئكة والخضر
ولقمان وذي القرنين ومريم واسية وخالد بن سنان

المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس
والمورخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم
فيمن قدمناه اذ لم يثبت لهم تلك الحرمة ولكن نزجر من
تنقصهم واذاهم ويؤدب بقدر حال المقول فيه لا سيما
من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم تثبت نبوته
واما انكار نبوتهم او كون الاخر من الملئكة فان كان
المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء
في ذلك وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا
فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف
الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف
للعامة **فصل** واعلم ان من استخف بالقران او المصحف
او بشيء منه او سبهما او جحده او حرفا منه او اية او
كذب به او بشيء منه او كذب بشيء مما صرح به فيه
من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم
منه بذلك او شك في شيء من ذلك فهو كافر عند اهل العلم
باجماع **قال الله تعالى** وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد **حدثنا**
الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله تعالى حدثنا
ابو علي حدثنا ابن عبد البر حدثنا ابن عبد المؤمن

حدثنا ابن داسة حدثنا ابو داود حدثنا احمد بن حنبل
حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال المراء في القران كفر يؤول بمعنى الشك
او بمعنى الجدال وعن ابن عباس عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من جحد اية من كتاب الله من المسلمين فقد حل
ضرب عنقه وكذلك ان جحد التورية والانجيل وكتب الله
المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو
كافر وقد اجمع المسلمون ان القران المتلو في جميع
اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين
مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين
الى اخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه المنزل
على نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان جميع ما فيه
حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله
باخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف
الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القران
عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا راى مالك قتل من سب
عايشة رضي الله عنها بالفرية لانه خالف القران ومن
خالف القران قتل اي لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم

من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل وقاله
عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال
المعوذتان ليستا من كتاب الله يضرب عنقه الا ان يتوب
وكذلك كل من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد
شاهد عدل على من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد
اخر عليه انه قال ان الله لم يتخذ ابرهيم خليلا لانهما
اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون
على ان الجحد بحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية
اذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول اما
انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابرهيم فقال اراه سمع انه من كفر
بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر
باية من القران فقد كفر به كله ومن كفر به قتل وقال
اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القران فقد كذب به كله
ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله
وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتورية
فقال له الاخر لعن الله التورية فشهد عليه بذلك
شاهد ثم شهد اخر انه سأله عن القضية فقال انما لعنت
تورية اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد

لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل
التاويل اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله
لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على لعن التورية
مجردا لضاق التاويل وقد اتفق فقهاء بغداد
على استتابة ابن شنبوذ المقري احد ائمة المقرئين
المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه
بشواذ القران من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا
عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا اشهد فيه بذلك
على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلث
وعشرين وثلثمائة وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر
الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال
لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب
ولم ارد القران قال ابو محمد واما من لعن المصحف فانه يقتل

فصل وسب ال بيته وازواجه واصحابه عليهم السلام
وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد
ابو علي رحمه الله حدثنا ابو الحسين الحسن الصيرفي
وابو الفضل العدل قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي
السنجي حدثنا ابن محبوب حدثنا الترمذي حدثنا محمد
بن يحيى حدثنا يعقوب بن ابرهيم حدثنا عبيدة بن ابي رائطة

عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم الله الله في اصحابي الله الله
في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم
ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن
اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه
وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسبوا
اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال عليه السلام
لا تسبوا اصحابي فانه يجئ قوم في اخر الزمان يسبون
اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم
ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه عليه السلام
من سب اصحابي فاضربوه • وقد اعلم النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ان سبهم واذاهم يؤذيه واذى النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم حرام فقال لا تؤذوني في اصحابي ومن
اذاهم فقد اذاني وقال لا تؤذوني في عائشة وقال في فاطمة
بضعة مني يؤذيني ما اذاها • وقد اختلف العلماء في هذا
فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والادب الموجع
قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب • وقال ايضا من شتم

احدا

احدا من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ابا بكر
او عمر او عثمان او عليا او معاوية او عمرو بن العاص
فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم بغير هذا
من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب
من غلا من الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه ادب
ادبا شديدا ومن زاد الى بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة
عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ
به القتل الا في سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا
وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن سحنون فيمن قال في ابي بكر
وعمر وعثمان وعلي انهم كانوا على ضلالة وكفر قتل
ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد
وروي عن مالك من سب ابا بكر جلد ومن سب عائشة قتل
قيل له لم قال من رماها فقد خالف القران وقال ابن شعبان
عنه لان الله تعالى يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله
ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى
ابو الحسن الصقلي ان القاضي ابا بكر بن الطيب قال ان الله
تعالى اذا ذكر في القران ما نسبه اليه المشركون سبح نفسه

لنفسه كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه
في آي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى عائشة
فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا
سبحانك سبح نفسه في تبرئتها وهذا يشهد لقول مالك
في قتل من سب عائشة ومعنى هذا والله اعلم ان الله
لما عظم سبها كما عظم سبه تعالى وكان سبها سبا
لنبيه وقرن سب نبيه بسبه تعالى واذاه باذاه تعالى
وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه كذلك
كما قدمنا وشتم رجل عائشة بالكوفة فقدم الى موسى
ابن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى
انا فجلده ثمانين وحلق رأسه واسلمه في الحجامين
وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه نذر
قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود
فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد
بعد اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ابو ذر
الهروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتي باعرابي
يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه قال مالك
من انتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء في ثلثة اصناف

فقال تعالى

فقال تعالى للفقراء المهاجرين الآية ثم قال تعالى
والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الآية وهؤلاء الانصار
ثم قال تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية فمن
تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب ابن شعبان
من قال في واحد منهم انه ابن زانية وامه مسلمة حد
عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه ولا اجعله
كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله
عليه السلام من سب اصحابي فاجلدوه قال ومن قذف
ام احدهم وهي كافرة حد حد الفرية لانه سب له فان كان
احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له والا فمن
قام به من المسلمين كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا
كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله تعالى
عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان ولي القيام
به قال ومن سب غير عائشة من ازواج النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ففيها قولان احدهما يقتل لانه سب النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بسب حليلته والآخر انها
كسائر الصحابة يجلد جلد المفتري . قال وبالاول
اقول وروى ابو مصعب عن مالك فيمن سب الى بيت النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم ضرب ضربا وجيعا ويشهر
ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه
مالقة في رجل انكر تحليف امرأة بالليل وقال لو كانت
بنت ابي بكر الصديق ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله
بعض المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف ذكره هذا لابنة
ابي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن
الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو احق باسم الفسق
من اسم الفقه فيتقدم اليه في ذلك ويزجر ولا تقبل فتواه
ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله وقال
ابو عمران في رجل قال لو شهد علي ابو بكر الصديق انه
ان كان في ما لا يجوز فيه الشاهد الواحد فلا شيء عليه
وان كان اراد غير هذا فيضرب ضربا يبلغ به حد الموت
وذكروها رواية . قال القاضي ابو الفضل رحمه الله هنا
انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي انتحيناه
واستوفي الشرط الذي شرطناه مما ارجوا ان في كل قسم
منه للمريد مقنع وفي كل باب منهج الى بغيته ومنزع
وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع وكرعت
في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل في اكثر التصانيف

مشرع واودعته غير ما فصل ووددت لو وجدت من بسط
قبلي الكلام فيه او مقتدى يفيدنيه عن كتابه او فيه لاكتفي
بما ارويه عما ارويه والى الله تعالى جزيل الضراعة في المنة
بقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزين
وتصنع لغيره وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه
لما اودعناه من شرف مصطفاه وامين وحيه واسهرنا به
جفوننا لتتبع فضائله واعملنا فيه خواطرنا
من ابراز خصائصه ووسائله ويحمي اعراضنا
عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن
لا يذاد اذا ذيد المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن
تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه
وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصي زمرة نبينا
وجماعته ويحشرنا في الرعيل الاول واهل الباب الايمن
من اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى اليه
من جمعه والهم وفتح البصيرة لدرك حقائق ما
اودعناه وفهم ونستعيذه جل اسمه من دعاء
لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذي
لا يخيب من امله ولا ينتصر من خذله ولا يرد

دعوة القاصدين ولا يصلح عمل المفسدين
وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله
رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
خاتم النبيين وآله وصحبه اجمعين

حمد و ثنا
مولای ذو العز والكبریایه
الیق و احرادر كه اشبو كتاب
مستطاب شفا شان مستمندان
حضرت شفاء شریف بیك ایكیوز سكسان
یدی سال میمنت فالنده عنایت شعار مشیران
كرامت جنتمكان خلدآشیان المرحوم
المغفور علی شفیق پاشا رحمه الله تعالی
رحمة واسعة حضرتلرینك امر دولتلریله
بدأ و تحریر و نجل مكرملری طول الله
عمره و انال الله ما یتمناه محمد
رفعت بك افندی حضرتلرینك
همم حسنه لریله ختام
پذیر اولمشدر

كتبه اضعف الكتاب السید حافظ
محمد راشد المشتهر بایوبی اللهم اغفر
لقارئه و لكاتبه و لمن كان سببا لتحریره و تكمیله
امین بحرمة النبی الامین سنه سبع و ثمانین و مائتین و الف